الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة
كلية الآداب واللغات
قسم الترجمة

رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

حدود الترجمة بين قابلية الترجمة و عدم قابلية الترجمة

ترجمات مقامات الحريري لـثيودور بريستون وتوماس تشينري نموذجا.

-دراسة تحليلية ونقدية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة

إعداد الطالب:
حمـــزة زغـار

إشراف الدكتور:
حسيـــن خمري

لجنة المناقشة:

1 - الأستاذ الدكتور: ناصيف العابد	جامعة قسنطينة	رئيسا
2 - الأستاذ الدكتور: حسين خمري	جامعة قسنطينة	مشرفا ومقررا
3 - الأستاذ الدكتور: صالح كعواش	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2013 / 2014

بسم الله مفرّق اللغات

شكر وعرفان

أوجه شكري الخاص إلى الأستاذ المشرف الدكتور حسين خمري الذي لم يأل جهدا لتصويب أخطائي وإسداء النصائح القيمة لي، وتخصيص وقته لمساعدتي لتكتمل معالم هذه المذكرة.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قراءة هذا البحث.

وأشكر أيضا كل من ساعدني على إتمام هذه المذكرة، وكل من ساندني معنويا حتى يرى هذا العمل النور.

المقدمة

بسم الله مفرق اللغات، والصلاة والسلام على سيدي وحبيبي المصطفى، محمد "صلى الله عليه وسلم". أما بعد، إن التطور البشري والإنساني يفرض على كل إنسان أن يلتجئ إلى ثقافة أخرى تمكنه من معرفة آفاق الحضارات المختلفة وبالتالي تمكنه من تطوير ذاته كإنسان وتطوير مجتمعه كفرد، من هنا يمكن القول أن معرفة الحضارات الأخرى تتطلب اللجوء إلى تقنية الترجمة.

الترجمة كانت منذ الأزل وستبقى إلى الأبد طريقة حضارية يمكن من خلالها التواصل بين الشعوب، لقد كانت الترجمة عند العرب رئيسية لنقل حضارة الإغريق، الإغريق الذين وضعوا بدورهم الأسس العلمية والأدبية لجميع الحضارات التي نعرفها اليوم، أعقبهم في ذلك الرومان، ثم جاء العرب الذين كانوا من أبرز من قام خلال أهم مرحلة تاريخية معينة، سميت بالمرحلة الذهبية أو العصر الذهبي للعرب، بنقل التراث العلمي و الأدبي هذه الحضارات إلينا نحن اليوم، أبناء الألفية الثالثة.

أنجبت الحضارة العربية الإسلامية الكثير من العلماء والمفكرين الجهابذة في شتى المجالات، لقد كانوا جمعا غفيرا من المتميزين، كل في مجاله، يكفي أن نذكر بعضا منهم، كعالم الرياضيات ابن جابر، أو من علماء الطب والكيمياء كابن سيناء والرازي، الذين طوروا مجتمعاتهم وأتاحوا للمجتمعات الغربية فيما بعد أن تنقل عنهم هذه الحضارة.

نتيجة لاحتكاك الغرب بالمسلمين والعرب في كل من الأندلس وصقلية، وفي بلاد الشام خلال فترة الحروب الصليبية، استطاع الغرب أن ينقل في حقبة الأنوار وعصر النهضة وما تلاهما، كل ما وصلت إليه الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في مرحلة سابقة، فأصبح هذا الغرب متمكنا من تلك الحضارة وحضارة الإغريق وحضارة شعوب الشرق الأخرى كحضارة الفرس والهند وما سبقهما من علوم حضارات بلاد الرافدين ومصر، التي لم يكن له، أي للغرب، أن يتعرف عليها لولا جهود المترجمين العرب الذين اجتهدوا وكرسوا حياتهم سعيا للحفاظ على هذا التراث الإنساني القيم من الضياع الأبدي.

سمحت ثقافة الترجمة للغرب فيما بعد بتطوير نفسه و مكنته من إعطاء غيره فيما بعد ثقافة تسعى أمم الشرق اليوم لاكتسابها وتوظيفها لصالحها من أجل استعادة تألقها الذي زال عنها وفارقها في يوم من الأيام. إنّ تطور وسائل الاتصالات كالإنترنت والحواسيب سمح لأجيال اليوم، من أبناء الحضارات الشرقية عموما و الحضارة العربية الإسلامية بشكل خاص، أن يكتشفوا بنوع من الحسرة الممزوجة في

ذات الوقت بالفخر، بأن أجدادهم كانوا في وقت مضى قد ولّدوا مواقف فكرية، وأنتجوا مؤلفات إبداعية ذات حداثة لا تدحض ولا تناقش، فنجد اليوم على سبيل المثال أن جميع الكتب العربية التي كانت أساسا للعلم والأدب قد ترجمت إلى الألمانية والإنجليزية والفرنسية، فطوال حقبة تقارب الألف سنة، أي منذ فترة الحروب الصليبية واحتكاك المسلمين بالإسبانيين والإيطاليين لم يتوقف الغرب يوما عن ترجمة ما وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية التي استفزته حينا وأغرته أحيانا أخرى.

إن الدرس الأهم الذي نخرج به من كل هذا، هو أن الغرب لم يتوقف يوما عن الترجمة، إذ ما فتئت ترجماته تتزايد بشكل مطرد، فمن المحاولات الأولى لآباء الكنيسة لترجمة القرآن بهدف فهمه ودحضه، مرورا بترجمات عصر النهضة وحقبة الأنوار للعلوم العربية، وصولا إلى جهود المستشرقين والرومنطيقيين لنقل معارف الشرق وآدابهم، لم يتوقف الغرب يوما عن الترجمة، وهو الأمر الذي أعطاه الأسبقية في كل المجالات الحيوية في عالم اليوم، يقودنا كل ما سبق إلى القول بأن من أراد أن يسود ويمتلك العالم، فعليه بكل بساطة أن يترجم، تلك هي المعادلة البسيطة التي طبقها أجدادنا في يوم من الأيام، ويلزم علينا تطبيقها اليوم من أجل مستقبل أكثر أمانا.

جاء عنوان هذه البحث كالتالي: "حدود الترجمة: بين قابلية الترجمة وعدم قابلية الترجمة"، وهو العنوان الذي يمكن ترجمته في اللغة الإنجليزية بـ: « The Limits of Translation: The Issue of Translatability and Untranslatability » كما يمكن ترجمته باللغة الفرنسية بـ « Les Limites de la Traduction: entre Traduisibilité et Intraduisibilité » والسؤال الذي يفرض نفسه بقوة هنا هو: هل الترجمة متعذرة أو هل هي عملية غير ممكنة؟ هل تصل الترجمة في بعض الأحيان إلى حد الاستحالة؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، أجد لزاما عليّ ألإشارة إلى نقطة غاية في الأهمية، وهي كالتالي: من أجل الحصول على إجابة مقنعة على مسألة ما، يكفي صياغة هذه المسألة بكيفية أو طريقة تكفي لأن يطبق عليها إجراء معروف من أجل الوصول إلى الجواب، مثل على ذلك السؤال التالي: ما هو أكبر قاسم مشترك للعددين 455 و 1045؟ لإيجاد القاسم المشترك الأكبر يكفي تطبيق خوارزميات قسمة 'إقليدس'، نبدأ بادئ ذي بدء بقسمة 1045 على 455، النتيجة: نحصل على 2، والباقي 135. نقسم الآن 455 على 135، الحاصل هو 3 والباقي هو 50، وهكذا دواليك حتى تأتي القسمة صحيحة، والنتيجة هي العدد 5.

إذن يكفي في البحث العلمي تطبيق منهجية معروفة، للحصول على جواب صحيح، والمثال السابق يمثل أبسط المسائل التي يمكن الحصول على جواب عنها عبر تطبيق منهجية معروفة قدمتها لنا المعرفة الوضعية. أحيانا نجد أنفسنا أمام مسألة لم نجد منهجية عامة لها، أحيا أخرى نكون على علم بأن بعض المسائل لا يوجد منهجية عامة لحلها، وفي أحيان قليلة نجد أنفسنا أما مسائل غريبة جدا.

إن موضوع قابلية الترجمة وعدم قابلية الترجمة هو موضوع واسع جدا، يكاد لا ينتهي فقد تمت مناقشته على ثلاث مستويات معرفية مختلفة، وهي: المستوى الفلسفي والمستوى اللغوي (اللساني) والمستوى الثقافي، وهو ما يضع الباحث أمام خيار واحد وهو طرح الأسئلة الصحيحة من البداية من أجل الوصول إلى نتيجة مقبولة ومطمئنة في النهاية.

إذن، للإجابة عن السؤال السابق الذي يقول: هل الترجمة متعذرة أو هل هي عملية غير ممكنة؟ هل تصل الترجمة في بعض الأحيان إلى حد الاستحالة؟ أقول: بطبيعة الحال ليس هذا هو موضوع البحث، فمن العبث القول باستحالة الترجمة أو الاعتقاد بعدم إمكانيتها، ذلك أن الواقع يبين عكس ذلك فالترجمة حاضرة في كل مكان حضورا قويا وبشكل دائم لا يرقى إليه شك أو ظن، فلطالما لعبت الترجمة دورا بارزا وريادية في صيانة العلم وإذاعته في أنحاء العالم، فقد قامت الترجمة بالمحافظة على التراث العلمي في روما وبغداد وإسبانيا، ولو لم يكن هذا، فلم يكن باستطاعة الناس أن يتعرفوا على الدرر الثمينة للتراث العلمي الغربي.

يجب أيضا أن نكون على دراية بأن الاكتشافات الأنثروبولوجية واللسانية لا تدين ولا تحكم على الترجمة، ولكنها تدين الفكرة الساذجة عن الترجمة، أي الترجمة الحرفية. لا أقول إن الترجمة الحرفية غير مستحيلة وإنما هي ليست ترجمة، بل هي جهاز يتكون غالبا من صف من الحروف ليساعدنا على قراءة النص في لغته الأصلية. إنه شيء أكثر قرابة إلى القاموس منه إلى الترجمة التي تعتبر دائما عملية أدبية

إنَّ النظرية والتطبيق في الترجمة مليئان كلاهما بالتفاصيل المعقدة، حسب الباحثة 'سوزان باسنت'، التي ترى أن هناك محاولات من وقت لآخر لحل عقدة 'غورديان'* عن طريق إعلان مبدأ عدم القابلية للترجمة. إن عقيدة الغورديان، حسب نفس الباحثة، كانت تستخدم في واقع الأمر من أجل تقديم حجة ليس

* يعني تعبير قطع عقدة العُقَد حل مشكلة عويصة بطريقة سهلة. تزعم الأسطورة أن غورديوس صار ملكًا لفريجيا، لأن الآلهة أرادت ذلك وأخطرت به أحد الكهنة. وفي إحدى الأساطير جاء أن كل من يحل العقدة سيحكم آسيا الصغرى. وقد حاول الكثيرون حلها دون جدوى. وفي النهاية، قام الإسكندر الأكبر بقطعها بسيفه وأعلن أنه قد حقق ما قيل.

عن استحالة الترجمة فحسب، بل عن استحالة قيام دراسات الترجمة، استنادا على فرضية أنه من غير الممكن مناقشة أي شيء غير واضح المعالم ورقيق مثل ترجمة 'الروح المبدعة' من لغة إلى أخرى.

يمكننا القول أنه وعلى الرغم من عقيدة قطعية كهذه العقيدة، فإن المترجمين يستمرون في الترجمة، والنقاش الموسع الذي بدأ واعدا يمكن أن ينضم إليه أي فرد يواجه حاليا مشكلات أثناء عملية الترجمة، ويريد أن ينتقل من موقف عملي تجريبي إلى خطاب تعاوني وعلمي أكثر.

في حقيقة الأمر لا يكفي فقط طرح الأسئلة الصحيحة للوصول للأجوبة المطمئنة، إن الباحث المعاصر في مجال دراسات الترجمة يحتاج أيضا إلى أدوات منهجية ضرورية لجعل الحقيقة أكثر تجليا ووضوحا، إن موضوع قابلية الترجمة وعدم قابلية الترجمة موضوع واسع كما ذكرت سابقا، ولا تكفي اللسانيات لوحدها للإجابة عن الأسئلة التي تتعلق به، كما أن الفلسفة قد تأخذنا إلى ميادين أخرى نجهلها، وقد لا ترضينا إجاباتها ونتائجها، إن دراسات الترجمة الحديثة أصبحت تضم مجالات أخرى لم تكن مدروسة من قبل كدراسات ما بعد الاستعمار، دراسات تاريخ الترجمة، البحوث حول الإستشراق، الأدب المقارن...إلخ، وفي ضوء هذه الأبحاث فقط يمكن الحصول على نتائج مرضية ومثيرة في ذات الوقت.

فيما يلي سأستعرض نموذجا عاما سيمكن القارئ الكريم من تكوين نظرة عامة وشاملة حول موضوع هذا البحث ورهاناته.

إن الوظيفة الأولى للترجمة، هي وظيفة ذات طبيعة عملية، بدون الترجمة سيكون التواصل معرضا للضرر أو مستحيلا تماما، لقد كان المترجمون ، يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع الفرعوني، بسبب أهمية الدور الذي كانوا يلعبونه في مجال الدبلوماسية في ذلك الحين، ولكن فعل الترجمة، كما يرى 'موريس بلانشو' قد بدا دوما لدى كثير من الثقافات بمثابة ادعاء شيطاني خطير، فالبعض لا يحب أن تتم الترجمة إلى لغته، وآخرون يأبون أن تنقل لغاتهم إلى لغات أخرى.

سيكون الفصل الأول مبنيا على الفكرة السابقة، أي الترجمة والارتياب، ولكن في البدء علينا أن نسأل أنفسنا، لماذا كانت الترجمة والمترجمون دوما محل الريبة؟ يمكن إرجاع السبب وراء الارتياب تجاه الترجمة إلى ما يسميه فلاسفة اللغة، على غرار 'سيلفان أورو' و 'جمال كولوغلي' في كتابهما 'فلسفة اللغة'، بـ"العنصرية اللسانية". لقد بقي موضوع أصل اللغة يشغل بال الإنسان على مر التاريخ، إذ يقول 'بول ريكور' ، أنّ الاتجاه الأول، أي اللغة الأصلية، تعرضت له مختلف التأويلات الدينية من القبالة والتأويل بكل أجناسه إلى حد إنتاج بعض الثمار السامة. والمقصود بالثمار السامة هنا هو أن الناس كانوا

منذ القديم مُعتقدين بوجود تفاوت بين اللغات وهو الأمر الذي عزَّزَ ظهور ما يُعرف في كتُب فلسفة اللغة* بـ'العنصرية اللسانية' « le racisme linguistique » وتكون هناك عنصرية لسانية، حين يتم تفسير الاختلافات الحقيقية بين اللغات كاختلافات في الوضع الفكري والروحي، أي بكلمة واحدة كاختلافات في الإنسانية.

ينبغي الإشارة أيضا إلى أنَّ هناك مصدران للعنصرية اللسانية، أولها ما يمكن تسميته « linguistique populaire » أي:'اللسانيات الشعبية'، حيث يرى الأفراد والشعوب في لغتهم تكوينا لهويتهم وشكلا من ذاتيتهم وشخصيتهم، وهو الاختلاف الذي عادة ما يُفسر على أنه تفاوت في المستوى وتفوق بالنسبة للآخر.

إن التاريخ مليء بعبارات تدل على عدم تقدير لغة الآخر. مثال ذلك في الإنجليزية والفرنسية عبارات من مثل (Speak white) (قل كلاما أبيض، أي كلاما صادقا ذا قيمة)، (Arrête de baragouiner) (توقف عن الرطانة، أي عن الكلام السخيف)، (Qu'est ce que c'est que ce charabia) (ما هذا الخليط العربي؟ أي هذا الحديث المشوش المتنافر)، (Ce petit nègre) (هذا الزنجي الصغير، أي هذا الحقير). أضيف إلى ما سبق العبارة الإنجليزية « Double Dutch »، والتي تعني: "الرطانة والثرثرة أو اللغة التي يستحيل فهمها" وهي عبارة تدل على عدم تقدير الإنجليز لجيرانهم الهولنديين.* إنَّ كل أمة من الأمم نادت بشرفها اللغوي، وادعت أن لغتها هي لغة الحكمة وأن اللغات الأخرى عبارة عن مجرد لغات غامضة أو لغات بدائية، فقد حاول كل شعب أن يُثبت أن لغته هي لغة الفردوس المفقود. لقد ألفت كل الأمم لغاتها واستعملتها حتى أدى بها الأمر إلى الإعجاب الذي تجاوز الحد المعقول. وقال كل بقدم لغته و افتخر بمجدها الأثيل، وأنها باقية على الدهر، فزعم الصينيون ذلك، وادعى الأرمن أن لغتهم صاحبة الشرف وأن اللغات الأخرى فروع عليها، وزعم العبرانيون أن العبرية هي اللغة الأولى، وجاء الآراميون فنادوا بشرف لغتهم وأنها كانت لغة السيد المسيح وأمه العذراء، واعتقد الإغريق أن لغتهم ذات شرف ومجد عظيمين وأنها لغة الحكمة، وأنها خلاصة ما يصل إله العقل البشري.

---

* من الصعب تعريف فلسفة اللغة (وذلك باعتراف أهل الاختصاص أنفسهم)، وذلك على الرغم من وجود مقررات جامعية والعديد من الكتب التي تحمل هذه التسمية. يمكن إيجازا القول أن من بين الأسئلة الأساسية التي تطرحها فلسفة اللغة هذا السؤال: ماللغة؟ ماهي العلاقة بين اللغة والفكر واللغة والعالم؟ أصل البلبلة، أنطولوجيا اللغة، النسبية اللغوية، الكلانية أو الشمولية اللغوية، أخلاقيات اللغة....إلخ. كما يمكن أن نعني بفلسفة اللغة، الأفكار المتعلقة باللغة أو بعض الملاحظات المتفرقة التي يمكن مصادفتها في أعمال مؤلفين معروفين على أنهم فلاسفة (كأن نتكلم عن فلسفة اللغة لدى أفلاطون أو هايدغر أو فيتغنشتين أو دريدا ....إلخ). يجدر التذكير أيضا بأن لفلسفة اللغة اتجاهات أخرى كـ'فلسفة اللسانيات'، بالإضافة إلى ما يُعرف في التقليد الأنجلوساكسوني بـ'الفلسفة التحليلية للغة' وأهم أعلامها 'ويلارد فان أورمان كواين' (أنظر الفصل الثاني من هذا البحث).

* على غرار العديد من الأمم لا يُكنّ الإنجليز محبة كبيرة لجيرانهم، إذ يمكن أن نجد كلمة (Dutch= هولندي) في العديد من الصيغ التحقيرية على شاكلة « Dutch courage » الشجاعة الهولندية أو « I'm a Dutchman » أنا رجل هولندي، بالإضافة إلى الصيغة التي سبق ذكرها.

أما المصدر الآخر للعنصرية اللسانية فذو طبيعة علمية « d'origine savante »، ويرجع إلى الطريقة التي تأسست بها تصنيفات اللغات منذ بداية المقارنة الحديثة عند جيل الرومانطيقية الألمانية وحتى النظريات التطورية في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، مثل موضوع تفوق اللغة اليونانية أو الألمانية، واعتبارهما الأنسب للتفكير الفلسفي والعلمي، وكما يرى 'أومبرتو إيكو'، فإنه يجب ألاَ ننسى أنه حتى 'هايدغر' قد قال إن الإغريقية والألمانية هما اللغتان المناسبتان للفلسفة (ولهذا السبب- فمن الصعب ترجمة هايدغر* إلى الإنجليزية..). ولكن هل يحق لنا أن ننظر إلى لغة الآخر نظرة استعلائية في القرن الحالي؟ ذلك ما سيجيب عنه الفصل الأول من هذا البحث.

سيهتم الفصل الثاني بالمظهر الثاني للترجمة، وهو المظهر المتعلق باللغة، أي اللغات محل الترجمة، ليس من السهل ترجمة نص باللغة العبرية وهي لغة 'حامية سامية إلى اللغة الفرنسية وهي لغة هندية أوروبية، في حين سيكون من السهل ترجمة نص باللغة الإسبانية إلى الفرنسية نظرا لانتماء كلتا اللغتين لنفس الأسرة اللغوية. سيتناول الفصل الثاني أيضا المظهر الثالث للترجمة، والمقصود بذلك ما يتعلق بتعدد ترجمات النص الواحد، وهو الموضوع الذي تناوله فلاسفة اللغة، في إطار ما يُعرف بـ'فرضية عدم تعين الترجمة'.

غالبا ما تأتي عناوين الكتب والبحوث ممهدة وحاملة لدلالات واضحة لما سيقدمه الكاتب أو الباحث للقارئ، فالعنوان هو بمثابة مرجع يتضمن بداخله العلامة والرمز وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته. نـأخذ مثالا على ذلك عنوان كتاب "الساق على الساق فيما هو الفارياق" وهو عنوان سيرة ذاتية للكاتب العربي 'أحمد فارس الشدياق'. ولكن كيف يمكن ترجمته إلى الإنجليزية مثلا؟ إذا علمنا أن 'الفارياق' هي كنية 'الشدياق'، فإن الترجمة إلى الإنجليزية يمكن أن تكون كما يلي:

« One Leg Over Another, Concerning Faryaq. »

إنها ترجمة صحيحة، ولكنها تكشف لنا عن عدم قدرة اللغة الإنجليزية الإيفاء بالإيقاع الذي حمله العنوان الأصلي باللغة العربية، هذا من جهة، من جهة أخرى فإن 'الشدياق' قد وضع عنوان كتابه على شاكلة لغز، ومن أجل فهم هذا اللغز يجب أن نبحث في الكتب والقواميس العربية، مثل القاموس الثنائي اللغة لـ « Edward William Lane » الذي جاء بعنوان « Arabic English Lexicon » وهو

* مارتن هايدغر (Martin Heidegger): (1886م-1976م)، فيلسوف ألماني، كانت أعماله محاولة لفهم الوجود، وخاصة الوجود البشري (لكنه ليس فيلسوفا وُجوديا)، يُعد من أهم الفلاسفة الذين كتبوا حول اللغة، إن جزءا هاما من هذه الأفكار كان قد استلهمه من كتابات اللغوي 'هومبولدت'، خاصة ما تعلق بمسألة النسبية اللغوية.

أكبر قاموس 'إنجليزي عربي' على الإطلاق، الذي نجد فيه أن من بين الدلالات الكثيرة جدا لكلمة 'الساق'، هناك كلمة 'غصن'، أي غصن الشجرة، كما أن الساق تعني أيضا: 'الحمامة'. نتيجة لذلك تكون ترجمة العنوان كالآتي:

«One Leg Over Another/ The Piegeon On The Branch/ Concerning Faryaq. »

إذن يتبين لنا أن هناك شيئا ما قد يضيع أثناء الترجمة، فقد خسرنا الإيقاع وسمة الاختصار التي ميزت العنوان الأصلي، وتلك هي حدود الترجمة، ولكننا قمنا بترجمة العنوان ولم يكن ذلك مستحيلا، فالعنوان على الرغم من صعوبته قد تمت ترجمته مع بعض التضحية، ولكن الأهم من كل ذلك هو أن هذا العنوان لم يكن قابلا لأن يترجم بشكل جيد لولا وجود قاموس 'إدوارد ويليام لاين'، وهو القاموس الذي اعتمده الكثير من المستشرقين في أعمالهم حينما كانوا بصدد ترجمة الأعمال الأدبية العربية الكلاسيكية الرفيعة. النتيجة إذن هي أن العوامل 'الخارج نصية' « Les conditions extratextuelles » هي التي تتحكم بدرجة كبيرة في قابلية عمل ما للترجمة، وهو ما سأحاول إثباته في هذا البحث.

فيما يلي مجموعة من عناوين أهم الكتب العربية القديمة والتي تميزت بإيقاعها الصوتي، ومحاولات ترجمتها إلى الإنجليزية، يتبين لنا من خلالها مدى توفيق المترجم وإخفاقه في حالات أخرى في المحافظة على المعنى والمبنى في آن واحد، كتاب 'القلقشندي' مثلا المعنون بـ 'صبح الأعشى في صناعة الإنشاء' قد يترجم بـ :

« Morning of the night-blind regarding the craft of secreterial style. »

أو كتاب 'الغزولي': 'مطالع البدور في منازل السرور' والذي يمكن ترجمته بـ :

« Rising of full moons regarding the abodes of delight. »

أو كتاب 'الجوبري' الصادر في القرن الثالث عشر ميلادي بعنوان: 'المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار' والذي يترجم بـ

« Choicest items regarding the uncovering of secrets and rending of veils. »

أو كتاب 'ابن قيم الجوزية' الذي جاء بعنوان: ' روضة المحبين ونزهة المشتاقين'، أي:

« Meadow of lovers and diversion of the infatued. »

أو مقدمة 'ابن خلدون' التي جاءت تحت عنوان: 'كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر'، والذي يصعب المحافظة على مبناه من حلال الترجمة:

« Book of lessons, the record of subject and predicate on the times of Arabs, Non-Arabs, and Berbers. »

كتاب آخر لـ'المقري' التلمساني حول تاريخ الأندلس وغرناطة الضائعة من يد العرب بعنوان: 'نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب'، والذي يمكن ترجمته بـــ:

« Waft of fragrance from Al-Andalus's luscious branch. »

أو كتاب 'النويري' ' نهاية الأرب في فنون الأدب'، والذي يمكن ترجمته بـــ:

« The Goal of desire concerning the categories of Adab. »

إذا غالبا ما تبدأ صعوبات الترجمة من العناوين، يكفي فقط ذكر مجموعة من عناوين الكتب العربية القديمة بالخصوص ليتبين لنا مقدار هذه الصعوبة، فكتاب 'علي مبارك' مثلا والذي جاء بعنوان "الخطط التوفيقية الجديدة" ذلك لأن هذا الكتب صدر خلال فترة حكم 'الخديوي توفيق' فهو يتناول مدينة القاهرة في تلك الفترة بمن خلال دراسة طوبوغرافية جغرافية، هذا العنوان إذا لا يمكن أن يترجم إلا بإضافة جملة تفسيرية. سيترجم مثلا كالآتي:

« Modern Districts of Cairo (during the reign of Khedive Tawfiq. »

في بعض الأحيان يمكن الإتيان بترجمة تحافظ على المبنى والمعنى، مثل كتاب 'ابن إياس' وعنوانه: 'بدائع الزهور في وقائع الدهور' ويمكن ترجمته بـ:

« The Choicest blooms concerning the incidence of dooms. »

أو كتاب 'المقدسي': ' أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم' والذي يمكن ترجمته بـــ:

.«The Best divisions for knowing the regions.»

في أحيان أخرى يجب أن يكون المترجم متشبعا بثقافة الآخر من أجل تقريب الفهم أثناء الترجمة، حيث يمكنه ترجمة كتاب 'حي ابن يقظان، أسرار الحكمة المشرقية' لابن طفيل إلى الإنجليزية كما يلي:

«philosophus autodidactus, the secrets of eastern wisdom »

بدلا من الترجمة الحرفية « Alive the son of Awake. » والتي تعد عبثية نوعا ما، في هذا المثال اعتمدت على ترجمة (Edward Pocock) والتي يألفها الغربيون. كلمة 'السجع' هي الأخرى لا يمكن ترجمتها بكلمة واحدة في اللغة الانجليزية، بل يجب تعويضها بجملة كاملة : « Rhymed and cadenced discourse »، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن القارئ الأجنبي يجهل أن هذه الكلمة كانت تعني في بادئ الأمر بالنسبة للإنسان العربي 'هديل الحمام' «.The cooing of dove »، ولهذه يجب أن ترفق الترجمة بملحوظة أسفل الصفحة.

سيكون الفصل الثاني مكثفا بعض الشيء، إذ سيتعرض لأهم النظريات الفلسفية واللغوية (اللسانية) والأدبية بالإضافة إلى آراء أبرز من نظروا للترجمة في القديم وفي العصر الحديث، سواء كانوا فلاسفة أو لغويين أو أدباء أو مترجمين.

أما الفصل الثالث في هذا البحث فسيهتم بموضوع المقامات وسأحاول من خلاله الإجابة عن أهم الأسئلة التي تتكرر دوما كلما تطرقنا إلى دراسة أدب المقامات من قبيل: من هو مبتكر فن المقامات؟ ما هي الخصائص الفنية للمقامة؟ وهل انتقلت المقامة إلى الآداب الأخرى؟

أما الفصل الرابع فسيتطرق إلى موضوع ترجمة المستشرقين للأدب العربي، وأهم الاستراتيجيات التي اتبعوها في ترجماتهم. وتكملة للمثال السابق، أقول أنه وعلى الرغم من صعوبة ترجمة النصوص الأدبية القديمة، إلا أن كانت محل اهتمام لا نظير له من قبل المستشرقين، عكس النصوص الحديثة نسبيا، التي صدرت في عصر النهضة العربية مثلا، التي لم تنل نفس الاهتمام والحظوة لدى المستشرقين. إن اهتمام المستشرقين وافتتانهم باللغة العربية، أدى بهم إلى حد عنونة كتبهم باللغة العربية، بنفس الأسلوب الذي كان متبعا لدى الأدباء العرب القدماء. مثال ذلك هذه المجلة التي طبعت في النمسا باللغتين الفرنسية والألمانية، والتي تضم ترجمات ودراسات لأهم النصوص الأدبية العربية، إذ جاء عنوانها كالتالي:

"مخزن الكنوز المشرقية، ومعدن الرموز الأجنبية"
"تأليف جماعة من الأدباء، بهمة زين الشرفاء ونجلاس قونت سياوشكي"

أما العنوان باللغة الفرنسية فقد جاء في الصفحة الثانية للمجلة، وهو:« Mines de l’Orient »،

« Exploitées par une société d’amateurs, sous les auspices de M. Le Comte Venceslas Rzevusky. »

أما في الفصل الخامس والأخير، فسأحاول التعريف بالمترجمين المستشرقين، وأذكر أهم تعليقاتهم وملاحظاتهم، وأهم العوامل الخارج نصية التي ساهمت في التحكم بترجماتهم للمقامات، دون أغفل تحليل بعض الترجمات.

في الأخير يجب التنويه إلى أنني اعتمدت في هذا البحث على كتاب 'بول ريكور' "عن الترجمة" بنسختيه الأصلية و المترجمة إلى العربية من طرف الدكتور حسين خمري. هذا العمل كان السبب المباشر في اختيار موضوع المذكرة و الذي يتناول فيه الفيلسوف" بول ريكور" فكرة قابلية وعدم قابلية الترجمة. إن الكتاب وإن كان يبدو بسيطا للوهلة الأولى إلا أن القراءة المتأنية سرعان ما تكشف عن عمق ما يحتويه من أفكار، هذا البحث هو عبارة عن إعادة قراءة لمجمل أفكار هذا الكتاب، ومحاولة لشرح أهم ما يحتويه من مفاهيم مستغلقة من قبيل 'اللغة المثالية'، 'اللغة الكونية'، وفرضية 'كواين'. وهي كلها مسائل هامة حاولت في هذا البحث تجليتها قدر الإمكان، في الفصلين الأول والثاني.

بالإضافة إلى كتاب 'بول ريكور' فقد اعتمدت أيضا على كتاب الدكتور 'حسين خمري' حول الترجمة، والذي صدر مؤخرا بعنوان (L’Auteur de l’Ombre)، هذا الكتاب يعد من بين أولى الكتب في مجال دراسات الترجمة التي أشارت إلى دور العوامل الخارج نصية في الترجمة.

أما الكتاب الثالث، فهو كتاب الدكتور 'حسين خمري' أيضا، والذي هو في الحقيقة ترجمة لكتاب 'إرنست مرسييه' (الترجمة في الجزائر)، والمميز في هذا الكتاب هو مقدمة الدكتور 'حسين خمري' التي يشير فيها إلى علاقة الإستشراق بالأدب العربي واللغة العربية والترجمة.

الباب الأول: الدراسة النظرية.

الفصل الأوّل:

حدود الترجمة

مدخل إلى الفصل الأول:

لم تكن الترجمة هي الحل الوحيد الذي لجأ إليه الناس عبر مختلف العصور لـ'معالجة' الارتباك اللساني أو تعدد اللغات، والدليل على ذلك أنه وفي فترات تاريخية متلاحقة كانت هناك عديد المحاولات لإنشاء لغات عالمية مساعدة تتكلمها جميع الأمم وذلك بغية تسهيل التواصل بين أفراد الجنس البشري.

صحيح أن الترجمة كانت منذ آماد سحيقة ولا تزال حتى يومنا هذا أداة للتواصل بين الشعوب والأمم، ووسيلة مثلى للإطلاع على الآخر، ونشاطا إنسانيا يُعترف بأهميته وقيمته، حيث يقول 'حمدان خوجة'، وهو شاهد عيان على الفترة العثمانية بالجزائر، عن الترجمة أنها: "وظيفة هامة جدا" وهي مهمة كان يضطلع بها في تلك الفترة: "الترجمان الذي هو مترجم البلاط، أو أمين اللغات الأجنبية..."[1] غير أن التاريخ يروي لنا أن هناك من نظر إلى الترجمة بعين الارتياب، "وبصيغة الإغريق والقروسطيين فإنها ضرورية مثل التجارة والأنشطة المالية الأخرى؛ لكنها تظل في جميع الأحوال أنشطة محتقرة وعديمة القيمة، فـ'المتاجرة' التي تقوم بها الترجمة هي عملية مريبة وكاذبة وغير طبيعية، وهو ما عبّرت عنه الاستعارات حول الترجمة على مدى تاريخ الغرب." [2]

لكن ما مردُّ هذا الارتياب؟ ما هي الأسباب التي ساهمت في ترسيخه؟ يُمكن أن نجد إجابة جاهزة وسريعة في كتاب 'بول ريكور' 'عن الترجمة' حيث يقول: " فقبل التراجمة المحترفين كان هناك الرحالة والتجار والسفراء والجواسيس، أي كثير من مزدوجي اللغة ومن متعددي اللغات (Polyglottes)."[3] أي أن مهنة الترجمة لم تكن منظمة كما هو الحال في أيامنا هذه، وإنما كان يقوم بها كل من هب ودب، يكفي فقط لمن يتولى هذه المهمة أن تكون له معرفة ولو سطحية بلغة الآخر. وهكذا فقد احتفظ المترجم في الوعي الجماعي الغربي، منذ حادثة بابل، بتلك الصورة السلبية لذلك الخائن المحتمل.

> «Dans la conscience collective occidentale, le traducteur véhicule ainsi une image foncièrement négative qui, depuis Babel, [..] fait de chaque traducteur un traître potentiel. »[4]

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة. تقديم وتعريب وتحقيق: د. محمد العربي الزبيري. تصدير: عبد العزيز بوتفليقة. منشورات ANEP، سلسلة التراث، 2005. ص.117.

[2] أنطوان برمان. الترجمة والحرف أو مقام البعد. ترجمة: عز الدين الخطابي. المنظمة العربية للترجمة، ط: 1، بيروت، 2010. ص: 65.

[3] بول ريكور. عن الترجمة، ترجمة: الأستاذ الدكتور حسين خمري. منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2008. ص: 33.

[4] Britta Benert – Christine Hélot. Traduction et Altérité. In : Neohelicon, Volume 36 XXXVI, Issue 1, 2009, Springer Netherlands. P. 122.

لا يمكن حصر الارتياب تجاه الترجمة بسبب واحد فقط، فهناك أسباب عديدة سأناقشها في هذا الفصل، لعل أهمها مجموع الأفكار المتعلقة باللغة والتي كانت سائدة قبل ظهور التفكير اللساني الحديث، التي لا يُمكن سوى أن توصف بأنها كانت في مجملها أفكارا حدسية قائمة في جزء منها على أساس قراءات تخمينية للنصوص الدينية اليهودية والمسيحية، وهي الأفكار التي حددت في نهاية المطاف طبيعة ومسار البحث اللغوي، فليس هناك من شك أن آراء الكتاب المقدس في موضوع اللغة بقيت لعدة قرون تُحدّد نوع الأسئلة – وكذلك طبيعة الأجوبة- التي كانت تُعد مشروعة.

> « But there is no doubt that the Biblical pronouncements on the subject of language for many centuries limited the kind of questions - and the kinds of answers - which were regarded as legitimate. »[1]

المبحث الأول: الترجمة بين الإنكار والقبول.

1- تعدد اللغات والترجمة:

وُجِـدَت الترجمــة لأن البشــر يتكلمــون لغــات مختلفــة، «Translation exists because men speak different languages.»[2] هكـذا يسـتهل 'جـورج سـتاينر' (George Steiner) الفصـل الثـاني مـن كتابـه حـول الترجمـة والتعـدد اللغـوي (After Babel) (مـا بعـد بابـل)، أخـرج من هذه المقدمة البسيطة بفكرتين أساسيتين:

الفكرة الأساسية الأولى عبارة عن حقيقة بدهية[3] «*Truism*» ليس بوسع أي أحد أن ينكرها أو يقفز فوقها، وهي أنَّ في هذا العالم تعددية لغوية وثقافية وعرقية هائلة لا يمكن تجاوزها إلاَّ بالترجمة، إذ يُقَدِّر علماء الأعراق عدد اللغات الموجودة حاليا في العالم و ذلك حسب آخر الإحصاءات ما بين (3000 إلى 7000)

---

[1] **Roy Harris and Talbot J. Taylor. Landmarks in Linguistic Thought I : The Western tradition from Socrates to Saussure. Routledge, London and New York. Second edition, 1997. P. 35.**

[2] **George Steiner, After Babel (Aspects of Language and Translation), Third Edition, Shanghai Foreign Education Press, 2001, P. 51.**

[3] **ibidem.**

لغة محكية، على أن الرقم الأكثر تداولا هو (6000)[1] لغة محكية، والسبب وراء عدم دقة وتحديد هذه الإحصاءات له ما يبرره إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار جملة من العوامل والظروف التي تقف كحجر عثرة أمام علماء الأعراق. أوّلها: غياب المعرفة الكافية بالحالة اللغوية في بعض المناطق المنعزلة و البعيدة عبر العالم أو تعذُّر الوصول إليها، و يُصطلح على هذه المناطق القليلة الارتياد بـالمناطق البيضاء، *« Zones blanches »*[2] *« Blank spaces »*[3] مثل 'غينيا الجديدة' « New Guinea » التي تضم لوحدها أكثر من (1000) لغة. أمَّا العامل الثاني فيمكن ردُّهُ إلى صعوبات التفريق بين اللهجة و اللغة؛ بمعنى أوضح: التقرير إنْ كانت بعض الأشكال اللغوية تؤلّف لغات مختلفة أم أنها عبارة عن لهجات مختلفة عن لغة واحدة وفي هذه الحالة يتم استثناؤها من الإحصاء؛ ولعلَّ أحسن مثال على ذلك يمكنني أن أسوقه هنا هو المثال الفرنسي، فبالرَّغم من وجود عدة مجتمعات لغوية داخل التراب الفرنسي تشكّل هويات إقليمية متميزة، على غرار اللغات البريتانية (Breton) والكاتالانية (Catalan) والباسكية (Basque)، إلاَّ أنَّ الجمهورية الفرنسية لا تعترف سوى باللُّغة الفرنسية كلغة رسمية. أمَّا العامل الثالث فيعود بكل بساطة إلى موت اللغات وذلك بانحسار استعمالها أو بموت آخر متكلّم من متكلّميها، "إن هناك لغة واحدة تنقرض كل أسبوعين."[4]

إنْ كان من غير المقدور عليه تقدير عدد اللغات المحكية في العالم فإننا نستطيع على الأقل تحديد عدد اللغات الرئيسية والتي يصل عددها إلى (19) وهي: اللغة العربية والصينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية واليابانية والكورية والروسية والإسبانية والبرتغالية والملايوية-الإندونيسيَّة والهندية و(البنجابية والماراثيَّة والتاميليَّة والتيلوجيَّة والبنغالية) والأردية*، أما اللغات الأكثر تداولا فلا يتجاوز عددها (6) لغات وهي لغات العمل في هيئة الأمم المتحدة.[5] لعل أحسن ما يُمكن القيام به دون اللجوء إلى ترجمات، حسب 'مادام دو ستايل' (Madame de Staël)، يكمن في معرفة جميع اللغات التي كُتبت بها أعمال كبار الشعراء كالإغريقية واللاتينية والإيطالية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والألمانية، غير أنَّ القيام بذلك يتطلب وقتا طويلا ومساعدة أكبر، ومع هذا لا يمكن للمرء أن يُقنع نفسه بأنه يستمتع بهذا الفكر وذلك لصعوبة اكتساب هذه اللغات والإحاطة بها بشكل جيد.

---

[1] **Les Cahiers de Science & Vie, Hors Série n°118, Aout-Septembre 2010, Les Origines Des Langues, P. 12.**
[2] **ibidem.**
[3] **George Steiner. Op. Cit. P. 56.**
[4] **زاد العلوم: موت لغة. في: مجلة القافلة، مجلة ثقافية تصدر كل شهرين. مارس-أبريل 2010، العدد 2 المجلد 59، الناشر: شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية). ص: 44.**
* اللغات التي جاءت بين قوسين هي لغات محكية في الهند وتكتب بالإنجليزية-مع مراعاة الترتيب- كما يلي: (Punjabi, Marathi, Tamil, Telugu & Bengali) أما اللغة الأردية (Urdu) فهي لغة باكستان وبعض أجزاء الهند وتكتب بالأحرف العربية.
[5] **الموسوعة العربية العالمية (Global Arabic Encyclopedia). النسخة الإلكترونية. أنظر مادة: اللغة.**

« La meilleure manière, j'en conviens, pour se passer des traductions, serait de savoir toutes les langues dans lesquelles les ouvrages des grands poètes ont été composés ; le grec, le latin, l'italien, le français, l'anglais, l'espagnol, le portugais, l'allemand: mais un tel travail exige beaucoup de temps, beaucoup de secours, et jamais on ne peut se flatter que des connaissances si difficiles à acquérir soit universelles.»[1]

إنَّ قدرة الإنسان على اكتساب تلك اللغات محدودة، قلة قليلة هي تلك التي تستطيع أن تطّلع على ثقافات الشعوب الأخرى في لغاتها الأصلية فـ: "هذا الخيار ممكن من الناحية العملية بصورة جزئية فقط، ولنسبة ضئيلة من الناس، أمَّا السواد الأعظم من المتلقين فهو بحاجة إلى الترجمة ولا يستطيع التواصل بدونها مع الثقافات الأجنبية."[2] وطبقا لمصادر موثقة فإن سجلات التاريخ تشير كما يقول 'جورج ستاينر'، إلى وجود أفراد تمكنوا من اكتساب وإتقان ما يربو عن خمسةٍ وعشرينَ لغةً أجنبيةً. ولكن 'جورج ستاينر' يضع استثناءا من نوع آخر أمام هذه الفئة القليلة وهي محدودية الحجم الزمني لعمر الإنسان في هذه الحياة.

« There are reliable records of polyglots with some measure of fluency in anywhere up to twenty-five languages. Is there any boundary other than the time span of individual lives ? »[3]

تذكر المصادر التاريخية أنَّ الملك 'ميثريداتس الأكبر' (Mithridates the Great) الذي كان يتقن 22 لغة أجنبية، وهي لغات الأقاليم التي كانت تخضع لسلطانه، كان يتحدث مع رعيته بشكل مباشر دون وساطة المترجمين[4]. كما يذكر التاريخ أيضا المترجم و المستشرق والرحالة البريطاني الشهير الذي ترجم قصص 'ألف ليلة وليلة' إلى الإنجليزية، وهو ' السير فرانسيس ريتشارد بيرتون' (Sir Francis Richard Burton)، الذي عُرِفَ عنه بأنه تعلم أكثر من ثلاثين لغة أجنبية *. «During the course

---

[1] **Anne-Louise-Germaine Madame de Staël Holstein. Œuvres complètes de Madame de Staël, Volume 9. Hauman, 1830. P. 300.**

[2] **د. عبده عبود. هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. 1995. ص: 15.**

[3] **George Steiner, Ibid. P. 301.**

[4] «Mithridates communicated with his subjects (without the use of interpreters) in the 22 languages spoken in his territories.» *the previous quotation In :* **Geneviève Zarate, Danielle Lévy, Claire J. Kramsch. Handbook of Multilingualism and Multiculturalism. Archives contemporaines, 2011. P. 379.**

* كان تعلم عدد كبير من اللغات الأجنبية واكتساب وتحصيل مختلف أنواع العلوم والآداب والمعارف، سمة من السمات التي ميزت ما يعُرف بالمثقف الموسوعي « Polymath » أو « Polyhistor»، والذي يُسمَّى أيضا بـ « Homme de renaissance» أي رجل عصر النهضة، بالإضافة إلى فئة المستشرقين « Orientalists » أمثال السير 'وليام جونز' (William Jones) الذي كان متمكنا من العربية والعبرية والفارسية

والنتيجة المنطقية إذن، of an adventurous life, Burton learned over thirty languages.»[1] هي أنَّ هذه 'الفئة القليلة' أو 'المترجمين' هي التي يعتمد عليها الناس لمعرفة الآخر و الولوج إلى عالمه، "أمَّا عن المنفعة فهي بديهية. إذا أردنا أن نقتصد في تعلم اللغات الأجنبية فإننا سنكون سعداء بوجود ترجمات."[2]

الفكرة الأساسية الثانية: مفادها أن الترجمة نشاط إنساني لا غنى عنه، كانت الحاجة إليها قديمة موغلة في القدم، فقد ارتبط وجودها بظهور اللغات وذلك بالنسبة للترجمة الشفهية وباختراع الكتابة بالنسبة للترجمة التحريرية، وتُشير الدراسات إلى أن الترجمة كنشاط قائم بذاته قد ظهرت منذ 4500 عام.[3] كما تشير النصوص التي كتبت على الألواح الطينية بالخط المسماري، والتي تعتبر أقدم الوثائق التاريخية على الإطلاق، إلى أن مهنة الترجمان كانت معروفة لدى السومريين الذين أطلقوا عليه في ذلك العهد تسمية *"إيمي بال"* ، أي 'مُبدل الكلام' أو الرجل القادر على الانتقال من لغة إلى أخرى، أما البابليون والآشوريون فقد أطلقوا عليه تسمية *"ترجومانوم"* وهي التسمية التي لم تتغير كثيرا رغم الهوة الزمنية السحيقة، وبفضل إجراء 'تغيير في مواضع الحروف' استطاعت هذه الكلمة أن تجد لها مكانا حتى في قاموس اللغة الألمانية: (دولميتش).

> « The profession of interpreter is attested in Sumerian texts [….] The term *eme-bal*, meaning something like "speech changer," designates a man able to change from one language into another. The Babylonian and Assyrian equivalent of the Sumerian *eme-bal* is *targumannum* (interpreter), a word that survives not only in the Aramaic *targum* (translation), but also in the Turkish *dragoman*, *turguman*, and so on

---

وضليعا في الدراسات اليونانية واللاتينية، كما كان شاعرا أيضا وفقيها في القانون وباحثا في علوم شتى. (للمزيد حول موضوع الاستشراق والترجمة أنظر الفصلين الثالث والرابع من هذا البحث).

[1] Daniel Weissbort and Astradur Eysteinsson. Translation- Theory and Practice : A Historical Reader. Oxford University Press, First published 2006. P. 251.

[2] بول ريكور. نفس المرجع السابق. ص: 42.

[3] Julio-César Santoyo. Blank Spaces in Translation History. In : Charting the Future of Translation History. Edited by : Georges L. Bastin and Paul F. Bandia. University of Ottawa Press, 2006. P. 13.

that by metathesis eventually led to the German form *dolmetsch* (interpreter). »[1]

غير أننا لا نستطيع أن نحدد بشكل دقيق تاريخ ظهور الترجمة الشفهية، شأننا في ذلك هو شأن الباحثين في أصل نشوء اللغات، فقد كثرت الفرضيات التي تناولت هذا الموضوع بين قائل بـ'المصدر الإلهي' « the divine source » لظهور اللغات وقائل بأنَّ اللغات جاءت 'محاكيةً لأصواتِ الطبيعة' « the natural sound source »، وبين معتقدٍ بأنَّ أصول أصوات اللغات تتضمن 'علاقة بين الوضع المادي أي 'الإيماءات' وبين أصوات النطق' « the genetic source » وفريق آخر يقول بوجود 'تلاؤم الفيزيولوجي' « the physical adaptation source ».[2] إلا أنَّ معظم مُنظّري الترجمة يربطون ظهور الترجمة بـ'أسطورة بابل' ويتبنّونها دون تحفظ، إنها تلك الحادثة التي جاء ذكرها في التراث اليهودي- المسيحي، فالقصة التوراتية لبرج بابل قد سحرت المترجمين وطلاب الترجمة زمنا طويلا. والعهد القديم يحتوي قصة عن السقوط في التنويع اللغوي، الذي يُقرأ غالبا كأسطورة لأصل الترجمة.

« The biblical story of the tower of Babel (Genesis : 11 :1-9) has long fascinated translators and students of translation. It contains the Old Testament story of the fall into linguistic diversity, which has often been read as a myth of the origin of translation.» [3]

جاء ذكر هذه الحادثة في سفر التكوين في الإصحاح الحادي عشر ومفادها أن الناس الذين كانوا يتكلمون لغة واحدة، قرروا تشييد برج عالٍ لبلوغ عنان السماء من أجل بلوغ المعرفة القصوى، غير أنَّ الرَّبَ عاقبهم وذلك بتعداد لغاتهم، حتى أضحوا لا يدركون مقاصد بعضهم البعض، والعلامة 'ابن خلدون' له رأيه حول هذا الموضوع:

" أصاب النمروذ وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البلبلة وهي المشهورة وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أعرف معناها. والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد في العادة

---

[1] **Jan Assmann. Translating Gods : Religion as a Factor of Cultural (Un)Translatabilty, In. The Translatability of Cultures : Figurations of the Space Between. ed by: Sanford Budick and Wolfgang Iser. Stanford University Press, Stanford, California, 1996. P. 27 – 28.**

[2] **George Yule. The Study of Language. Third edition, thoroughly revised & updated. Cambridge University Press, New York, Published in the United States of America, 2006. P. 1-6.**

[3] **Routledge Encyclopedia Of Translation Studies. Edited by: Mona Baker, London & New York. P. 21.**

إلا أن يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذٍ، ولم ينقلوه كذلك؛ والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم ولا يعقل في أمر البلبلة غير ذلك. "[1]

هكذا كان العبور من لسانٍ وحيدٍ إلى ألسنةٍ متعددةٍ، عوقب الناس (وذلك استنادا إلى التراث اليهودي-المسيحي) بواسطة التشتيت وعدم القدرة على التفاهم فكانت 'الترجمة'، وهو أحد الاعتبارين الاثنين اللذين خرج بهما الدكتور 'طه عبد الرحمن' من 'قصة بابل'، حيث أطلق على الاعتبار الأول تسمية 'التفاهم البعيد' وهو عكس 'التفاهم القريب': "...فهذا تفاهم قريب ييسره الاجتماع على لغة مشتركة، وذلك تفاهم بعيد يعترضه الاختلاف بين لغات متباينة في مبانيها ومعانيها؛ ولا سبيل إلى هذا التفاهم البعيد إلا بسلوك طريق الترجمة التي سوف تتولى تهذيب الفروق في المباني وتذليل الخفاء في المعاني."[2] أما الاعتبار الآخر الذي استخلصه الدكتور 'طه عبد الرحمن' من 'قصة بابل' فيسميه بـ'الخفاء المعنوي' ومفاده أن انقسام اللغات وتفرعها عن اللغة الأولى؛ التي تتصف بالشمولية و المثالية؛ جعلها تتمايز فيما بينها، فهي ناقصة بالضرورة مقارنة باللغة الأولى الأصلية، ذلك أن كل لغة من هذه اللغات كانت قد أخذت شيئا عن اللغة الأولى لم تأخذه باقي اللغات، وهو ما يجعل كل واحدة منها متميزة في وجه من الوجوه عن اللغات الأخرى، إذ " لم تعد الحقيقة وقفا على لغة واحدة تنقل عقلا واحدا وتجمع بين أفراد مجتمع واحد، بل صارت ملكا مشاعا بين لغات متباينة تحمل مدارك متفاوتة، وتتكلمها مجتمعات متباعدة؛ وحيثما تقررت المباينة، تعثرت الإبانة، فاللسان الذي يختلف عن غيره من الألسنة من وجوه مخصوصة، يخفى عليها من هذه الوجوه، فيكون الاختلاف اللغوي بذلك سببا في الخفاء المعنوي."[3]

2- عدم قابلية الترجمة:

إن القول بوجود عنصرية لسانية، هو قول صائب إلى حد بعيد، إذ يُساعدنا على فهم الدافع وراء حظر ترجمة العديد من النصوص عبر التاريخ وجعلها بعيدة عن الخارجين أو 'المندسين'، ولأن الأصول أسطع مما ينبغي فترجمتها إلى اللغات (التي يُنظر لها على أنها 'أخرى') أو إلى لغة الجماهير أو اللهجات الطبقية والعاميات 'المُحتقرة'، ستُفقدها قدرتها وتجعل منها نصوصا مبتذلة أو سوقية، ويذهب الباحث المغربي 'عبد الفتاح كيليطو' أبعد من ذلك، مقترحا:

---

[1] ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون. بيروت، دار الفكر، ج، 2، ص: 78.
[2] د. طه عبد الرحمن. فقه الفلسفة: 1- الفلسفة والترجمة. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1995. ص: 62-63.
[3] د. طه عبد الرحمن. نفس المرجع السابق. ص: 62.

" يمكن للصراع أن ينحو نحوا أكثر جذرية، فتأبى الثقافة أن تكشف عن ذخائرها: أرفض أن تُقرأ كتبي، وأن تترجم، لن تطلع على أدبي، لن تتمكن من كشف كنوزي، وفي مقدمتها النصوص التي أعتبرها مقدسة، فأمنع نقلها إلى لغة أخرى، خارج نطاقي.....لماذا هذا الموقف إزاء الترجمة؟ خوفا من أن تُلحق النسخة الأجنبية الضعف بالنص، أو أن تُظهره، على العكس من ذلك، أحسن مما هو عليه، وأن يخرج منها قوي الشوكة، الأمر الذي قد يترتب عنه أن تفقد اللغة الأصلية طابعها الأساس الذي لا يُعوض. هذا النفور من الترجمة لا يُلاحظ فحسب عندما يتعلق الأمر بالنصوص الدينية، وإنما حتى بالنصوص الحكمية أو الأدبية في بعض الأحيان."[1]

عدم قابلية الترجمة عند الإغريق:

تميز الإغريق بشكل عام بأنهم كانوا شعبا متحضرا وصنفوا كل من لا يتكلم لغتهم في صنف البرابرة الهمجيين. إن كلمة 'برابرة' حسب 'تزفيتان تودوروف' (Tzvetan Todorov) كانت تشكل تضادًا مع كلمة أخرى، ومن خلال هاتين الكلمتين كان بالإمكان تقسيم سكان المعمورة إلى قسمين غير متساويين: الإغريق، أي 'نحن'، والبرابرة'، أي 'الآخرون'، أي الغرباء. ولكي يتم الاعتراف بإنتماء شخص ما إلى هذه المجموعة أو تلك كان المقياس هو امتلاك ناصية اللغة اليونانية؛ فالبرابرة كانوا كل أولئك الذين لا يفهمون هذه اللغة ولا يتكلمونها، أو الذين يتكلمونها بشكل سيء.

«They made it possible for the population of the whole world to be divided into two unequal parts: the Greeks (or ‘us’), and the barbarians (the ‘others’, the foreigners). In order to recognize whether a person belonged to one or other group, you resorted to the Greek

[1] عبد الفتاح كيليطو. أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2013. ص.48.

language: the barbarians were all those who did not understand it or speak it, or spoke it badly.» [1]

نزعة التمركز العرقي هذه أو ما عبر عنه 'نيكولاس أوستلر' (Nicholas Ostler) بـاحترام الذات الأخاذ في اللغة الإغريقية [2] « ...the engaging self-regard of Greek...» جعلت الإغريق و اللاتينيين - بدرجة أقل- لا يولون اهتماما كبيرا بالترجمة، فلم يترجموا إلا نادرا، وذلك لإيمانهم العميق بتفوقهم اللغوي، وبالتالي لا توجد أي ضرورة تستدعي الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى لأنها لا ترقى حسبهم إلى مستوى الفكر الإغريقي، فـ" لما كان اليونانيون يعتبرون أنفسهم الشعب الأكثر تحضرا والذي يحمل ثقافته للشعوب الأخرى، فإنهم لم يترجموا إلا النزر اليسير، لأن لغتهم كانت منتشرة في البحر الأبيض المتوسط كله"[3]. وهكذا فقد عاش الإغريق في حالة من الاكتفاء الذاتي ثقافيا وفكريا، أما اللاتينيون فقد انحصرت الترجمة عندهم على الآثار الإغريقية دون سواها، فقد "كانت روما تنظر إلى اليونان دائما باعتبارها أم الفن والفلسفة."[4] فالرومان، كانوا قد بنوا لأنفسهم لغة وأدبا مُعتمدين في ذلك على حركة كبرى لترجمة الإغريق وضمهم والتوحد معهم والامتزاج بهم، ويكفي دليلا على ذلك ذكر مؤلف كـــ 'بلاوتيوس'*.

« Les Romans se sont constitué une langue et une littérature sur la base d'un immense travail de traduction des Grecs, de symbiose, de syncrétisme et d'annexion: il suffit de penser à un auteur comme Plaute.»[5]

---

[1] Tzvetan Todorov. The Fear of Barbarians, Beyond the Clash of Civilizations. Translated by : Andrew Brown. The University of Chicago Press. Printed in the United States of America, 2010. P. 14

[2] Nicholas Ostler. Empires of the word : a language history of the world. Harper Collins Publishers. © October 2010 ISBN: 978-0-062-04735-9. EPub Edition.

[3] جوئيل رضوان .موسوعة الترجمة، ترجمة :محمد يحياتن .منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو .ص: 8.

[4] س. م. بـاورا. الأدب اليونـاني القـديم, ترجمـة: محمـد علـي زيـد وأحمـد سـلامة محمـد، راجعـه: د. محمـد صـقر خفاجـه. دار القوميـة العربية. ص: 155.

* تيتيوس ماكيوس بلاوتيوس (Titus Maccius Plautus): (250 قبل الميلاد- 184 قبل الميلاد)، كاتب مسرحيات هزلية روماني، اقتدى في كتابة مسرحياته بالكوميديا الإغريقية الجديدة Greek New Comedy (مسرحيات إغريقية كانت سائدة من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد إلى غاية منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، كانت تقدم المجتمع الأثيني في تلك الفترة من خلال رؤية تهكمية لطيفة)، أثرت أعمال 'تيتيوس' في الكوميديا الأوروبية ابتداءا من عصر النهضة والفترة التي تلت ذلك العصر، هذا التأثير تجلى بشكل واضح في (Comedy of Errors) 'كوميديا الأخطاء' لـ' شكسبير' (Shakespeare) و (l'Avare) 'البخيل' لـــ'موليير' (Molière) .

[5] Antoine Berman. L'Epreuve de l'Etranger, culture et traduction dans l'Allemagne romantique. Paris, Gallimard, 1984. P. 59.

3 – ترجمة الكتاب المقدس:

يشتمل 'الكتاب المقدس' (The Bible) على العهدين القديم والجديد، أي كتاب اليهود وكتاب النصارى، وإذا كانت المسيحية ديانة تبشيرية تستدعي الترجمة، فالديانة اليهودية ليست كذلك. وإذا ما استدعت الضرورة ترجمة النصوص اليهودية، فيجب علينا أن نضع في الحسبان أنها لا تحظى جلها بنفس الدرجة من القدسية في التقليد اليهودي، فإذا كنا نعلم أن العهد القديم يُعتبر مقدسا، فيجب أن نعلم أيضا أن « Torah »'التوراة' أو ما يعرف بـ « Five books of Moses » 'أسفار موسى الخمسة'، تُعد أكثر قدسية مما عداها، وداخل التوراة نفسها نجد أن « the Ten Commandments » 'الوصايا العشر' تعتبر أقدس من كل الأجزاء الأخرى، كذلك يُعد « Genesis » 'سفر التكوين'، على سبيل المثال، وهو الكتاب الأول من 'التوراة' أقدس من « Song of Songs » 'نشيد الأناشيد'، غير أننا لا يجب أن ننسى أنَّ 'نشيد الأناشيد' هو جزء من العهد القديم، وبالتالي فهو يستمد قدسيته من كونه 'متضمنا' في القوانين المقدسة « the sacred canons ».[1] كانت هذه نظرة عامة حول 'الكتاب المقدس'، أما عن ترجمته فسأورد فيما يلي بعض المحطات التاريخية الهامة في أماكن متفرقة من العالم، محاولا قدر المستطاع حصر تخوم الممكن واللاممكن في الترجمة.

حظر ترجمة الكتاب المقدس في إنجلترا خلال العصر الوسيط:

بقي الكتاب المقدس من القرن الثالث الميلادي (تاريخ دخول المسيحية إلى بريطانيا) إلى غاية عصر النهضة طيّ اللغة اللاتينية، وعلى الرغم من أن قسما كبيرا من العامة كان لا يفهم اللاتينية، إلا أن الكهنة كانوا يتلون ترجمة 'جيروم' على أبناء أبرشياتهم، وهو ما أثار حفيظة البروتستانتيين الأوائل الذين تحدوا سلطة الكنيسة الكاثوليكية اللامحدودة، والهرمية التي كانت تفرضها على المجتمع. وقد تلا المحاولات الأولى لترجمة الكتاب المقدس إلى الإنجليزية صراع سياسي اجتماعي كبير، كما كانت محل مناظرات دينية عنيفة، ساقت في أغلب الأحيان المترجمين إلى حتفهم، لعل أشهرهم على الإطلاق هو العالم المترجم 'وليام تندايل' (William Tyndale) (1494-1536م) الذي كانت نهايته الشنق ثم الحرق مشدودا إلى وتد مكافئة له على ترجمته. كانت دعوى الكنيسة في ذلك الحين، أنَّ جعل النصوص المقدسة بين يدي العامة يعني أن لآلئ الإنجيل قد تبعثرت بين الكلاب وديست بأرجل الخنازير.

---

[1] **Benjamin H. Hary. Translating Religion (Linguistic Analysis of Judeo-Arabic Sacred Texts From Egypt). Etude sur le Judaïsme médiéval. Dirigées par : Paul B. Fenton. Tome XXXVIII. Brill, Leiden-Boston, 2009. P. 54.**

«If these utterances were public property […] it would seem that holy things were indeed given to the dogs and pearls cast before swine. » [1]

صدر في إنجلترا، عام 1409 ميلادي، أمر يمنع صدور أي ترجمة غير مرخصة للكتاب المقدس، جاء ذلك بعد سنوات قليلة من صدور تشريع أُطلق عليه تسمية 'De heretico comburendo' (On the burning of the heretic) أي 'حول حرق المهرطق' سنة 1401 ميلادي، والذي كان يستهدف المترجمين، وهي السنة التي شهدت بداية نقاش أكاديمي في جامعة 'أوكسفورد' « the Oxford debate » حول موضوع ترجمة 'الكتاب المقدس'، شارك فيه بشكل رئيسي الفرنسيسكاني (William Butler)، والدومينيكاني (Thomas Palmer)، والأكاديمي (Richard Ullerston)[2] من جامعة 'أوكسفورد' وقد استعرض هؤلاء في نقاشهم أهم الحجج التي تقف ضد ترجمة 'الكتاب المقدس'. سأتناول فيما يأتي، بشكل موجز، بعض أهم الحجج والتي وردت على جبهتين اثنتين، وهي عبارة عن حجج لغوية واجتماعية. أما في ما يخص الحجج اللغوية، فيرى هؤلاء الأكاديميون أن هناك فرقا بين اللغات الرئيسية « principal languages » كاللاتينية والإغريقية والعبرية، واللغات الأدنى مرتبة وشهرة « lesser languages 'minus principales et famosas' »، كالإنجليزية مثلا. وبما أن اللغة اللاتينية هي لغة نحوية، أي أن نحوها يُدرّس في المدارس بشكل رسمي ومنهجي، فهي تعتبر بمثابة أرقى اللغات وأحسنها، تماما كالإغريقية والعبرية، عكس اللغات الأدنى مرتبة التي تفتقر إلى النحو، وبالتالي فإن عوز هذه اللغات الدنيا مقارنة بثراء اللغات العليا يجعل من الترجمة مستحيلة استحالة تامة.

«The lesser languages do not have such a grammar, and their thinness ('peniuriam'), exposed by comparison with the richness of the superior languages, makes translation all but impossible.»[3]

بالإضافة إلى ذلك فالإنجليزية كانت تفتقر للعلامات الإعرابية، كما أنها كانت تحتوي على عدد كبير من الكلمات أحادية المقطع « Monosyllabic words »، مما يضطر المترجم إلى اللجوء إلى الإطناب للتعبير عن بعض المعاني المعقدة في اللاتينية، والنتيجة بالتالي هي أن الترجمة إلى لغة 'همجية' كالإنجليزية تعد أمرا مستبعدا تماما.

---

[1] Roger Ellis. Figures of English Translation, 1382-1407. In: Roger Ellis and Liz Oakley-Brown. Translation and Nation (Towards a Cultural Politics of Englishness). Topics in Translation: 18. Multilingual Matters Ltd. Printed and bound in Great Britain, 2001. P. 21.
[2] Ibid. P. 7 – 47.
[3] Ibid. P. 22 – 23.

«Translation into a ‘linguam barbaricam’[barbaric tongue] like English is therefore ruled out.»[1]

أما في ما يتعلق بالحجة الاجتماعية، فيرى هؤلاء أنه يتعين على مترجمي 'الكتاب المقدس' أن يكونوا حاصلين على تفويض خاص لإرشاد العامة من الناس عن طريق الوعظ، وعدم التقيد بذلك سيؤدي إلى خلخلة النظام القائم. ففي حالة ما إذا كان بإمكان المؤمن العادي أو أحد أفراد العامة والبسطاء « the simple faithful (‘laici…et simplices’) » بل أسوأ من ذلك، في حالة ما إذا كان بإمكان 'أهل الريف من الفلاحين' « the peasantry (‘rusticus’) » والأسوأ من ذلك كله، إذا كان بإمكان 'النساء' « women »[2] أن يشرحوا/يشرحن محتوى الكتاب المقدس ويترجموه إلى لغة العامة، فإن ذلك سيحط من قدر الكهنة، ويتسبب في ضرر جماعة 'الرهبان المتسولين'، وينجم عنه ازدراء المثقفين والعلماء والمعلمين.

« It would derogate honour from priests and disadvantage the *Mendicants* and would result in disrespect for scholars and teachers. »[3]

صعوبات ترجمـة الكتاب المقدس فى بلاد الصين:

قادت الرغبة في التبشير بالمسيحية – متضافرة مع الحاجة إلى التجارة- الأوروبيين إلى ارتياد أراضي الشرق الأقصى، وإذا كان النشاط التبشيري الكاثوليكي قد بدأ في الصين سنة 1583 ميلادي مع اليسوعيّين* الإيطاليّين 'ميكيلي روغياري' و 'ماثيو ريتشي' (Michele Ruggieri & Matteo Ricci)، فإن ما يلفت الانتباه هو أن البعثات التبشيرية المتعاقبة لم تستطع إصدار ترجمة كاملة باللغة الصينية للعهد الجديد وجزء من العهد القديم إلا مع نهاية القرن الثامن عشر وذلك بفضل عمل اليسوعي (Louis de Poirot)، الذي قام بالترجمة إلى الماندارينية العامية (أي: اللغة الصينية الحديثة) وذلك اعتمادا على 'الفولغيت' « Vulgate » (أي: الترجمة اللاتينية للإنجيل التي قام بها إلى حد كبير القديس جيروم). وفي غياب ترجمة كاملة للكتاب المقدس قام المبشرون بتبني طرق غير مألوفة لإيصال الرسالة

---

[1] **Ibid. P. 22.**
[2] **Ibid. P. 24.**
[3] **Ibidem.**

* اليسوعيّون= Jesuits، أعضاء جمعية رهبانية كاثوليكية أسسها القديس 'إغناطيوس لويولا' (St Ignatius Loyola) و'القديس فرانسيس خافيير' (St Francis Xavier) وآخرون سنة 1534 ميلادي في باريس، والاسم الرسمي للجمعية هو 'جمعية يسوع المسيح'. قدمت الرهبنة الكثير من المستكشفين والمبشرين (المنصرين) والعلماء اللاهوتيين والكتاب البارزين وحتى الشعراء وبعض الرواد في مجال الحفريات الجيولوجية.

المسيحية، إن قصة 'آلام المسيح' مثلا تم نقل مقدمتها بنجاح إلى الثقافة الهدف عبر ترجمة تصويرية، أي عبر لوحات خشبية منقوشة من طرف حرفيين صينيين اعتمادا على رسومات أوروبية منقوشة على النحاس، ومن أجل أن تصل الفكرة، فقد تم إضفاء الطابع الصيني على العمل.[1]*

> « In the absence of a full Bible translation, the story of the *Passion* was transmitted by other methods. The most successful introduction of the *Passio Christi* was represented by a pictorial translation. »[2]

عمل آخر أكثر طموحا تمثل في محاولة الإيطالي، 'لودوفيكو بوغليو' (Ludovico Buglio)، ترجمة الكتاب المعنون بـ (Summa Theologica) أي: 'بحث لاهوتي شامل'، للقديس 'توماس الأكويني' (St Thomas Aquinas) -وهو العمل الذي اهتم فيه القديس بشرح النصرانية بتصنيف وترتيب متقن-. لقد استغرقت هذه الترجمة أكثر من عشرين سنة، أي مابين (1654- 1678 ميلادي)، ومع ذلك فإن المترجم لم يقم سوى بترجمة الجزء الأول (Pars Prima) بشكل كامل أما الجزء الثاني (Pars Secunda) فلم يترجمه، كما أنه لم يستطع ترجمة سوى نُتف ضئيلة من الجزء الثالث (Pars Tertia).[3] * أما عن كيفية الترجمة فقد وقع المبشرون الأوائل بين المطرقة والسندان، فإما أن يقوم المبشر- المترجم بسك كلمات جديدة في لغة الثقافة الهدف ويصبح النص في هذه الحالة مبهما، أو أن يقوم بنقل أفكار ومفاهيم النص الأصلي إلى القراء الصينيين اعتمادا على مفردات مألوفة لديهم، لكن ذلك قد يؤدي إلى تناقضات حتمية في المعنى، إنها حقا مهمة مثبطة للعزيمة. لقد اعتمد اليسوعي (Matteo Ricci) الخيار الثاني، فقد ترجم الكلمة اللاتينية (Deus) أي 'الله' عن طريق سك كلمة جديدة هي (Tianzhu) وتعني (Lord of Heaven) أي 'رب السماوات'، هذه الكلمة مركبة من كلمتين استمدهما هذا المترجم من 'القانون الكونفشيوسي القديم' (the ancient Confucian canon) الذي يألفه المتأدبون الصينيون، كما تبنى المترجم الأساليب والتراكيب والتنميقات اللغوية الصينية لتمرير الخطاب النصراني، وإن كان عمله قد

---

[1] **R. Po-chia Hsia. The Catholic mission and translations in China, 1583-1700, In. Cultural Translation in Early Modern Europe, Ed. Peter Burke & R. Po-Chia hsia. Cambridge University Press, European Science Foundation 2007. P. 39 - 41.**

* يندرج هذا العمل في إطار ما يسميه 'رومان جاكوبسون' (Roman Jakobson) بالترجمة البينسيميائية (Intersemiotic Translation).

[2] **Ibid. P. 41.**

[3] **Ibid. P. 47-48.**

* لأن كلمة لاهوت لم يكن لها وجود في اللغة الصينية، فقد قام (Ludovico Buglio) بترجمة عنوان الكتاب كالتالي: (Chaoxing Xueyao) وهو ما يعني حسب ما ورد في المرجع السابق: (Summary of Nature-Surpassing Learning) أي: 'ملخص علم ما وراء الطبيعة'.

لاقى بعض القبول في الصين فإن فرقة 'الدومينيكانيين' (Dominicans)*، كانوا قد اتهموا جمعيته بمحاولة المزج بين الوثنية والديانة الحقة عن طريق الأقلمة اللغوية والثقافية، وسرعان ما تفاقمت مشاكل اليسوعيين حين علم 'الفاتيكان' بذلك.[1]

> « In Rome, the Jesuits were accused of having been converted to the religion of the Chinese rather than converting them to Christianity, What appeared in Beijing to be a good cultural translation looked more like a mistranslation in Rome.»[2]

لتفادي هذه القلاقل، سار(Ludovico Buglio) وفق الخيار الأول ليصطدم بذلك بمشكلة الغموض (Unintelligibility)، لقد قام هذا المبشر- المترجم بنقل الكلمات اللاتينية كما هي بالاعتماد على الصوائت الصينية، فكلمة (Spiritus Sanctus) والتي تعني 'الروح القدس'، أصبحت في اللغة الصينية (Si-pi-le-do-san-du)، أما كلمة 'لاهوت' (Theologia) فقد أضحت في هذه اللغة (dou-lu-ri-jia)، أما كلمة 'فلسفة' (Philosophia) فقد أصبحت (fei-lu-suo-fei-ya)، وهكذا فقد ضحى هذا المبشر بالوضوح من أجل الحفاظ على الأصالة. لكن هذا الخيار لم يأتي من فراغ، إن حجة هذا المبشر كانت كالتالي: إن التقريب الصوتي في ترجمة الاناشيد والصلوات السنسكريتية لم يكن أبدا عائقا أمام انتشار البوذية في الصين القروسطية، بل إن الكثير من الكلمات المفتاحية كـ: (Buddha, Buddhisattva, Asura)* قد انتقلت إلى الصين عن طريق التقريب الصوتي، فالغموض في حقيقة الأمر كان قد أضفى هالة من القداسة على تلاوة الصلوات. على الرغم من كل ذلك فإن هذه الترجمة كانت صعبة جدا وغامضة بالنسبة للقراء الصينيين الذين أعرضوا عنها كُلية [3]،"إنّ المسيحية لم تفلح في غزو الصين لأن اليسوعيين لم يفلحوا في ترجمة التوراة إلى اللغة الصينية ترجمة يقبلها المتأدبون، لذا سموها

---

* نسبة إلى القديس دومينيك (St Dominique)، (1170- 1221 ميلادي)، قس وراهب إسباني اسمه الحقيقي(Domingo de Guzmán)، أسس جماعته الكهنوتية التبشيرية بـ'تولوز' (Toulouze) سنة 1216 ميلادي، عُرف أعضاء هذه الجماعة لاحقا باسم 'الرهبان السود' أو 'الدومينيكانيين'. تحيي هذه الجماعة الكهنوتية عيدها في الثامن من شهر أوت من كل عام.

[1] **Ibid. P. 48.**

[2] **Peter Burke. Cultures of Translation in Early Modern Europe, In. op. Cit. P. 9.**

* (بوذا): لقب مؤسس البوذية ويعني المتيقظ أو المستنير، (بوذيساتفا): لقب يطلق على أي شخص يشعر برغبة كبيرة في تحقيق البوذوية لصالح جميع الكائنات، (أسورا): في النصوص البوذية القديمة كان يعني إله، ثم أصبح لاحقا يعني عضو في طائفة أو مجموعة الآلهة الشريرة أو الشياطين.

[3] **R. Po-chia Hsia. The Catholic mission and translations in China, 1583-1700, In. op. Cit. P. 48-49.**

'لغة الشيطان'." [1] ويضيف المستشرق 'إرنست رينان' (Ernest Renan) قائلا: "إن التوراة تبدو للصينيين مثل كتاب غير خلقي للغاية."

« la Bible paraît aux Chinois un livre d'une souveraine immoralité. »[2]

ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات إفريقيا والعالم الجديد:

ثمة نقطتان يدعي البعض أنهما تميزان اللغات البدائية: الأولى تقول أنَّ هذه اللغات غامضة بحيث لا يميز كثير منها بين المفرد والجمع، بينما تدعي الثانية أن تلك اللغات لا تتناول إلا ما تدركه الحواس، وأنها لا تستوعب صياغة المفاهيم المجردة.

> « Two points are often claimed to be characteristic of 'primitive languages'. On the one hand they are said to be vague; thus, many languages fail to distinguish singular from plural. On the other hand, they are claimed to deal only in the concrete and not to tolerate the formation of abstract concepts..»[3]

في حقيقة الأمر لا توجد لغات بدائية، هذا التصور لا يزال شائعا بشكل خاص عند "غير المتخصصين"، فقد برهنت الدراسات اللغوية أن كل اللغات التي تمت دراستها حتى الآن و"مهما كان المجتمع الذي يستخدمها يبدو لنا بدائيا أو غير متحضر في جوانب أخرى- برهنت عند البحث أنها نظام اتصالي معقد ومتطور بدرجة عالية."[4] فها هو فقيه لغوي في القرن السادس عشر يقوم بوصف إحدى لغات قبائل هنود 'البرازيل' ثم سرعان ما يطلق حكما تعسفيا مجحفا:

---

[1] **مصطفى صفوان: كلمة المترجم، في: غورغ فيلهلم فريدريش هيغل.علم ظهور العقل. دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة. ص: 6.**

[2] **Ernest Renan. Averroès et l'Averroïsme (Essai Historique). Quatrième Edition, Revue et Augmentée. Paris, Calmann Lévy, Editeur, 1882. P. 48.**

[3] **Geoffrey Sampson. Schools of Linguistics, Competition & evolution. Hutchinson Publishing Group, 1980. P. 61.**

[4] **جون ليونز. اللغة وعلم اللغة، ج 1. ترجمة وتعليق: د. مصطفى التوني. دار النهضة العربية، القاهرة. الطبعة الأولى، 1987. ص: 38.**

« Il leur manque trois lettres, savoir : le F, le L et le R, chose étonnante, car ils n'ont en effet ni Foi, ni Loi, ni Roi, et vivent ainsi sans ordre, ni poids ni mesure, et sans compter. »[1]

هذه النظرة المتعالية انعكست سلبا على حركة الترجمة، يدعم هذا الرأي ما جاء به 'يوجين نايدا' (Eugene Nida) في مقالة له حول (ترجمة التوراة)، إلى ما يعرف بـ 'اللغات البدائية'، قائلا: " لسوء الحظ، مازال العديد من الناس يعتقدون بأن الترجمة إلى ما يسمى باللغات البدائية مستحيلة حقا، لأن هذه اللغات كما يُقال لا أبجدية لها، ومفرداتها غير كافية وقواعدها ناقصة ولا أدب لها، ولكن لا يوجد في الواقع مثل هذه اللغات. كل اللغات لها القدرة على إبلاغ المحتوى المتعلق بأي رسالة..."

« Unfortunately, many people still believe that translating into so-called primitive languages is simply impossible because such languages are said to have no alphabet, insufficient vocabulary, inadequate grammars, and no literature. But there are no such languages. All languages have the potential to communicate the relevant content of any message… »[2]

يُقدم لنا المترجم 'يوجين نايدا'، برهانه الخاص على عدم صحة الآراء التي تدَّعي أن ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القَبَلية في إفريقيا (tribal languages in Africa) لا يمكن أن تتم لعدم توفر هذه اللغات التي تُعرَفُ إجحافاً بـ'البدائية' على عدد كاف من المفردات. بطريقة إحصائية محضة يضرب لنا 'يوجين نايدا' مثالا عن لغة (Zulu) التي يضم معجمها 90,000 كلمة على الأقل - إذا ما تم عدُّ هذه الكلمات بنفس الطريقة التي تُعدُّ بها كلمات اللغة الإنجليزية- في المقابل نجد أن مجموع الكلمات التي وردت في النسخة اليونانية للعهد الجديد (Greek New Testament) لا يتجاوز 5000 كلمة مختلفة،

[1] Fabien Simon. Sortir de Babel, Une République des Langues en Quête d'une 'Langue Universelle' à la Renaissance et à l'Age Classique? (Thèse de doctorat), Vol 1. Sous le Sceau de L'Université Européenne de Bretagne, Université Rennes 2, Soutenue le 02 décembre 2011. P. 209.
[2] Routledge Encyclopedia Of Translation Studies, op. Cit. P.24.

في حين لا يتجاوز عدد الكلمات التي وردت في النسخة العبرية للعهد القديم (Hebrew Old Testament) 8000 كلمة مختلفة، عشرة بالمائة منها لا يتكرر سوى مرة واحدة.[1]

4- مسألة الأمانة في الترجمة:

كان الحصول على النصوص الأصلية قديما أمرا في غاية الصعوبة، لهذا السبب كان المترجمون يلجأون إلى أساليب قد تُعد غير واردة بالنسبة إلينا نحن اليوم، وهو ما جعل ترجماتهم عرضة للريبة من طرف معاصريهم لكونها غير دقيقة.

السياقات المعقدة للترجمة:

نادرا ما كانت الترجمات مستقاةً من المصدر الأول، إذ كثيرا ما كانت تتم بطريقة غير مباشرة أي عبر لغة وسيطة، بل وكان يتم التبجح بذلك، على صفحات عناوين الكتب «The unashamed references to this process on title-pages. »[2] في إنجلترا على سبيل المثال، عادة ما كان يتم ترجمة النصوص الإغريقية والإيطالية والإسبانية اعتمادا على الترجمة الفرنسية التي كانت تُعد بمثابة الأصل، والأمثلة حول هذا الموضوع لا حصر لها، كما تُشير المصادر التاريخية أيضا إلى أن سياقات الترجمة كانت تأخذ مسارات أكثر تعقيدا في بعض الأحيان، فمسار النص الأصلي باتجاه الثقافة الهدف قد لا يمر عبر لغة وسيطة واحدة وإنما عبر لغتين أو أكثر، مثال ذلك نسخة ألمانية من القرآن الكريم طُبعت سنة 1688 ميلادي، تم الإعلان فيها على أنها ترجمة للترجمة الهولندية للترجمة الفرنسية للنص القرآني. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه الأخيرة تُعتبر أقرب للأصل من تلك النسخة الهولندية للقرآن الكريم التي صدرت سنة 1641 ميلادي، ذلك أنها كانت في واقع الأمر ترجمة للترجمة الألمانية للترجمة الإيطالية للترجمة اللاتينية.[3] هناك مثال آخر أكثر تطرفا، ويتعلق بترجمة 'حكايات بيدبا'* «The Fables of Bidpai» والتي تم تقديمها على أنها:

---

[1] **Eugene A. Nida. Fascinated by Languages. John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 2003. P. 19.**

[2] **Peter Burke. Cultures of Translation in Early Modern Europe, In. Cultural Translation in Early Modern Europe, Ed. Peter Burke & R. Po-Chia hsia. Cambridge University Press, European Science Foundation 2007. P. 27.**

[3] **Ibidem.**

* هي التسمية التي يُعرف بها كتاب 'كليلة ودمنة' لدى الأوروبيين، والكتاب هو عبارة عن قصص يرويها فيلسوف اسمه 'بيدبا' للملك 'دبشليم'، وقد كان لاطلاع 'عبد الله ابن المقفع' على النسخة الفهلوية بالغ الأثر في نفسه وتفكيره وثقافته، حاول 'ابن المقفع' من خلال ترجمته لهذه القصص تقديم النُصح بطريقة غير مباشرة للخليفة المنصور، تماما كما فعل الفيلسوف الهندي 'بيدبا'. اتسمت ترجمة 'ابن المقفع' بتعديل بعض القصص وإضافة أخرى من نسج تأليفه كما أضاف روحا جديدة للنص المترجم من خلال عرضه الرائع وأسلوبه المشرق، ولهذا السبب فهي لا تعد ترجمة بالمعنى الدقيق للكلمة وإنما اقتباس Adaptation. (سأعود مجددا لكتاب 'كليلة ودمنة' في الفصل الثاني من هذا البحث في إطار المقاربة التفكيكية).

«The English version of an Italian adaptation of a Spanish translation of a Latin version of a Hebrew translation of an Arabic adaptation of the Pahlevi version of the Indian original.» [1]*

مشكلة الترجمة عند أبو حيَّان التّوحيدي:

إنَّ الإحساس بالفقد والنقص الذي طالما رافق العمل الترجمي نجد له ذِكْرًا في إحدى مقابسات الفيلسوف والأديب 'أبو حيَّان التوحيدي'*، والتي ألقى فيها باللوم على التعدد اللغوي وآفات الترجمة، حيث يقول متأسفاً:

" على أن الترجمة من لغة يونان إلى العبرانية، ومن العبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية، قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق، إخلالا لا يخفى على أحد. ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع. وتصرفها الواسع، وافتتانها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل إلينا بلا شوب، وكاملة بلا نقص. ولو كنا نفقه عن الأوائل أغراضهم بلغتهم لكان ذلك أيضا ناقعا للغليل، وناهجا للسبيل، ومبلغا الحد المطلوب."[2]

يُبدي الفيلسوف العربي أسفه مرَّتين، فهو ينتقد رداءة الترجمات في عصره نتيجة البدائل والمسارات المعقدة التي تتخذها -من اليونانية إلى العبرية أو السريانية فالعربية- والتي أدت إلى تحريف الفلسفة اليونانية بشكل عام وعلم المنطق بشكل خاص، كما تأسَّف أيضا عن كون علم المنطق قد وجد تعبيره الأول أو التأسيسي باللغة اليونانية، وهو ما جعله يُعبِّر عن حلمين مثاليين « il exprime deux rêves, deux aspirations utopiques »[3] قادِرَيْن حسبه على ردم هذا العجز والإحساس بالفقد الذي ترتكز عليه الترجمة. الحلم الأول صاغه في شكل تساؤل: 'لماذا لم يَكن المنطق من نصيب اللغة العربية التي

---

[1] **Ibidem.**

* الفهلوية = Pehlavi أو Pehlevi وبالفرنسية Pehlvi: الفهلوية هي نظام أو شكل من أشكال الكتابة ذو أصول آرامية كان مستعملا في الحقبة الساسانية، أي في الفترة الممتدة مابين القرن الثاني قبل الميلاد إلى غاية مجيء الإسلام أي القرن السابع ميلادي. الفهلوية هي أيضا اللغة الإيرانية الوسطى التي تُعد الفارسية الحالية إحدى فروعها أو تشعباتها، كانت هذه اللغة محكية في الحقبة الساسانية، (كما أنها كانت لغة الإدارة إلى جانب اللغة اليونانية في صدر العصر الأموي وذلك استنادا لما جاء في كتاب 'لسان آدم' لعبد الفتاح كيليطو، ص:23).

* أبو حيان التوحيدي: (حوالي 922 ميلادي- حوالي 1023 ميلادي)، علي بن محمد بن العباس، من أشهر أدباء القرن الرابع الهجري ومفكريه. وصفه ياقوت الحموي بقوله: ,فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة. ترك التوحيدي مجموعة من الأعمال الأدبية والفلسفية والصوفية المتميزة في تاريخ المكتبة العربية لعل أهمها: كتاب 'المقابسات' و كتاب 'الإمتاع والمؤانسة' (وهما الكتابان اللذان اعتمدتهما في هذا البحث).

[2] **أبو حيان التوحيدي: المقابسات. محقق ومشروح بقلم: حسن السندوبي. دار سعاد الصباح، الطبعة الثانية، 1992. ص: 258.**

[3] **Kadhim Jihad Hassan. La Part de l'étranger : La traduction de la poésie dans la culture arabe, essai critique. Actes Sud, Sindbad, 2007. P. 126 .**

تتميز بثرائها اللغوي؟' 'كيف سيكون الحال لو اختمرت أفكار الإغريق وحكمتهم في عقول العرب مباشرة؟' ستأتي حتما 'بلا شوب وبلا نقص'. أما الحلم الثاني: 'ماذا لو كانت جميع الأمم تفهم بعضها بعضا دون حاجة إلى وساطة المترجمين؟' حتما إن المعرفة التامة كانت ستتحقق بشكل فوري وتام. إلا أنَّ الفيلسوف العربي سرعان ما يهرع إلى باحة الإيمان، (la dimension de la foi) vient immédiatement à la rescousse de Tawhidi. »[1] إذ نجده في الفقرة التالية يؤكد على أنَّ التعدد اللغوي إنما هو قائم بمشيئة إلهية، وذلك حتى يظل الله هو المرجع الواحد والأوحد للإنسان، قائلا: " ولكن لابد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الإنسان عليها، وخفايا لا يهتدي أحد من البشر إليها؛ وذلك للعجز الموروث عن الهيولى، والضعف الثابت في الطينة الأولى؛ وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذا للخلق ومعاذا للعالم."[2]

يقول الباحث 'عبد الفتاح كيليطو' أنَّ 'أبو حيان التوحيدي' كان يكره المترجم 'متّى ابن يونس'، فقد قال عنه مُتهكما: " فإن متَّى كان يُملي ورقة بدرهم مقتدريّ وهو سكران لا يعقل، ويتهكم، وعنده أنه في ربح، وهو من الأخسرين أعمالا، الأسفلين أحوالا."[3] وقد جاء هذا تعقيبا وتفسيرا لما ورد ذكره في رسالة 'وهبٌ بن يعيش الرقيّ اليهوديّ'*، التي قال فيها من بين ما قال: "إن القوم صدُّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه، واتخذوا نشر الحكمة فخا للمثالة العاجلة."[4] والمثالة هنا تعني: حسن الحال، "ذلك أنهم اتخذوا المنطق والهندسة وما دخل فيها معيشة ومكسبة، ومأكلة ومشربة، فصار ذلك كسورٍ من حديد لطلاب الحكمة والمحبين للحقيقة والمتصفحين لأثناء العالم..."[5] وهو ما عقب عليه 'التوحيدي' قائلا: " فما أبعد، بل قارب الحق."[6] أما 'عبد الفتاح كيليطو' فيضيف قائلا أنه من الواجب التعامل مع عبارة 'التوحيدي' بحذر للوهلة الأولى، فـ'التوحيدي' قد عُرف بطابعه التهكمي، بل يمكن اعتباره أهجى من 'الحطيئة'، لكننا ما إن نقرأ ترجمة 'متى ابن يونس' لكتاب أرسطو (فن الشعر) –القرن العاشر ميلادي- حتى نعود للتشبث بما قاله

---

[1] **Ibid., P. 127.**

[2] **المصدر السابق، نفس الصفحة.**

[3] **أبى حيان التوحيدي. الإمتاع والمؤانسة (وهو مجموع مسامرات في فنون شتى حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة). صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين و أحمد الزين. الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت. ص: 107.**

* وهبٌ بن يعيش الرقيّ اليهوديّ: ورد ذكره في 'المقابسات'، وقد كان أبو حيان التوحيدي يسأله في مسائل فلسفية.

[4] **نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.**

[5] **نفس المصدر السابق، ص: 104- 105.**

[6] **نفس المصدر السابق، ص: 107.**

'التوحيدي' عن 'متّى بن يونس'، فترجمة هذا الأخير كانت هزيلة ومُنفّرة ولا تختلف كثيرا عن هذيان السُّكارى والمجانين.*

> « Yet when we read *Matta*'s translation of the Poetics (tenth century) we cannot help cleaving toward what *Abu-Hayyan* says about him. It is a poor, repellent translation, not unlike the ravings of drunks and madmen. » [1]

الصراع الفكري بين الجدد والمستعربين:

بدءًا من القرن الثاني عشر ميلادي، أي في فترة الحروب الصليبية، أصبح الباحثون الغرب ولأول مرة في التاريخ على صلة مباشرة بالحضارة الإسلامية واللغة العربية، ولأن المسلمين كانوا حَمَلة الحضارة الإغريقية وسدنة تراثها، فقد سافر جمع غفير من الباحثين الأوروبيين إلى الأندلس بغية التعلم في جامعاتها، هؤلاء الباحثين كانوا يبجلون العلماء العرب واللغة العربية لأنها السبيل الوحيد حسبهم لفهم التراث الإغريقي، لذلك سموا أنفسهم بـ'المستعربين' (Arabizantes)[2] وقد دعوا في كتاباتهم إلى ضرورة تعلم اللغة العربية. وفي فترة لاحقة برز إلى السطح صراع فكريّ بين 'المستعربين' ومن كانوا يُعرفون حينذاك بـ'أنصار التحديث' أو 'الجدد' (Neoterici)[3]، الذين كان توجههم العام يرمي إلى العودة للنصوص اللاتينية والإغريقية مباشرة دون الاعتماد على الترجمات العربية. لم يُحسم هذا الخلاف الفكري بشكل كامل إلا في الفترة التي تلت سقوط القسطنطينية عام 1453 ميلادي، والتي تميزت بانتشار الاهتمام بالكتب المكتوبة باللغة الإغريقية، لدرجة أنَّ الباحثين بدؤوا في تلك الحقبة يشكّكون في مصداقية الترجمات اللاتينية المأخوذة عن النصوص العربية للكتب الإغريقية.

---

* كانت هذه الترجمة بمثابة 'سور من حديد' بالنسبة لمن أراد أن يقرأ 'أرسطو' (Aristotle) بالعربية ويطّلع على فكره، لهذا السبب كلّف الخليفة 'الموحدي' الفيلسوف 'إبن رشد' برفع غموضها الذي حال دون الفهم الجيّد لكتابات هذا الفيلسوف الإغريقي (أنظر الفصل الثاني).

[1] **Abdelfattah Kilito. Thou Shalt Not Speak My Language, Translated from Arabic by Wail S. Hassan. Syracuse University Press, New York, first edition, 2008. P. 95.**

[2] **Kees Verteegh. The Arabic Language. Columbia University Press, New York, Printed and Bound in Great Britain. 1997. P. 2.**

[3] **Ibidem.**

« Scholars began to question the trustworthiness of the Latin translations that had been made from Arabic versions of Greek texts. »[1]

إذن، ومع الانتشار الواسع للنصوص الأصلية الإغريقية في أوروبا لم يعد أحد يهتم بالترجمات العربية، والأسوأ من ذلك أن عقد المقارنات بين النصوص الإغريقية الأصلية والترجمات العربية، المأخوذة عن ترجمات سريانية والتي عُرفت في الغرب من خلال اللاتينية لم تنته لصالح النصوص العربية، إذ بدأ الناس ينظرون للعرب على أنهم ملوثون للتراث الإغريقي وليسوا حماته، ولذلك أصبحت دراسة العربية غير ضرورية البتة.

«But when the Greek sources became known in the West, the Arabic texts were no longer needed, and, what is worse, the comparison between the Greek originals and the Arabic translations (most of which had been made after Syriac translations and had themselves become known in the West through Latin translations) did not work out to Arab's advantage. Henceforth, they came to be regarded as defilers of the Greek heritage instead of its guardians. It looked as if the study of Arabic science had become completely unnecessary.»[2]

إن دور الترجمات العربية وإسهامها راح يُطمس بشكل مُطّرد منذ عصر النهضة، حين شرعت أوروبا في ترسيخ فكرة أن اليونان القديمة هي أوروبا المبكرة، كما وُصف العرب بأنهم 'مُرَوّجُون جهلة' 'ignorant propagators'.[3]

5- التنوع اللغوي عائق أمام التواصل:

لطالما رأى البعض في التنوع اللغوي 'نقمة' على الإنسانية، يحول دون التفاهم بين أبناء الكوكب الواحد، بل وذهب بعضهم في تهويله للأمر إلى حد اعتبار أن سبب الصراعات والحروب عبر التاريخ،

[1] **Ibidem.**
[2] **Ibid. P. 3.**
[3] **Michael Cronin. Translation and Globalisation. Routledge, London & New York, USA. 2003. P. 62.**

مرده عدم القدرة على التفاهم التي تسبب فيها تعدد الألسنة وقصور الترجمة عن رأب هذا الصدع، "وتعمل هذه الأسطورة، كدليل، على قيادتنا داخل هذه المتاهة. والانتشار– البلبلة هذا قد ينظر إليه على أساس أنه كارثة لغوية لا يمكن إصلاحها."[1] أما عن قصة البدء الواردة في سفر التكوين فيقول 'دوغلاس روبنسون' (Douglas Robinson): "إنَّ هذه القصة التوراتية الثابتة العقيدة قد غذَّت في حركة ملتوية ساخرة الهجوم على التنويع اللغوي."

> « In an ironic twist, this deep-seated biblical ideology also feeds the attack on linguistic diversity… »[2]

لعنة بابل:

يقول الباحث المغربي 'عبد الفتاح كيليطو': "لكن القول بالتمييز: يونان/برابرة، يعني سلفا الاعتراف بانفصال، وغياب للانسجام بين الجماعات، والتسليم بالشقاق، واللاتفاهم الشامل، لكن حقبة غبرت كان فيها مثل هذا اللاإنسجام مجهولا تماما، كان ذلك لما كانت الأرض بأجمعها تتكلم لسانا واحدا، وتحديدا قبل بابل."[3] ويضيف الدكتور 'إبراهيم أنيس' قائلا أن اختلاف الألسنة لا يقل خطورة عن اختلاف اللون أو البشرة، وإن كان هذا الأخير عبر مختلف المراحل التاريخية قد تسبب في التفرقة العنصرية واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان واستعباده إياه، فإن ويلات التنويع اللغوي كانت أشد، "وكذلك الشأن في اختلاف الألسنة، حين نتذكر المآسي التي كانت في كل عصور التاريخ بسبب اختلاف اللغات، من حروب وثورات ليس لها من سبب حقيقي سوى أن المجتمعات البشرية قد عجزت عن فهم بعضها البعض حين افتقدت وسيلة موحدة للتفاهم تنتظمهم جميعا."[4] 'لويس جان كالفي' (Louis Jean Calvet) أيضا يعتبر أنَّ القراءة الأكثر شيوعا لما سُمِّي بـ'أسطورة بابل' اكتفت بظاهر النص معتبرة التنويع اللغوي عقابا لا يخدم البشرية، حيث يقول:

> "أما ما ينبغي علينا بالفعل أن نستخلصه فهو أن عددا كبيرا من الناس ينظر إلى التعدد اللغوي على أنه عقاب، بل على أنه لعنة، اعتمادا على أسطورة بابل. بهذا المعنى، يبدو اللفظ الذي ولدته الفرنسية حديثا لتسمية البلبلة (Babélisation) والذي يعني' تعدد اللغات في منطقة ما'، موازيا للفظ البلقنة (Balkanisation) بين الدول؛ فالتعددية سيئة في الحالتين، والناس

---

[1] **بول ريكور: نفس المرجع السابق. ص: 33.**

[2] **Routledge Encyclopedia Of Translation Studies, Ibid. P. 22.**

[3] **عبد الفتاح كيليطو. لسان آدم. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثانية، 2001. ص: 16.**

[4] **إبراهيم أنيس. اللغة بين القومية والعالمية. دار المعارف بمصر، 1970. ص: 244.**

يفضلون على غرار اليعاقبة المتعصبين من أنصار المركزية، دولة كبيرة أحادية اللغة تسيجها حدود سياسية ولغوية محددة. بيد أن هذا الأمر نادر لسوء الحظ، إن لم نقل أنه لا وجود له. وها نحن من جديد أمام بابل."[1] *

وهو ما أشار إليه أيضا اللغوي الفرنسي 'كلود حاجيج' (Claude Hagége) الذي يقول:

"يثير هذا التنوع ردود فعل متضاربة. فهو يحزن البعض، ممن ليست لديهم الرغبة في تعلم اللغات الأجنبية، ولا القدرة على ذلك، أو ممن يرون في هذه الكثرة علة العقبات التي تحول دون الفهم – كما لو أن لا وجود لعقبات أخرى أكثر جوهرية!– أو سببا للصراعات بين الأمم، أو ممن لا يعارضون فكرة الترحُّل العارض بين لسان وآخر وإنما يستشفون في الأمر، بعد طول إقامة خطرا يهدد وحدة الفكر. يعكس كل ذلك ريبة قديمة وعقيمة عند الناطق بلغة وحيدة ونجد أصداء لها في كافة العصور."[2]

البحث عن علاج للارتباك اللساني:

"إن إحدى نتائج هذه النظرة الأيديولوجية للتعدد اللغوي هو ذاك الجدل الذي ظهر في عصر النهضة عن اللغة التي قبل بابل"[3] بل إن هناك من نظروا وراءهم باحثين عن علاج للارتباك اللساني كما يقول 'أومبرتو إيكو' (Umberto Eco)، محاولين استعادة اللغة التي تحدثها آدم، وتطلع البعض مثل 'لايبنتز' إلى لغة المنطق القادرة على احتواء تمام و مثالية خطاب الجنة المفقود.

« So that a remedy for linguistic confusion needed to be sought [...] It is a quest that took two different paths: on one hand, people (from Raymond Lully to Leibniz and further) looked ahead, aiming to fabricate a rational language possessing the perfection of the lost

---

[1] لويس جان كالفي. نفس المصدر السابق. ص: 65.

* يُطلق اسم اليعاقبة في السياسة على جماعة ثورية اتخذت من دير قديم لليعاقبة في باريس مقرا لها، وصار اللفظ يعني مجازا الجمهوريين المتعصبين من أنصار الدولة المركزية. جاء اليعاقبة إلى السلطة سنة 1792 ميلادي، ليبدأ ما يُسمى بـ'عهد الإرهاب'، ذلك لأنهم أرسلوا مئات الفرنسيين إلى المقصلة. من أهم زعماء اليعاقبة هو 'روبيسبيير' (Robespierre) الذي انقلب عليه أتباعه وأعدموه سنة 1794 ميلادي، ليفقدوا بعد وفاته السلطة.

[2] كلود حجاج. إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية: ترجمة د. رضوان ظاظا. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2003. ص: 60.

[3] لويس جان كالفي. نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.

speech of Eden; on the other hand, people tried to rediscover the lost language spoken by Adam. »[1]

إن 'بول ريكور' (Paul Ricœur) هو الآخر يُفرق بين (اللغة الأصلية) و (اللغة الكونية)، ويضع 'شرطا نظريا' كمرحلة أولى للتخلص من هذا الجدل الواسع (قابلية وعدم قابلية الترجمة) وهو البحث في اللغات بهدف الكشف عن 'بنيتها التحتية والعميقة'، قائلا:

" هذا الحدث البسيط أثار جدلا واسعا ترك الترجمة تنغلق داخل بديل مدمر يجب التخلص منه. هذا البديل المعيق هو الآتي: إنَّ تنوع اللغات يعبر عن تنافر جذري، ومنه تكون الترجمة مستحيلة نظريا، لأن اللغات قابلة للترجمة فيما بينها قبليا، أو أنَّ الترجمة إذا أُخِذت كحدث فإنها ستفسر بذخيرة مشتركة تجعل الترجمة ممكنة، لكن هنا يجب إما العثور على هذه الذخيرة المشتركة، وهو الطريق المؤدي إلى اللغة الأصلية (الأولى). أو إعادة بنائها منطقيا وهو الطريق المؤدي إلى اللغة الكونية.."[2]

المبحث الثاني: البحث عن اللغة المشتركة

سأتناول في هذا المبحث كل من اللغة الأصلية (la langue originaire)، اللغة الكونية (la langue universelle) واللغة الثالثة أو النص الثالث (le troisième texte)[3]، وهي كلها مفاهيم وردت في كتاب 'بول ريكور' 'عن الترجمة'.

ثمة إذن حقيقة أخرى سجلها التاريخ، لا يمكننا تجاهلها بل يجب علينا أن نعترف بها، وهي أن الترجمة لم تكن الحل الوحيد الذي التجأ إليه البشر لمواجهة تعدد الألسنة عبر مختلف العصور، بل إن الاستغناء عن الترجمة، فيما مضى من الأزمنة، عبر اللجوء إلى إحدى الوسائل المذكورة آنفا، يمكن اعتباره القاعدة وليس الاستثناء، حتى وإن كانت ثقافة الترجمة في عالم اليوم تبدو لنا أمرا حيويا لا يمكن الاستغناء عنه.

---

[1] **Umberto Eco: Serendipities, Language and Lunacy. Translated by: William Weaver. Italian Academy lectures, Columbia University Press, New York, 1998. Printed in the United States of America. P. 30.**

[2] **بول ريكور: نفس المرجع السابق. ص: 33-34.**

[3] **Paul Ricœur. Sur la traduction. 3eme tirage, Bayard, Paris, 2004.**

"The refusal of translation, by one or more of the means described, is probably closer to the historical norm on this planet than the culture of translation that seems natural and unavoidable around the world today." [1]

1- البحث عن اللغة الكونية (the Universal language):

نادرا ما تم اعتبار التنوع اللغوي صفة إيجابية أو غنًى للإنسانية، فقد فُهم دوما على أنه عائق أمام التواصل، وهو ما عملت على إلغائه مشاريع اللغات العالمية أو اللغات الدولية المساعدة.

« La diversité linguistique a rarement été prise pour une qualité positive et une richesse de l'humanité. On l'a conçue comme un obstacle à la communication, que devaient lever les projets de langues universelles ou de langues internationales auxiliaires. »[2]

أكثر المشروعات جذرية لعصر النهضة وعصر الأنوار، الذين تكشف فيهما مدى البلبلة في أوروبا والعالم، كان هو ابتكار لغة جديدة لترقية المعرفة والتجارة في العالم المتحضر، فقد كانت هذه المشروعات عبارة عن محاولة لإزالة البلبلة أو إصلاح الوضع.أما اللاتينية بوصفها لغة التعامل سابقا فقد أصبحت تواجه التحدي.

« The most radical proposal of the age was the invention of a new language for the advancement of learning and commerce throughout the civilized world. Latin as the erstwhile lingua franca was dead or dying, and the extent of the world's linguistic Babel had been revealed; these projects of new universal languages were attempts at 'debabelization' or a restoration of the situation. »[3]

---

[1] David Bellos. Is that a Fish in Your Ear ? (Translation & the Meaning of Everything). Faber & Faber Inc, New York. First Ebook edition, 2011.
[2] Sylvain Auroux, Jacques Deschamps & Djamel Kouloughli. Op. Cit. P. 350.
[3] R. H. Robins. A Short History of Linguistics. Longman Group Limited, London, Third impression, 1976. P. 113.

في ماهية اللغة الكونية:

من أجل تعريف اللغة الكونية أو العالمية فإنني لم أجد أحسن من تعريف الدكتور 'جميل صليبا' الذي جاء في معجمه الفلسفي فهو تعريف جامع ومانع، إذ يقول: " اللغة العالمية لغة وضعية، وهي إما أن تؤلف بكاملها دفعة واحدة من أصول ذات نظام متناسق تكون عناصره اللفظية مطابقة للعناصر المنطقية للأفكار، وإما أن تؤلف من مقاطع دولية، تضاف إليها توابع ولواحق ذات معانٍ محددة." [1] و يقول الدكتور 'فهمي زيدان' حول اللغة المثالية: "إنها لغة رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية بحيث يكون كل اسم دالا على مسمى معين أو يكون لكل كلمة معنى ومدلول...ويسمى هذا المشروع للغة أحيانا الحساب المنطقي Calculus أي أن اللغة يجب أن تصبح حسابا لها رموزها ومعادلاتها ودقتها."[2] فاللغة الكونية نوعان اثنان، قد تكون إما لغة وضعية مَبنية من لا شيء، ويُطلق على هذه اللغات في أوساط 'هندسة اللغة' تسمية[3] « A Priori Languages» أي: 'اللغات الأولية'، (بمعنى أنها لا تغرف من أي لغة من اللغات الموجودة). أو قد تغرف من لغات موجودة قبلا؛ (أي أنها قد تُبنى على أسس مُختارة من لغات موجودة قبلا) فتسمى وفق هذه الحالة باللغات اللاحقة « A Posteriori Languages ». وقد بلغ عدد اللغات العالمية التي تم اقتراحها عبر 9 قرون أكثر من 900 لغة.[4]

أسباب البحث عن لغة كونية:

أحد أهم الأسباب كان البعد عن الجدل العقيم وسهولة الاتصال بين رجال التعليم في كل الأصقاع، إضافة إلى اعتبارات أخرى كانت في عقول الناس عندما فكروا في ابتكار لغات عالمية، وهي تسهيل التجارة، ووحدة الكنائس البروتستانتية وعلم الشفرة.

> « the avoidance of sterile controversies, and the ease of communication between men of education in all lands, other considerations were in men's minds when they pondered the creation of universal languages other: the facilitation of trade, thc unity of the Protestant churches, and the science of cryptography. »[5]

---

[1] **د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الثاني. دار الكتاب اللبناني. ص: 287.**
[2] **د. محمود فهمي زيدان. نفس المرجع السابق. ص: 30.**
[3] **Language Engineering: Special Languages, In. Op. Cit. PP. 462-464.**
[4] **Arika Okrent. In the land of invented languages. Spiegel & Grau, New York, 2009. EBook Edition.**
[5] **R. H. Robins. Op. Cit. P. 116.**

كانت أوروبا في عصر النهضة تضم المئات من اللغات واللهجات، معظمها لم يكتب أبدا إلى اليوم. ولم يكن ثمة من سبيل لترجمة الأعمال الأدبية، أو العلمية أو الفلسفية أو الطبية أو اللاهوتية، التي كانت تدرس في المدارس والجامعات، إلى العاميات الشفهية المتدافعة، التي غالبا ما اختلفت أشكالها حتى أنها لم تكن صالحة للتفاهم بين السكان الذين ربما لم تزد المسافة بين بعضهم وبعض على خمسة وسبعين كيلومترا فحسب.

> « There was no way to translate the works, literary, scientific, philosophical, medical or theological, taught in schools and universities, into the swarming, oral vernaculars which often had different, mutually unintelligible forms among populations perhaps only fifty miles apart. »[1]

أشار اللغوي البريطاني 'وليم كاكستن' (William Caxton) إلى مسألة أخرى، وهي مسألة 'انحطاط اللغات المحلية' في عصر النهضة الأوروبية « The inferiority of vernacular languages »، في وقت كانت اللاتينية تحتضر فيه، فبالإضافة إلى تباين اللهجة الواحدة من منطقة إلى أخرى بشكل مدهش، كانت هذه اللغات تسبب مشكلات عملية في مجال التفاهم، ثم يعطينا مثالا على ذلك أقصوصة التاجر البريطاني الذي أراد بيضا فذكر كلمة (Egg) فلم تفهمه ربة المنزل إذ حسبته يتحدث بالفرنسية، وبعد برهة حضر تاجر بريطاني آخر وطلب بيضا (Eyren)[2]، ففهمت ربة المنزل مراده جيدا وأعطته ما أراد. هذا المثال يبين لنا صعوبة الترجمة في تلك الفترة. إن هذا الشذوذ داخل اللغة الواحدة في تلك الحقبة يوضح لنا أنه ليس ثمة طريقة لترجمة لغة مثل اللاتينية العالية إلى لغات من قبيل اللغات المحلية.

> « There is no way simply to ‘translate’ a language such as Learned Latin into languages like the vernaculars. »[3]

---

[1] **Walter J. Ong. Orality & Literacy (the Technologizing of the World), 30th Anniversary Edition with additional chapters by John Hartley. Routledge (Taylor & Francis Group), London & New York, 2002. P. 111.**

[2] **Roy Harris and Talbot J. Taylor. Op. Cit. P. 87- 89.**

[3] **Walter J. Ong. Op. Cit. P. 112.**

هذه الوضعية عبر عنها 'ميشيل فوكو' جيدا حين قال: إنَّ لغة القرن السادس عشر- لا بوصفها فصلا في تاريخ اللغة، وإنما كتجربة ثقافية شاملة- قد وجدت نفسها بلا ريب حبيسة هذه اللعبة، في هذه الفجوة بين النص الأول ولا تناهي التأويل."

« Le langage du XVIe siècle – entendu non pas comme un épisode dans l'histoire de la langue, mais comme une expérience culturelle globale – s'est trouvé pris sans doute dans ce jeu, dans cet interstice entre le Texte premier et l'infini de l'Interprétation.»[1]

إن 'ديكارت' (René Descartes) أيضا كان قد أشار في إحدى كتاباته إلى قصور لغته التي يكتب بها ونقصانها، معتذرا إلى قُرَّاءه بسبب اضطراره إلى إكمال نصه باللغة اللاتينية، وهو النص الذي كان قد ابتدأه باللغة الفرنسية قائلا: "أأسف بسبب اضطراري لتغيير اللغة هنا لأني أحاول أن أحسن التعبير في هذه النقطة."[2] أما *(Roger Bacon) فكان يرى أن المنطقي لن يكون بإمكانه أن يستعرض ويشرح منطقه إذا كان عليه أن يقدمه بلغته الأم، وهو يشبه ما قاله 'ديكارت' حول اللغة الفرنسية.

«The logician would not be able to expound his logic if he were to present it in the words of his maternal language. »[3] *

تلك هي الحاجة التي لمسها الفلاسفة والمناطقة ومن بينهم 'ديكارت' الذين لاحظوا أن اللغات القومية الأوروبية الناشئة تفتقر إلى الدقة والتحديد، وكما يقول 'ميشيل فوكو': "إن العلوم هي لغات أُحسن صنعها، فبمقدار ما أن اللغات نفسها هي علوم بلا عناية، كل لغة يتوجب إذن إعادة صنعها."

« Les sciences sont des langues bien faites, dans la mesure même ou les langues sont des sciences en friche. Toute langue est donc à refaire. »[1]

---

[1] Michel Foucault. Les mots et les choses, une archéologie des sciences humaines. Editions Gallimard, 1966. P. 56.

[2] د. عبد الوهاب جعفر. الفلسفة واللغة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الطبعة الثانية. 2004. ص: 71-72.

* روجر بايكون (Roger Bacon) ، فيلسوف وعالم وراهب فرنسيسكاني إنجليزي (حوالي 1220 - حوالي 1292 ميلادي).

[3] Contexts of Translation, the languages of medieval England. by: John Burrow. in. the Oxford history of literary translation in English, Vol 1/ To 1550. edited by: Roger Ellis. Oxford University Press, 2008. P. 14.

* The original quotation : 'logicus non poterit exprimere suam logicam si monstrasset per vocabula linguae maternae'. In. **Ibidem.**

ثم يضيف قائلا: "أنه لم يَعُد على المعرفة أن تُخرج من الرمل الكلمة القديمة من الأماكن المجهولة حيث يُمكنها أن تختبئ، إنما عليها أن تُنشئ لغة – وأن تكون هذه اللغة مُصاغة جيدا- أي أن تكون محللة ومركبة، فتكون فعلا لغة الحسابات."

« Le savoir n'a plus à désensabler la vieille Parole dans les lieux inconnus ou elle peut se cacher ; il lui faut fabriquer une langue, et qu'elle soit bien faite -- c'est-à-dire que, analysante et combinante, elle soit réellement la langue des calculs. »[2]

بدءا من عام 1697 ميلادي، وضع الفيلسوف 'لايبنتز' أحد أهم المقترحات والذي تبناه العديد من اللغويين والمترجمين من بعده في إطار ما يعرف بفرضية النسبية أو الوحدانية اللغوية، ومفاده أن اللغة ليست وعاءا للفكر وإنما هي المحددة للفكر البشري.

« Leibniz put forward the all-important suggestion that language is not the vehicle of thought but its determining medium". Many translators and theorists would adhere to monadist postulates fostered by this approach in centuries to come »[3]

وهو ما أدى، وذلك حتى إلى وقت قريب -أي سنة 1957- إلى الاعتقاد لدى بعض الأوساط الأكاديمية واللغويين، بأن اللغات قد يختلف بعضها عن بعض دونما حدود وبطرق لا يُمكن التنبؤ بها.*

« Languages could differ from each other without limit and in unpredictable ways. »[4]

---

[1] **Michel Foucault. Op. Cit. P. 101.**

[2] **Ibid. P. 77.**

[3] **Raquel De Pedro. The Translatability of Texts : Historical Overview. Meta : Journal des Traducteurs. Volume 44, numero 4, decembre 1999, les presses de l'université de Montreal. P. 547.**

* صاحب هذه المقولة هو اللغوي (Martin Joos)، وقد تزامنت هذه المقولة مع صدور كتاب اللغوي الأمريكي (Noam Chomsky) سنة 1957 والذي جاء بعنوان'البنى التركيبية' (Syntactic Structures) والذي أحدث ثورة لأنه كان يرى أن اللغات هي أجزاء مقتطعة من قطعة قماش واحدة، للمزيد حول هذا الموضوع يرجى الإطلاع إلى المرجع التالي الذي استقيت منه هذه المعلومة.

[4] **Neil Smith. Chomsky Ideas and Ideals. Cambridge University Press, second edition, 2002. P. 105.**

أنواع اللغة الكونية:

يقول الدكتور 'زيدان': "هناك لغات مثالية يحاول الفلاسفة والمناطقة إقامتها، وكان وجه الحاجة إليها في نظر الداعين إليها هو الوعي بما في اللغة العادية – وهي ما نتكلمها جميعا في حياتنا اليومية – من غموض وقصور ونقص، فهنالك كلمات ليس لها معنى محدد، وكلمات أخرى معانيها متداخلة، كما أن اللغة العادية بمفرداتها قاصرة عما نريد التعبير عنه." [1]

إن اللغة الفلسفية تستند في بنائها بل وتتطابق مع اللغة المنطقية، لأن "الحقائق الفلسفية لا تبلغ النهاية في العموم والشمول إلا بالانبناء على الأحكام المنطقية"[2]، وإذا قلنا مع 'أبي سعيد السيرافي'* واللغويين الغربيين المحدثين بعده، أن المنطق يرتبط باللغة التي أُنتج بها فذلك يعني انتفاء وجود منطق موحد، وهو ما يعني انعدام وجود أي نوع من التفاهم بين الفلاسفة والمناطقة ذوي اللغات المختلفة. يدعم ذلك ما قاله ' ديكارت' حول هذا الموضوع: "ليس في نطاقها (أي في نطاق الفلسفة) أمر واحد ليس موضعا للخلاف حتى اليوم."[3] يضعنا هذا أمام تحدي فرضية النسبية اللغوية والشك في قدرة الترجمة على نقل المعاني الفلسفية،" ألا تكون الترجمة، وهي على ما هي عليه من التعلق بلغات خصوصية، عند ممارستها على النصوص الفلسفية، مانعا يمنع الفلسفة من الوصول إلى غرضها في اقتصاص المعاني والحقائق الكلية."[4] وهو ما دعا الفلاسفة والمناطقة إلى بحث إمكانية إقامة لغة عالمية مثالية، فقد "ساد الاعتقاد بعد هذا التحديد بأن اللغة الطبيعية غامضة وملتبسة وأن معاني كلماتها مشتركة بشكل يستلزم تعويضها بلغة رمزية يأخذ فيها كل رمز معنى واحدا ومحددا."[5]

لعلّ من بين أهم الدوافع التي دعت إلى إقامة لغات تواصل عالمية، هو الارتياب من التراجمة والمترجمين. والدليل على ذلك هو ذاك النداء الذي وجهه 'كايف بيك' (Cave Beck) في مقدمة مشروعه إلى الناس قائلا: "وفروا عليكم إذن تكاليف اللجوء إلى المترجمين الفوريين، سيجنبكم ذلك خطر سوء فهمكم، أو خطر تعرضكم للخيانة من طرف هؤلاء الوُسطاء-التراجمة*، إن هم نقلوا عباراتكم إلى الآذان الأجنبية بشكل يُجانب الصواب."

---

[1] **د. محمود فهمي زيدان. في فلسفة اللغة. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985. ص: 29-30.**

[2] **د. طه عبد الرحمن. نفس المرجع السابق. ص: 66.**

* للمزيد حول محاورة 'السيرافي' و فرضية النسبية اللغوية ومسألة ارتباط المنطق باللغة يرجى الاطلاع على الفصل الثاني من هذا البحث.

[3] **الموسوعة الفلسفية المختصرة. نقلها عن الانجليزية: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق. دار القلم، بيروت لبنان. ص: 5.**

[4] **د. طه عبد الرحمن. نفس المرجع السابق. ص: 67.**

[5] **د. حسان الباهي. اللغة والمنطق، بحث في المفارقات. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2000. ص: 49.**

* إن اللفظ Truchman يُلمح إلى منحى الانتقاص والتحريف الذي يعكسه اللفظ Truchement باللغة الفرنسية، وكما هو معروف فقد تعرضت إنجلترا إلى غزو النورمانديين في عام 1066 ميلادي، وأصبح استعمال الكلمات الفرنسية سائدا بشكل كبير في إنجلترا. إن لفظ Truchment الفرنسي أو Truchemanus باللاتينية هو تحريف للأصل الكاتالاني Torsimani والذي جاء عبر اللفظ الإسباني Trujaman وهو أقرب للفظ

« Save the charges of hiring Interpreters: Besides, avoyding the danger of being mis-understood, or betrayed by Truch-men, misrelating his Expressions to Foraign Ears.»[1]

أطلق 'كايف بيك' على مشروعه اليوطوبي تسمية 'الرمز العالمي' « The Universal Character » وفي رسالة بعث بها إلى صديقه (Henry Oldenburg) 'هنري أولدنبرغ' في 15 أوت 1668 ميلادي، عرَّف 'كايف بيك' مشروعه 'الرمز العالمي' واصفا إياه بـ'عطارد الجيب للمسافرين'* [2] « Pocket Mercury to Travaylors»، ويضيف 'كايف بيك' في مقدمته قائلا: "إن إيجاد 'رمز عالمي'، في حال ما تم رسم خططه بشكل جيد، سيمكننا من تفادي الكلمات المبهمة والتنويعات الشاذة و الترادف الزائد عن الحاجة (وهو ما أثقل كاهل جل اللغات وجعل من تعلمها أمرا عسيرا)."*

«The finding out of an *Universal Character*, which if happily contrived, so as to avoid all Equivocal words, Anomalous variations, and superfluous Synonomas (with which all Languages are encumbred, and rendred difficult to the learner)»[3]*

العربي 'ترجمان' أو اللفظ العبري Targum، واللفظ العربي جاء من اللفظ الكلداني Targeman، والكلدانية هي لغة قريبة من الآرامية التي نجد فيها اللفظ Turgemana بمعنى المفسر والمؤول. كل هذه الألفاظ تعود إلى الأصل الأكادي، وهي إحدى أقدم اللغات المعروفة إلى جانب السومرية (كانت محكية مابين سنة 3000 قبل الميلاد إلى غاية 1000 قبل الميلاد) أين نجد اللفظ الأصلي Targumannu ولا يُمكن الذهاب أبعد من ذلك. في بعض الأحيان نواجه في بعض النصوص اللفظ الإنجليزي Dragoman والذي جاء من الفرنسية Drogman من البروفنسالية Drogoman من الإيطالية Drogomanno من الإغريقية Dragoumanos والتي جاءت بدورها من تحريف في نطق اللفظ العربي، هذا اللفظ الذي لم يعد متداولا حاليا، كان يعني بالأخص الدليل أو رفيق السياح في الدول التي تكون فيها اللغات العربية أو التركية أو الفارسية هي اللغات المحكية.

[1] **Cave Beck, M.A. The Universal Character, By which all the Nations in the world may understand one anothers Conceptions, Reading out of one Common Writing their own Mother Tongues: (An Invention Of General Use). London, Printed by Tho. Maxey, for William Weekley, and are to be sould at his shop in Ipswich, 1657. (electronic book).**

* إن عبارة 'عطارد الجيب' « Mercure de Poche » تعود على إله التجارة والسفر في الأساطير الرومانية، وهو أيضا رسول الآلهة في الأوليمب « l'Olympe » المعروف أيضا باسم 'هرمس الإغريقي'.

[2] **M. M. Slaughter. Universal languages and scientific taxonomy in the seventeenth century. Printed in Great Britain at the university press, Cambridge. First published in 1982. P. 120.**

* « C'est du moins ce que revendiquent de façon véhémente les préfaces des projets, qui se proposent de surmonter les problèmes nombreux dus aux questions de traductions en particulier : mettre fin à la polysémie, aux synonymes compliquant la langue inutilement, aux mauvaises interprétations des traducteurs… Les langues universelles se veulent des langues véhiculaires, des *lingua franca*. » *Citation précédente dans* : **Fabien Simon. Sortir de Babel. Op. Cit. P. 216.**

[3] **Cave Beck, M.A. Op. Cit.**

* يلاحظ من المقطعين السابقين أن اللغة الإنجليزية الكتابية لم تصل بعد إلى شكلها النهائي الذي نعرفه اليوم، وهو ما يدعم ما سبق ذكره.

لنأخذ مثالا ذلك المشروع الذي جاء به (Francis Lodwik) والذي أسماه 'الخط المشترك' « Common Writing » والذي تم وصفه بـ'الترجمان العالمي أو المترجم الفوري العام'، « Universal Truchman or General Interpreter. ».[1]

"ومع اللغة العالمية سنتخلص من مشاكل الترجمة، وما تثيره في كثير من الأحوال من سوء التفاهم والشقاق، ولا سيما في المجالات الدولية، ونتخلص كذلك من تلك لجهود التي تبذل في الترجمة، والنفقات الباهظة التي تنفق عليها، ففي منظمة الأمم المتحدة جهاز ضخم للترجمة يتكون من مئات المترجمين، وأدوات واتصالات كهربائية معقدة للإرسال و الاستقبال، يقوم على صيانتها عدد من المهندسين المهرة الذين يمكن الانتفاع بهم في وجوه أخرى، ومع مهارة المترجمين في هذه المنظمة لم يخل الأمر من أخطاء أو انحرافات في التعبير لا يمكن معها أن يتم التفاهم بين المؤتمرين."[2] *

من أشهر اللغات العالمية على سبيل المثال لا على سبيل الإحاطة، لغة 'الإسبرنتو' « Esperanto » التي اخترعها سنة 1887 دكتور بولندي اسمه 'لودفيك زامنهوف' (Ludwik L. Zamenhof)، بالإضافة إلى لغة 'الفولابوك' « Volapuk » التي اخترعها القس الألماني 'يوهان شلاير' (Johann Schleyer).[3]

السبـــب وراء إخفــاق مشــاريع اللغــة الكونية:

إن تاريخ المحاولات التي تمت في القرون الماضية، أي محاولات إنشاء لغة عالمية، حسب 'آريكا أوكرنت' إنما هو تاريخ فاشل في معظم نواحيه[4] «The history of invented languages is, for the most part, a history of failure »

يقول 'بول ريكور' (Paul Ricoeur): "يجب أن نتساءل لماذا أخفقت هذه المحاولة ولماذا كان يجب أن تخفق."[5] ولذلك و "للاختصار في نقاش عال التقنية إلى أقصى حد"[6]، أقول أنه على الرغم من الانتشار

---

[1] **Fabien Simon. Op. Cit. P. 216.**

[2] **إبراهيم أنيس. نفس المرجع السابق. ص: 302-303.**

* « L'idéal d'un échange sans entrave passe par la quête de la langue universelle… » *La citation précédente dans*: **Fabien Simon. Op. Cit. P. 588.**

[3] **د. مها محمد فوزي معاذ. الأنثروبولوجيا اللغوية. دار المعرفة الجامعية، 2009. ص: 180 – 184.**

[4] **Arika Okrent. Op. Cit.**

[5] **بول ريكور. نفس المرجع السابق. ص: 38.**

[6] **نفس المرجع السابق. نفس الصفحة.**

الواسع لبعض اللغات المساعدة، إلا أنها أخفقت في منافسة اللغات الطبيعية و الحلول مكانها، وذلك لأنها وبكل بساطة تفتقر للحياد، فقد تم اشتقاق العدد الأكبر من اللغات الخاصة من عدد صغير من اللغات الأوروبية القياسية العادية (من اللغات الرومانسية أساسا)، ومن هنا فهي تعكس دلالات موسومة ثقافيا لعدد قليل فقط من سكان العالم.

> « In practice, the vast majority of special languages have been derived from a very small number of Standard Average European (SAE) languages (principally Romance) and hence reflect the culture specific semantics of only a small part of the world's population.»[1]

كون هذه اللغات المساعدة 'مجردة ثقافيا' هو ما حال أمام نجاحها على أرض الواقع، عكس اللغات الطبيعية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي والحضاري لكل مجموعة لغوية.

> « The most extreme examples of this are the artificial or auxiliary languages, such as Esperanto, which are culture free. The fact that they are culture-free may well account for their lack of success in practice. »[2]

أما 'جوئيل رضوان' فتنتصر للترجمة و للمترجمين، قائلة عن 'الإسبرنتو' أنها: " لا تزال تُستعمل اليوم من قبل مئات الأشخاص. ذلك أن دعاة الإسبرنتو نشطون جدا ويعقدون مؤتمرهم بانتظام كما أنهم يترجمون كثيرا (قرابة 600) عنوان. وعلى نحو مفارق إذن، نرى أن هذه اللغة العالمية تلتـجئ إلى التــرجمـة كثيرا." [3]

2- البحث عن اللغة الثالثة (the Third language):

إن اللغة الثالثة والتي يمكن أن نسميها أيضا بـ 'اللغة المؤشر' أو 'اللغة الواصفة'، هي لغة لا يسعى المُطالبون بها إلى إحلالها محل الترجمة، مثلما نجد ذلك عند الداعين إلى إقامة لغة عالمية مثالية، وإنما هي لغة وسيطة يلجأ إليها المترجم ويطلبها في عمله، فنحن على دراية، كما يقول (Umbero Eco)

---

[1] **Language Engineering: Special Languages, op. cit. P. 456.**

[2] **David Katan. Translating Cultures, An introduction for Translators, Interpreters and Mediators. St. Jerome Publishing, 1999. P. 31.**

[3] **جوئيل رضوان. نفس المرجع السابق. ص: 34.**

'أومبرتو إيكو'، بالمأزق الناتج عن ترجمة اللغات الطبيعية، إنَّ كل لغةٍ هي نظامٌ في ذاتها كما هو معلوم، وهكذا فالترجمة الجذرية تُعد أمرًا مستحيلا، إلا إذا أصبح في الإمكان العثور على لغة مثالية للذهن.

« We know what a predicament translation represents for natural languages. It has been told that every language is a system in itself and that radical translation is impossible, except one is able to find a perfect language of Mind. »[1]

إن المحاولات المختلفة عبر التاريخ لإيجاد واختراع لغة مثالية، أثَّرَتْ بطبيعة الحال على مناقشات الترجمة بشكل عام وعن مبحث 'قابلية الترجمة' بشكل خاص، ذلك أنَّ سؤالا ساحقا واحدا كان قد سيطر على النظريات المختلفة للإشارة عبر القرون: هل الترجمة ممكنة نظريا؟ هذا السؤال كثيرا ما يُناقش من وجهتي نظر أساسيتين.

« One overwhelming question has dominated various theories of signs over the centuries: is translation theoretically possible? This question has frequently been addressed from two radical points of view.»[2]

وجهة النظر الأساسية الأولى، تُسمى بالحجة الشكاكة أو الشمولية «The sceptical or holistic argument » والتي تُعرف أيضا باسم الكلانية أو الشمولية اللغوية*. أما المقاربة الثانية، أو وجهة النظر الأساسية الثانية كما يشير إليها الكاتبان فهي المطالبة بلغة مثالية « The postulate of a perfect language ». إن فرضية وجود لغة مثالية جعلت المنظرين يقترحون أنه لكي نترجم من اللغة (أ) إلى اللغة (ب) يجب أن نعود دوما إلى لغة مثالية (ج) تكون فيها المفاهيم المعبر عنها في اللغتين (أ) و (ب)، أي أن الترجمة تتم بعد إقرار أن كلتا الصيغتين ترادفان صيغة أخرى في اللغة الثالثة، وهكذا يتم الانتقال بدون أدنى غموض، فالبعض يرونها مؤشرا مثاليا ومجردا يرجع إليه المترجم بطريقة خفية نوعاً ما.

---

[1] **The Dream of a Perfect Language. A Lecture Presented by Umberto Eco. November 26, 1996. In: Op. Cit.**

[2] **Routledge Encyclopedia Of Translation Studies, op. Cit. P. 220.**

* من أنصار الكلانية اللغوية، اللغوي 'دي سوسير' و الفيلسوف 'كواين'، أنظر الفصل الثاني.

« Some see it as an abstract, ideal parameter to which the translator refers in a sort of a mystical way. » [1]

هذه ' اللغة المؤشر' « Parameter Language » التي تتموضع، بين النص الأصلي و النص المُترجم، تُعد بمثابة الحَكَمْ أو الفيصل الذي يلجأ إليه المترجم في عمله، إنها بمثابة المعيار الذي يمكننا من تقييم جودة ترجماتنا، وذلك من خلال مقارنة النص الأصلي مع ترجمته، وقياسه مع نص ثالث يتم افتراضه " بكل بساطة لأنه لا يوجد معيار مطلق للترجمة الجيدة، ولكي يكون هذا المعيار متوفرا فإنه يتعين علينا مقارنة نص الانطلاق و نص الوصول مع نص ثالث يكون حاملا لمعنى مشابه يفترض تنقله بين النص الأول و الثاني. "[2] لكن اللغة الثالثة 'المؤشر' هذه يثار حولها مجموعة من الاعتراضات، أولها: أن هذه اللغة لم يسبق أن تم تأسيسها أو اكتشافها، أما الإعتراض الثاني فمفاده أن هذه اللغة يمكن أن ننقل إليها تعابير بسيطة مثل: الثلج أبيض La neige est blanche، ولكنها تعجز عن نقل بعض التعابير التي يكون فيها للكلمات إيقاع صوتي معين، على شاكلة: « and the tintinnabulation of the bells,bells, bells ». أما الإعتراض الثالث فمفاده أنه إذا كان المترجم بحاجة إلى لغة وسيطة واصفة (جـ) للانتقال من اللغة (أ) إلى اللغة (ب)، فهو بحاجة أيضا إلى لغة وسيطة واصفة (د) للانتقال من اللغة (أ) إلى اللغة (جـ)[3]، فبأي معنى يكون النص في (أ) معادلا في المدلول للنص في (جـ)، ولفعل هذا "يجب أن تكون هناك لغة واصفة-واصفة جديدة" يمكن أن نعبر عنها بـ(د)، " وهكذا إلى مالا نهاية."[4]

3- البحث عن اللغة الأصلية (the Original language):

إن رجوع اللغات إلى أصل هو دليل كاف على قابلية اللغات للترجمة، وحول هذا الموضوع يقول 'بول ريكور' : "أكرر وأعيد أن البديل النظري هو: إذا كانت تعددية اللغات جذرية فإنَّ الترجمة تكون متعذرة

---

[1] **Ibid. P. 221.**

[2] **بول ريكور: نفس المرجع السابق. ص: 43.**

* هذا المثال مأخوذ من المجموعة الشعرية 'الأجراس' « The Bells » لـلشاعر والناقد والكاتب الأمريكي (Edgar Allan Poe) 'إدغر ألان بو' (1809-1849 ميلادي)، وهو عمل شعري صدر سنة 1849 ميلادي. حاول الشاعر من خلال هذه الأبيات كعادته توظيف الكلمات لكي تحدث نوعا من الإيقاع الصوتي. « To the tintinnabulation that so musically wells …From the bells, bells, bells, bells. »

[3] **Routledge Encyclopedia Of Translation Studies, op. Cit. P. 221.**

[4] **أمبرتو إيكو. أن نقول الشيء نفسه تقريبا. ترجمة: أحمد الصمعي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، نوفمبر 2012. ص. 432.**

بالقوة، أما إذا كانت ممكنة فانه يجب إعادة الاعتبار لها عن طريق التقصي في أصلها لإعادة بناء ظروف الحدث الملاحظ ما قبليا. "[1]

اكتشاف اللغة السنسكريتية:

لم ينكب علماء اللغة الغربيون على دراسة تاريخ اللغات ومقارنتها ببعضها البعض، إلا في أواخر القرن 18 ميلادي، وذلك بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية وفك رموزها سنة 1786 ميلادي من طرف 'السير ويليام جونس' (1746- 1794)[2] وهو ما "يمثل منعطفا خطيرا في التحول إلى الدراسة التاريخية والمقارنة للغات الأوروبية على مستوى المنهج والنظرية."[3] إنَّ هذا الاكتشاف كان بمثابة الشرارة القادحة التي أشعلت فتيل الدراسات اللغوية المقارنة والبحوث الاستشراقية* على السواء، وقد لاحظ الباحثون البريطانيون في الهند أنَّ اللغة السنسكريتية، مهما كان مدى قدمها، ذات تركيب رائع؛ فهي أكثر كمالا من الإغريقية، وأكثر وفرة من اللاتينية، وأكثر رونقا من كلتيهما؛ رغم أنها تتصل بهما بصلة القرابة، في جذور الأفعال وفي الصيغ النحوية، أكثر مما قد يحدث بمحض المصادفة. وهذه العلاقة قوية لدرجة يصعب معها على العالم باللغات أن يتفحص اللغات الثلاث من غير أن يعتقد أنها كلها جاءت من مصدر مشترك، ربما لم يعد موجودا الآن.

> « The Sanskrit language, whatever its antiquity, is of a wonderful structure, more perfect than the Greek, more copious than the Latin, and more exquisitely refined than either, yet bearing to both of them a stronger affinity, both in the roots of verbs, and in the forms of grammar, than could possibly have been produced by accident; so strong, indeed, that no philologer could examine them all three, without believing them to have sprung from some common source, which, perhaps, no longer exists. »[4]

---

[1] **بول ريكور: نفس المرجع السابق. ص: 34.**
[2] **عبد الجليل مرتاض. في مناهج البحث اللغوي. دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003. ص: 83.**
[3] **د. أحمد عبد العزيز دراج. الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية. مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2003. ص: 60.**
* حول موضوع الاستشراق والترجمة واهتمام الأوروبيين بالأدب العربي، أنظر الفصلين الثالث والرابع من هذا البحث.
[4] **Poliakov, L. The Aryan Myth: A History of Racist and Nationalist Ideas in Europe, trans. Edmund Howard, London: Chatto & Windus. (1974). P. 190.**

إن مسألة القرابة بين اللغات هذه كانت قد شغلت أذهان عدد من المفكرين قبل القرن التاسع عشر، لكن هذه الأعمال التاريخية حول اللغات ظلت تراوح مكانها، ولا يمكن للمرء سوى أن يصفها بأنها كانت أعمالا مبعثرة، ولا يعني ذلك أنها كانت تفتقد بالضرورة إلى عمق النظر أو التقدير، ولكن لأن اقتراحات الباحثين ظلت معزولة إلى حد كبير، بمعنى أن هذه البحوث لم تُطور من طرف سلسلة متواصلة من العلماء، فكل مُفكر كان لديه القليل ليعتمد عليه أو ليكون لديه رد فعل نحوه.

« One can rightly speak of pre-nineteenth-century historical work on languages as sporadic, not because it necessarily lacked insight or an appreciation of what was involved, but because people's suggestions and researches remained largely in isolation, and since they were not taken up and developed by a continuous succession of scholars, each new thinker had little to build on or to react to. »[1]

إنَّ الاعتقاد بـــ 'أولية' اللغة العبرية كان قد أثَّرَ بشكل حتمي في المنهجية التي اتخذها كل من أراد أن يبحث في القرابة بين اللغات، "ووافقهم على ذلك آباء الكنيسة المسيحية، فظلوا حتى القرن السابع عشر يقولون: إنه ما دامت هذه اللغة هي لغة الوحي فإنه يترتب على ذلك ضرورة الاعتقاد بأنها اللغة الأولى للبشر التي عنها تفرعت جميع ألسنتهم." [2] وكما يقول شاتوبريان: "وا أسفاه، حدث أن معرفة أعمق للغة الهند العلمية قد أرغمت قرونا لا تعد ولا تحصى على دخول دائرة الكتاب المقدس الضيقة. يا لحسن حظي، إذ إنني عدت إلى الإيمان دون أن أضطر إلى مكابدة الإحساس بالخزي."

« Hélas, il est arrivé qu'une connaissance plus approfondie de la langue savante de l'Inde a fait rentrer ces siècles innombrables dans le cercle étroit de la Bible. Bien m'en a pris d'être redevenu croyant, avant d'avoir éprouvé cette mortification.»[3]

---

[1] **R. H. Robins. A Short History of Linguistics. Op. Cit. P. 170.**

[2] **د. حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة. دار القلم دمشق. الطبعة الثانية، 1990. ص: 145.**

[3] **Raymond Schwab. La Renaissance orientale. Paris, Payot, 1950. P. 69.**

انقسام اللغات:

تنقسم أيَّ لغة من اللغات، بمرور الوقت بسبب الرطانة إلى مجموعة من اللهجات أو اللغات المحلية، والتي تنقسم بدورها إلى مجموعة أخرى من اللغات أو اللهجات وهكذا دواليك، ذلك أنه " متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض [...] وتكلم بها جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها أمدا طويلا. فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين أخواتها حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها."[1] لعل أحسن مثال على ذلك هو اللغة اللاتينية التي تفرعت إلى ما يُعرف باللغات الرومانسية، لغة 'الإسبرنتو' أيضا لم تسلم من هذه الظاهرة، إذ تفرعت عنها كل من 'الإيدو' (Ido) و'الإسبرنتيدو' (Esperantido) وهي اللغة التي اقترحها René (De Saussure، وهو أخ عالم اللسانيات المشهور. وهكذا يتبين لنا أن هذه اللغات التي جاءت لمعالجة تعدد الألسنة، تخضع بدورها إلى نفس النواميس التي تحكم اللغات الطبيعية "ومن ثم يظهر كذلك خطأ من يحاولون علاج تعدد اللغات بإنشاء لغة عالمية (إسبرانتو Esperanto) يتحدث بها الناس من مختلف الأمم والعصور. وذلك أن هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها و إلزام الناس استخدامها، لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات الطبيعية والتي خضعت لها أول لغة تكلم بها الإنسان."[2]

إن" اللغة كائن حي" كما يقول الأديب العربي 'جرجي زيدان'*، فـ" هي خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الارتقاء العام."[3] تتطور اللغات وترتقي لتحل محل لغات كانت موجودة من قبل، وينجم عن التخلي عن هذه اللغات موتها وفقدانها. إن مسألة القرابة بين اللغات كانت قد شغلت الفيلسوف 'ابن حزم الأندلسي' – الذي كان مُطَّلعا على لغات مُختلفة- وذلك في القرن الحادي عشر الميلادي، وقد توصل في دراسة استشرافية إلى تبيين القرابة بينها قائلا: "من تدبر العربية والعبرانية والسريانية، أيقن أن اختلافها، إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل."[4] وعن القرب بين اللغتين العربية والعبرية يقول الدكتور 'أحمد كشك' في كتابه 'اللغة والكلام':

---

[1] **الدكتور عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع. عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة للكتاب والأولى للناشر، 1983. ص: 111-112.**

[2] **الدكتور علي عبد الواحد وافي: علم اللغة. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، 2004. ص: 178.**

* جرجي حبيب زيدان (1861 – 1914 ميلادي): كاتب وأديب ومؤرخ وأحد رواد الصحافة والتأليف، لبناني المولد مصري النشأة، أثرى المكتبة العربية بعدد من المؤلفات في مختلف المجالات كالتاريخ والجغرافيا واللغة والأدب والتراجم وبالأخص رواياته التاريخية الشيقة، لعل أهمها: 'الأمين والمأمون'، 'صلاح الدين الأيوبي'، 'شجرة الدر'، 'الحجاج بن يوسف'.

[3] **جرجي زيدان: اللغة العربية كائن حي. دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1988. ص: 9.**

[4] **أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: الإحكام في أصول الأحكام. قدم له أ.د: إحسان عباس. دار الآفاق الجديدة، بيروت. المجلد الأول، الجزء الأول. ص: 32.**

"فالعلاقة بين العبرية وأخواتها الساميات المتجاورات بالعربية لا تحتاج إلى تدليل، فالأرومة واحدة وأسماء الأجناس تثبت الاشتراك، ونظام الضمائر والإشارة والجمع والعطف وصوغ المشتقات يؤكد التلاقي ومن ثم يؤكد القرب وحدة الأرومة والنسب."[1]

الفصائل اللغويـة:

"... أن لغات العالم رغم عددها الهائل ترجع إلى لغات أصول بعدد قليل جداً؛ لا يتجاوز عددها حسب بعض الافتراضات ثلاث لغات أصول. بل تُرجع "شجرة الأنساب اللغوية" لغات العالم جميعها إلى لغة أصل واحدة."[2] ونتيجة لاكتشاف صلات القرابة والتماثل بين اللغات، قام فُقَهاء اللغة* بعد ذلك بضم هذه اللغات في شعب، ومن ثم توصلوا أيضا إلى ضم هذه الشعب في شكل فصائل أو عائلات لغوية. ومن أهم التصنيفات، نجد التصنيف النوعي للغات الذي اقترحه 'شليغل' (Schlegel) ، ويقوم هذا التصنيف على أساس تماثلها في الخواص التركيبية. وقد تم تشكيل اللغات حسب هذا التصنيف في ثلاث فصائل وهي: 1- اللغات التحليلية Analytiques أو المتصرفة Flexionnelles، 2- اللغات الإلصاقية Agglomérantes، 3- اللغات العازلة Isolantes أو غير المتصرفة Mono-Syllabiques.[3] أما التصنيف الآخر فهو تصنيف جيني وراثي، بمعنى أن لغات كل فصيلة من فصائل هذا التصنيف تنتمي إلى سلف واحد مشترك، أو لغة أُم مشتركة تم افتراضها. تتشكل اللغات وفقا لهذا التصنيف في شكل عائلات لغوية، تجمع بين لغات العائلة الواحدة صلات قرابة. ومن أشهر النظريات حول هذا التصنيف؛ نجد نظرية (Max Muller) 'ماكس مولر'، الذي قسم اللغات إلى ثلاث فصائل، يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات قرابة لغوية، وتتفق هذه اللغات في أصول كلماتها وقواعد بنية وتراكيب جملها، وهذه الفصائل هي: 1- الفصيلة الهندية الأوروبية*، 2- الفصيلة الحامية- السامية، 3- فصيلة اللغات الطورانية.[4]

للبرهنة على مسألة القرابة بين اللغات السامية- الحامية، يمكننا الاعتماد على جذور كلماتها لتأكيد القرابة اللغوية والأصل الواحد بين هذه اللغات، مستبعدا في نفس الوقت أن يكون ذلك الاشتراك من قبيل المصادفة، حيث أكد أن هذه اللغات لم تتباعد سوى في التفاصيل والجزئيات، بينما بقيت محتفظة بسمة

---

[1] **د. أحمد كشك: اللغة والكلام، أبحاث في التداخل والتقريب. مكتبة النهضة المصرية. ص: 75.**

[2] **د. محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية، 2- اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية. دار الأمان، الرباط. الطبعة الأولى: 2001. ص: 462.**

* فقـه اللغـة أو الفيلولوجيـا « Philologie » لفظـة لهـا معـان كثيـرة ومتباينـة وعنـاوين أخـرى مشـابهة وذلـك وفـق مدرسـة الباحـث ولغتـه، يُشار بها غالبا – في ميدان اللسانيات- إلى علم اللغة التاريخي ودراسة اللغات في أشكالها الماضية.

[3] **د. السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية. المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى، 2008. ص: 32-33.**

* تنتمي كل من اللغتين الإنجليزية والألمانية إلى مجموعة اللغات الجرمانية، وبالتالي فإن اكتساب اللغة الألمانية، مثلا، سيكون سهلا على من أتقن اللغة الإنجليزية، إذ يكفي هذا الأخير أن يُوَظّف مكتسباته القبلية ليُحقق هدفه المرجوّ، نفس الشيء ينطبق على مجموعة اللغات الرومانسية.

[4] **د. محمد أسعد النادري: فقه اللغة، مناهله ومسائله. المكتبة العصرية، صيدا- بيروت- لبنان، 2009. ص: 108-110 .**

الأصل المتقارب، ومن الأمثلة على ذلك: " أن الجذر المصري والسامي (م و ت– mwt) والبربري (م م ت- mmt) يعني: فكرة الموت. وفي السامية (ح ش ب hšb) وفي المصرية (ح س ب- hsb) وفي الكوشيتية (ه س ب- hsb) بمعنى: يحسب أو يعد."[1] وهكذا، فحسب التصنيف الجيني الوراثي، نجد أن كل من لغتنا العربية ولغاتنا (الأمازيغية) تنتمي إلى عائلة واحدة، وهي عائلة اللغات الحامية - السامية، وهو ما سهل انتشار اللغة العربية بين الأمازيغ بعد الفتح الإسلامي، "إن بقاء الفينيقية بألسنة البربر سهل عليهم تعلم العربية."[2] * وهي الفكرة التي تناولها (Gilbert Meynier) أيضا إذ يقول عن الفاتحين المسلمين الأوائل وعن تفاهمهم مع الأمازيغ:

« Les conquérants n'eurent pas toujours trop de mal à comprendre cette langue sémite, voisine de l'arabe et de l'hébreu.» [3]

هناك من أوغل أكثر في هذا السبيل، وسعى إلى إثبات أن كلا من الفصيلتين الحامية- السامية و الهندية- الأوروبية تتفقان في كثير من أصول الكلمات. ومن الباحثين من يعتقد أن كلا الفصيلتين " قد تفرعتا عن لغة دثرت ولم يَصل إلينا شيء من آثارها."[4] غير أن علماء اللغة يعجزون عن التوغل أبعد من ذلك لأن " اللغة كطاقة بشرية يمتد عمرها إلى آماد سحيقة لا يمكن حدها وتسبق كثيرا أقدم اللغات المعروفة."[5]

الكليـات اللسانيــة:

مهدت الدراسات التاريخية المقارنة بين اللغات، لظهور أبحاث أكثر عمقا حول والتماثل بين اللغات، وقد تم ذلك في إطار ما يُعرف بـ'علم اللسان العالمي الكلي'، الذي عُني بالبحث عن 'الكليات اللغوية' أو ما يُصطلح عليها أيضا عند بعض الباحثين بـ'العالميات اللغوية' « Linguistic Universals » والتي يُراد بها السمات التي تظهر في اللغات جميعا، " والمراد بالعالميات السمات اللغوية المشتركة الكامنة تحت الاختلاف الظاهر بين اللغات، التي يكشف البحث التصنيفي عن تماثلها، إضاءة لطبيعة اللغة

---

[1] **د. عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثانية، 1985. ص: 32- 33.**

[2] **مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي. ج2. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ص: 42.**

* تميزت الجزائر منذ القديم بأنها بلد متعدد اللغات، فالجزائريون القدماء كانوا بشكل عام يتكلمون ثلاثة لغات: 1- ما يُعرف باللغة الليبية: وهي البربرية في شكلها القديم. 2- اللغة البونيقية: وهي اللغة الفينيقية التي كان يتحدث بها جيرانهم القرطاجيون- وقد بقيت مستعملة حتى القرن الخامس الميلادي، أي إلى غاية الفترة التي عاش فيها القديس أوغسطين (St Augustin). 3- اللغة الإغريقية: والتي كان يتكلمها النبلاء والحكام في ذلك العصر، باعتبارها لغة الثقافة والعلم والدبلوماسية الأوسع انتشارا في العالم القديم، وهي اللغة التي كان ماسينيسا (Massinissa) وأحفاده من بعده – على سبيل المثال لا الحصر- يستعملونها في محادثاتهم مع روما.

[3] **Gilbert Meynier: L'Algérie des origines, De la préhistoire à l'avènement de l'islam. Barzakh, Algérie, 2007. P: 13.**

[4] **د.علي عبد الواحد وافي: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 2003. ص: 106.**

[5] **د. أحمد مختار عمر: أنا واللغة والمجتمع. عالم الكتب، القاهرة. الطبعة الأولى، 2002. ص: 146.**

البشريةhuman language، وإدراكا لعمل العقل البشري، وإيضاحا للوحدة النفسية psychic unity عند البشر، واكتشافا لشبكة من العلاقات بين اللغات ظاهرة وباطنة. "[1]

"تعتمد فرضية الكلية على ملاحظة أن الألسن يمكن ترجمة بعضها إلى بعض، فلا بد إذن من وجود أنواع من التشاكل القوي بينها"[2]، ويُعد الأمريكيان (Noam Chomsky) و (Joseph Greenberg) من أشهر اللغويين على الإطلاق الذين تناولوا بالدراسة موضوع الكليات اللسانية، وقد إنتهج كل واحد منهما في بحثه عن الكليات اللسانية أسلوبا من أساليب البحث اللغوي يختلف عما انتهجه الآخر، وذلك بغية الوصول إلى وصف هذه الكليات، وهي البحوث التي "أدت إلى أحكام موحدة."[3] فأما عن الأسلوب التي انتهجه 'تشومسكي' للوصول إلى هذه الكليات فتسميه 'جين آيتكيسون' (Jean Aitchison) بأسلوب الحفر العميق [4]« the Deep delving approach »، أي البحث بشكل معمق في قواعد لغة واحدة بغية استخلاص مبادئها وقواعدها الأساسية، ومن ثم مقارنتها باللغات الأخرى بغية إيجاد أوجه شبه مشتركة، أي أن 'تشومسكي' وضع نظريته أولا ثم حاول بعد ذلك إثباتها تجريبيا عن طريق المقارنة، وهو ما يؤكد على الناحية الإبداعية لديه وأصالته الفكرية التي كانت أحد أسباب شهرة نظريته، فقد "حصر تشومسكي في 1957 مجال الدراسة في التركيبية وهو يبحث عن بناء ' نظرية للأبنية اللسانية دون الرجوع إلى لغة مخصوصة'."[5] أما المنهج الثاني، والذي اتبعه 'غرينبرغ' في بحثه عن الكليات اللغوية، فيمكن اعتباره أكثر تجريبية، لأنه بدأ بالتجربة ليصل فيما بعد إلى وضع النظرية. وتصطلح 'جين آيتكيسون' على أسلوب 'جوزيف غرينبرغ' بـ الكشط السطحي [6] « shallow scraping »، والذي يتمثل في جمع العينات عن طريق دراسة عدد كبير من لغات العالم، وذلك حتى يتسنى له أن يرى إن كان فيما بينها خصائص مشتركة، أي أنه ينطلق من المادة اللغوية ليصل إلى النظرية. وقد أثمرت هذه البحوث عن اكتشاف نمطين من الكليات: كليات مادية وكليات شكلية[7]، هذه الكليات هي عبارة عن الثوابت المشتركة بين جميع اللغات:

اللغات:

---

[1] د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002. ص: 121-122.

[2] روبير مارتان. مدخل لفهم اللسانيات (إبستيمولوجيا أولية لفهم علمي). ترجمة: عبد القادر المهيري. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، سبتمبر 2007. ص: 89.

[3] د. حسام البهنساوي: نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية (دراسات تطبيقية).مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،2004. ص: 19.

[4] Jean Aitchison: The seeds of speech, language origin & evolution. Cambridge University Press, 1996. P. 134.

[5] كاترين فوك و بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة. تعريب: د. المنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984. ص: 77.

[6] Jean Aitchison. Ibidem.

[7] بريجيته بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي. ترجمة: د. سعيد حسن بحيري. الطبعة الأولى، 2004 مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ص: 286.

« All languages: 1. have consonants and vowels. 2. combine sounds into larger units. 3. have nouns-words for people and objects. 4. have verbs-words for actions. 5. can combine words. 6. can say who did what to who. 7. can negate utterances. 8. can ask questions. 9. involve structure-dependence 10. involve recursion. » [1]

" اللغات جميعاً : 1- فيها صوامت وصوائت. 2- تؤلف بين الأصوات في وحدات أكبر. 3- فيها أسماء؛ أي كلمات تدل على الناس والأشياء. 4- فيها أفعال؛ أي كلمات تدل على أعمال. 5- يمكنها تأليف الكلمات. 6- يمكنها تمييز الفاعل من المفعول به. 7- يمكنها نفي الألفاظ. 8- يمكنها طرح الأسئلة. 9- تتضمن تبعية للبنية. 10- تتضمن التكرار." (ترجمتي).

المَلَكَة اللغويـة:

اللغة هي نتاج عقلي خاص بالإنسان، بغض النظر عن أي روابط تاريخية أو وراثية يمكن أن تجمع فيما بينها، والملكة اللغوية واحدة، فعلى الرغم من اختلاف الألسنة فإن شيئا من هذه الوحدة يتجلى فيها حيث يبدو أن الملكة اللغوية البشرية 'خصيصة' مقصورة على النوع حقيقة، ولا يختلف البشر فيها إلا اختلافا ضئيلا، وليس لها نظير مهم عند سواهم.

« The human faculty of language seems to be a true ‘species property’, varying little among humans and without significant analogue elsewhere. » [2]

يضيف 'تشومسكي' قائلا: " الملكة اللغوية مكون من مكونات العقل/الدماغ، أي أنها جزء من الإعداد الإحيائي للإنسان، فإذا قُدِّم للطفل، أو على الأدق، قُدِّم لملكته اللغوية، المادة الأولية، فإنه سيُكَوِّن لغة ما..."[3] إن الطفل في سنوات عمره الأولى يكون لديه فهم دقيق وواضح للخصائص العامة الكونية للغة الإنسان، لقد أظهرت الدراسات أن ما يتلقاه الطفل في المراحل الأولى من عمره - أي أثناء بنائه للغته - أقل بكثير مما يستعمله، وبمعنى أدق فالطفل وعلى الرغم من ضآلة تجاربه اللغوية، فإن لديه القدرة على

---

[1] **Jean Aitchison: Ibid. P. 132.**

[2] **Noam Chomsky. New Horizons in the Study of language and Mind. Cambridge University Press, New York, 2000. P. 3.**

[3] **د. السيد الشرقاوي: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة. الطبعة الأولى، 2002. ص: 102.**

إنتاج جمل وتراكيب لم يسمعها من قبل، فالطفل يكتسب المعرفة اللغوية بالفطرة من غير حاجة إلى تعلم لغته بصورة نظرية مباشرة. "إننا حين ننظر إلى نظام القواعد عند البالغين من متكلمي اللغة الأصليين، وهو ما يُمثل معرفتهم اللغوية، بكل تعقيداته نجده لا يتناسب مع المادة اللغوية التي يواجهها الطفل في سني اكتسابه اللغة بفقرها ومحدوديتها..."[1]

البنية السطحية والبنية العميقة للغات:

إستكمالا لما سبق، أضيف ما ذكره الفيلسوف 'لايبنتز' في القرن 18م، من أن اللغة البشرية تستخدم مصادر محدودة العدد لكي تبتكر عددا غير محدود من العبارات،[2] « human language uses finite resources to create infinite utterances » وهي الفكرة التي حظيت بعناية 'تشومسكي' الذي بيّن الجانبين 'السطحي' و'العميق' للغة. إن الوصف النحوي للجمل بالنسبة إلى 'تشومسكي' له جهتان: 'بنية عميقة' (Deep structure)، و'بنية سطحية' (Surface structure)، "والبنية السطحية – في عبارة مجملة – هي جهة الوصف التي تحدد الصيغة الصوتية للجمل، على حين أن البنية العميقة تحدد التفسير الدلالي لها...والقواعد التي تعبر عن العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية في الجمل تسمى التحويلات النحوية grammatical transformations."[3] إن التحليل اللغوي العميق، حسب 'هومبولدت' (Humboldt)، يُبيّن شكلا لغويا مُشتركا وقائما وراء التباينات الملحوظة بين أمة وأخرى وبين فرد وآخر... والقواعد العامة (الكلية) هي دراسة الشروط الكلية التي تنص على شكل كل لغة إنسانية.

> « deep analysis will show a common “form of language” underlying national and individual variety. There are, then, certain language universals that set limits to the variety of human language. »[4]

إن البنية العميقة التي تحدد المعنى، مشتركة بين كل اللغات، وذلك لأنها ليست سوى انعكاس لأصول الفكر. والقواعد التي تحول البنية العميقة إلى بنية سطحية تختلف من لغة إلى أخرى.

---

[1] **د. مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية. دار الشروق، عمان الأردن. الطبعة الأولى، 2002. ص: 32.**

[2] **Thomas Scovel. Psycholinguistics. Oxford University Press, 1998, Printed in Spain. P. 17.**

[3] **د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى، 1990. ص: 18.**

[4] **Noam Chomsky. Cartesian Linguistics, A Chapter in the History of Rationalist Thought. Edited with a new introduction by: James Mc Gilvray. Third Edition, Cambridge University Press, 2009. P. 98.**

« The deep structure that expresses the meaning is common to all languages, so it is claimed, being a simple reflection of the forms of thought. The transformational rules that convert deep to surface structure may differ from language to language. »[1]

المبحث الثالث: اللغات والترجمة في ظل العولمة:

ما هو السبب الذي يجعل لغة ما تفرض نفسها بقوة على غيرها من اللغات؟ هل يعود ذلك لكونها لغة راقية تتصف بالكمال كما اعتقد الأقدمون؟ عن هذا السؤال تجيبنا الباحثة في علم اللسانيات الاجتماعي 'جولييت غارمادي' قائلة: "في الأصل، على الأقل، اللغة المسماة مشتركة هي لغة عامية كان لها الحظ السعيد، فاكتسبت لأسباب غير لسانية- كالأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية- أهمية خاصة في متحد معين.."[2] إنَّ التواصل في القرن الحادي والعشرين لا يتم في معظمه إلا عبر شبكة الإنترنت التي تعتبر مصدرا جوهريا للمعلومات، وإذا حاولنا أن نلقي نظرة سريعة على نسبة انتشار اللغات داخل مواقع شبكة الإنترنيت لتَبينَ لنا أن هناك حالة من اللاتكافؤ اللافت للنظر بين اللغات، ذلك أن 75% من صفحات الإنترنت مكتوبة باللغة الإنجليزية، 4% مكتوبة باللغة الألمانية وهي نفس نسبة الصفحات المكتوبة باليابانية، 2,81% باللغة الفرنسية، 2,53% بالغة الإسبانية ونسبة 1% باللغة الإيطالية، كما أن 80% من الدردشات في غرف المحادثات تتم باللغة الإنجليزية.[3]

- السؤال هو: هل يمكننا أن نتحدث مجددا في ضوء المعطيات الراهنة التي فرضتها العولمة عن حوار الثقافات واللغات؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نتحلى بالموضوعية والعقلانية، بطبيعة الحال لا يمكننا أن نترجم كل محتويات شبكة الإنترنت ومصادر المعرفة إلى كل لغات العالم، فذلك حلٌّ غير عمليّ يتطلب وقتا ومجهودا وتمويلا، وعلى نحو مماثل لا يمكننا أن نتخيل وجوب حضور مترجم فوري في كل محادثة تتم بين شخصين، ويبقى الحل الوحيد للوصول إلى مصادر المعلومات والمعارف هو اكتساب اللغة الإنجليزية، لأنَّ معظم البحوث العلمية والاكتشافات الجديدة يتم نشرها حاليا بهذه اللغة، كما أنها السبيل الأمثل الذي سيُمَكّن أرباب المال والشركات الطامحة من بلوغ الأسواق التجارية العالمية، ولا يرجع ذلك لكونها لغة كاملة أو لغة راقية وإنما لكونها لغة المال والتجارة: فـ" النقود واللغة يتسم البحث فيهما بدرجة

---

[1] **Ibid. P. 81.**

[2] **جولييت غارمادي. اللسانة الاجتماعية. عربه: د. خليل أحمد خليل. دار الطليعة، بيروت، لبنان. ط1، 1990. ص: 59-60.**

[3] **Christina Schaffner. Translation in the Global Village : Current Issues in Language and Society. Multilingual Matters, 2000. P. 3.**

من العمق والتجريد توازي عمومية استعمالهما، وهما مرتبطان أحدهما بالآخر بشكل أقوى مما يتصور، ونظرية أحدهما تفسر نظرية الآخر. ويبدو أنهما يقومان على أسس مشتركة. "[1] لقد انتقلت اللغة الإنجليزية من المحلية إلى العالمية، إذ لم تعد محصورة في نطاق جغرافي محدد، بل أصبحت لغة عالمية مُوحِّدة يتحدث بها العالم كله على اختلاف لغاته، ومن ثم فإن تغلغلها وانتشارها أصبح بمثابة الخطر الداهم بالنسبة إلى لغات المجموعات البشرية الصغرى، والتي باتت مهددة بالاندثار من يوم لآخر

لم يعد يُنظر في القرن الواحد والعشرين إلى تعدد اللغات على أنه نقمة أو لعنة، بل أصبح يُنظر إليه على أنه نعمة وبركة يجب المحافظة عليها، لقد أضحت اللغة الإنجليزية تُنعت بأنها "لغة قاتلة" « Killer Language »، مُتهمة بـ"الإبادة اللسانية الجماعية" « Linguistic genocide ».[2]

يقول بول ريكور: "ورغم الانشقاقات فنحن نناضل من أجل الأخوة الجامعة، ورغم تنافر اللهجات يوجد مزدوجو اللغة و متعددو اللغات وتراجمة ومترجمون."[3]. معنى ما سبق حسب بعض الباحثين: هو أن 'ريكور' يصل حد الإشارة إلى أن روح السياسة الأوروبية المستقبلية، والسياسة العالمية في نهاية الأمر، ينبغي أن تقوم على تبادل الذكريات والسرديات بين الأمم المختلفة، ذلك أن المصالحة و الالتئام لا يمكن أن يتما إلا حين نترجم جراحنا إلى لغة الغرباء ونعيد ترجمة جراح الغرباء إلى لغتنا."

> « Indeed, Ricoeur goes so far as to suggest that the future ethos of European politics, and eventually of world politics, should be one based upon an exchange of memories and narratives between different nations, for it is only when we translate our own wounds into the language of strangers and retranslate the wounds of strangers into our own language that healing and reconciliation can take place. »[4]

إن الرد على الحقيقة البابلية تمثل في نمو صناعة الترجمة، وعلى الرغم من انتشار الإنجليزية، إلا أن أرباب الصناعة في العالم يعلمون جيدا أنهم لا يمكنهم شراء أو بيع كل شيء بالإنجليزية، لقد أصبحت

---

[1] فلوريان كولماس. اللغة والاقتصاد. ترجمة: د. أحمد عوض. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 2000. ص: 9.

[2] English as a Lingua Franca and the Politics of Property, by : Barbara Seidlhofer and Jennifer Jenkins. In : The Politics of English as a World Language, New Horizons in Postcolonial Cultural Studies. Edited by : Christian Mair. Cross / Culture 65, ASNEL Papers 7. Amsterdam - New York, NY 2003 P. 141.

[3] بول ريكور. نفس المصدر السابق. ص: 39.

[4] Paul Ricoeur. On Translation. Op. Cit. P. XX.

المنظمات الدولية تعترف بالتعددية اللغوية، وكانت سياسات الاتحاد الأوروبي هي الحاسم في هذا التطور، الذي قدم الحجة بأن احترام التعدد الثقافي هو عنصر أساسي في سياسته[1]. لقد أسفر كل ذلك عن نتائج مهمة بالنسبة للمترجمين في القرن الواحد والعشرين، فمع الازدياد الموازي في حجم المحتوى الرقمي، وفي الحاجة إليه داخل الاتحاد الأوروبي، تتحول نماذج الترجمة وخدمات صناعة التوطين الثقافي نحو مقاربات أكثر مركزية حيث يحتاج المزودون إلى تغطية كل الأزواج اللغوية من وإلى لغة رسمية واحدة، 20 زوجا لغويا لكل بلد/لغة، أو حتى كل الأزواج اللغوية من وإلى أي لغة رسمية، 110 زوجا لغويا في المجموع.

> « With the parallel increase of the volume of digital content and demand for it in the EU, the models of translation and localisation services move towards more centralised approaches where suppliers need to cover all language pair combinations from and to a single official language, 20 language pairs per country/language, or even all language pairs from and to any official language, 110 language pairs in total ! »[2]

[1] Vilelmini Sosonis. Multilingualism in Europe, Blessing or curse? In: Less Translated Languages. Ed by: Albert Branchadell & Lovell Margaret West. John Benjamins Publshing Company, Amsterdam- The Netherlands, 2005. P. 39 – 47.

[2] Michael Cronin. Op. Cit. P. 83.

خاتمة الفصل الأول:

هل حقا هناك لغات عليا ولغات دنيا، هل حقا هناك لغات همجية ولغات نبيلة؟ المسألة أبعد من أن تكون سهلة وبسيطة [1]« La question est loin d'être simple »، ولكنها بالمقابل كانت دوما حجة جاهزة يستند إليها من يشككون في إمكانية الترجمة.

مع ذلك فمن الممكن –حسب الفيلسوف 'فريجه' (Frege)- أن نقارن اللغة من هذه الزاوية بأيدينا، التي تتوفر على قدرة هائلة للقيام بمهام شديدة التنوع، والتي لا تكفينا بالرغم من ذلك، وهكذا فإننا لا نجد مفرا من صنع أيد صناعية وأدوات من أجل تحقيق أهداف خاصة، تعجز أيدينا عن تحقيقها، إن اللغة تشكو هي الأخرى من النقص ذاته.

> « In this respect, language can be compared to the hand, which despite its adaptability to the most diverse tasks is still inadequate. We build for ourselves artificial hands, tools for particular purposes, which work with more accuracy than the hand can provide. Word-language is inadequate in a similar way....»[2]

إن ما أشار إليه الفيلسوف الألماني (Frege) يندرج في إطار ما يُسمى بـ'هندسة اللغة' (Language Engeneering)، وإصلاح اللغة قد يعني إما تقعيد اللغة وتجهيزها عن طريق الترجمة كما كان الحال مع اللغة الفرنسية، أو الخيار الأكثر راديكالية والمتمثل في اختراع لغة جامعة وذلك سعيا نحو إيجاد بديل للترجمة. غير أنه من الواجب أن نعلم في الأخير أنَّ معظم المحاولات التي كانت ترمي إلى إقامة لغة كونية مطلقة ثبت، في حقيقة الأمر، أنها خدع إمبراطورية غير مموهة جيدا بغية فرض لغة بعينها (كـالفرنسية والإنجليزية والإسبانية، إلخ) على اللغات الأخرى الخاضعة سياسيًّا.

> « Indeed, most attempts to instantiate an absolute universal language proved, in point of fact, to be thinly disguised imperial ploys to

---

[1] **Sylvain Auroux, Jacques Deschamps & Djamel Kouloughli. Op. Cit. P. 340.**
[2] **Michael Potter & Tom Ricketts. The Cambridge Companion to Frege. Published in the United States of America by Cambridge University Press, New York, 2010. P. 43.**

impose one particular language (French, English, Spanish, etc.) over other politically subordinate ones. »[1]

حاولت أن أوضح أيضا خلال الفصل الأول أن الظروف الخارج نصية (les conditions extratextuelles)هي التي كانت تتحكم إلى حد كبير في قابلية نص ما أو عدم قابليته للترجمة، كالرغبة في الحفاظ على هرمية المجتمع، أو الخوف من الذوبان في ثقافة الآخر، أو محاولة حماية الكلام الإلهي من التدنيس، أو التوجس والريبة من المترجم الذي قد يكون 'مرتدًّا' أو 'صليبيًّا' أو 'عربيّا' أو 'رجلا قادما من الريف' أو حتى 'امرأة من عامة المجتمع'. فلا عجب إذن أن الأمم كانت دوما تشعر بحاجة ملحة إلى شخص أو أشخاص تثق فيهم لتوكل إليهم مهمة الترجمة، ومن المهم أيضا أن نتذكر أن الثقة تكمن في من يُنتج الترجمة، وليس بالضرورة في الإنتاج ذاته، فالمترجمون الذين يحظون بالثقة، مثل مجموعة المترجمين الذين أنتجوا الترجمة السبعينية، كانوا قد أنتجوا في واقع الأمر ترجمة رديئة نسبيا باعتراف المختصين أنفسهم، إلا أنها بقيت مستعملة إلى يومنا هذا بوصفها الترجمة الرسمية للكنيسة الأرثوذوكسية، فـالثقة قد تكون أهم من الجودة والنوعية.

« No wonder nations have always felt they needed some person or persons they could trust enough to entrust him or her with the task of translating [...] It is important to remember that the trust is invested in the producer of the translation, not necessarily in the product itself. 'Trusted' translators, like the group of translators who produced the Septuagint, in fact produced what is generally acknowledged as a relatively 'bad' translation, but one that continues to function to this day as the 'official' translation used by the Greek Orthodox Church. Trust may be more important than quality. »[2]

---

[1] **Paul Ricoeur. On Translation. Translated by: Eileen Brennan, with an introduction by : Bryan Kearney. Routledge, Taylor & Francis Group. London & New York, first published 2006. P. xvii.**

[2] **André Lefevere. Translation, History, Culture (A Sourcebook). Routledge London & New York. Published in the Taylor & Francis E-Library 2003. P. 2.**

الفصل الثاني:

في قابلية أو عدم قابلية الترجمة.

تمهيد الفصل الثاني:

نوقش منذ القديم موضوع 'قابلية أو عدم قابلية الترجمة ' من طرف المترجمين، والفلاسفة واللغويين، ولعله من أكثر المواضيع تناولا في ميدان الترجمة على مر الأزمان، وهو ما يضعنا أمام مشكلة منهجية تتمثل فيما يلي: الأفكار حول هذا الموضوع، كثيرة لا يمكن حصرها، فما الذي يجدر بنا تناوله في هذا البحث وما الذي علينا تركه؟

وإذا كنا قد تناولنا في الفصل الأول موضوع الترجمة والارتياب، فإن هذا الفصل، سيحاول دراسة آراء أهم المترجمين، واللغويين والفلاسفة والعاملين في حقل الأدب، " إن الترجمة –في معناها الخاص- تعني النقل من لغة منطلق (أو مصدر) إلى لغة مستهدفة (أو هدف) لإشباع حاجات معينة وبشروط خاصة. وقد نُظر إلى الترجمة عبر العصور تبعا للتنظير للغة ولمكوناتها ولوظائفها، ومصداق هذا أن نظريات الترجمة المعاصرة تأثرت بالنظريات التي تتعلق بفلسفة اللغة وباللسانيات وبالدليليات وبالسيميائيات وبالتاريخ المقارن وبالإناسة." [1]

يمكن تقسيم مجموع الآراء القيمة لموضوع 'قابلية الترجمة'، إلى قسمين رئيسيين اثنين:

هناك تيار افترض استحالة التواصل بين البشر، وعدم إمكانية نقل أفكار الفرد إلى الغير، فإذا كانت اللغة هي التي توجه فكر الناطقين بها، فكيف إذن يمكن تبادل الأفكار بين الناطقين بلغات مختلفة، هذه النظرية عرفت باسم 'النسبية اللغوية والثقافية'، هذه النظرية، ظهرت عند 'همبولدت'، وتطورت فيما بعد على ليشمل تأثيرها حتى أولئك الذين يشتغلون في حقل الترجمة. إن مصاعب التأويل الثقافي، هو موضوع أحست به مجموعة من المترجمات والمترجمين المعروفين باسم 'مجموعة ناكسوس' « Groupe de Naxos» (نسبة إلى جزيرة 'ناكسوس' اليونانية التي تم فيها لقاؤهم سنة 1998) أثناء ترجمتهم إلى نحو عشرين لغة للنص المُؤسس لــ "التحالف في سبيل عالم مسؤول ومتضامن"، وقد لاحظ هؤلاء المترجمون والمترجمات أن الكلمات مهما بلغت بساطتها فإنها ستفقد فرادتها وخصوصيتها وذلك بمجرد انتقالها من بيئتها الأصلية إلى بيئة مغايرة حتى ولو تعلق الأمر بالانتقال بين بيئتين متقاربتين جغرافيا كما هو الحال بين اللغات الأوروبية، فكيف الحال عندما يتعلق الأمر بالانتقال بين لغات متباعدة جغرافيا وحضاريا، وحول هذا الموضوع تُضيف اللسانية الهولندية 'إديث سيزو' (Édith Sizoo) باعتبارها إحدى المشاركات في هذا المشروع قائلة: " ينطوي التواصل 'الدولي' على عدد كبير من المصائد: هناك

[1] د. محمد مفتاح. التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية). المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1996. ص: 186.

مفاهيم وتسلسل أفكار – واضحة للفكر الغربي- هي ليست كذلك بالنسبة إلى شخص من الطوغو أو من الصين. لأن كل لغة تقوم على ثقافة، وتعبر عنها. ولأن كل كلمة، في ما يتعدى دلالتها المباشرة، القابلة للترجمة إذا، إنما تنحدر من رؤية للكائن البشري للمجتمع، للعالم المنظور والمستور.

> « La communication ‘internationale’ recèle bien des pièges : des concepts, des enchaînements d’idées, évidents pour un esprit occidental, ne le sont en rien pour un Togolais ou un Chinois. Parce que chaque langue repose sur une culture, en est l’expression. Parce que chaque mot, bien au-delà de sa signification directe, donc traduisible, est issu d’une vision de l’être humain, de la société, du monde visible et invisible…. »[1]

أما التيار الآخر، فركز على اللغة بوصفها أداة لتبادل الأفكار بين البشر، ووسيلة لإظهار الحالة النفسية أو حتى التعبير عنها للغير، ناهيك عن وظيفتها الجمالية، أي أنه ركز باختصار على ما يمكن نقله وتبادله من أفكار بدل التركيز على ما يمكن نقله.

تتميز الأفكار حول هذا الموضوع، بثرائها، فهي تمتد من الأكثر بساطة وتفاؤلا، فيما يخص الترجمة، إلى أكثرها تعقيدا وتشاؤما، ولضوابط منهجية، حاولنا التركيز على أهم ما ورد خلال الأكثر من ألفي سنة الماضية، بدءا مما تركه لنا الإغريق والرومان، من نظريات، وصولا إلى أهم ما ورد في القرن العشرين والواحد والعشرين ميلادي، ولا ندعي أننا تناولنا جميع الأفكار، أو جميع الأعلام، فذلك يدخل في خانة المستحيل، خصوصا وأن هذا البحث لا يمكنه أن يشملها جميعها، ولكن ومع ذلك فقد حاولنا الوفاء بقد المستطاع، بذكر أهم ما ورد حول هذا الموضوع.

---

[1] Édith Sizoo. Ce que les mots ne disent pas, quelques pistes pour réduire les malentendus interculturels (La singulière expérience des traductions de la plate-forme de l’Alliance pour un monde responsable et solidaire). Éditions-Diffusion Charles Léopold Mayer, 2000. P. 9-10.

المبحث الأول: مقاربات نظرية الترجمة قبل العصر الحديث:

1- مقاربات نظرية الترجمة في العصر القديم:

حسب موسوعة 'روتلدج' لدراسات الترجمة، فإن تعريف 'مالا يقبل الترجمة' هو كالتالي: أنه قدرة نوع معين من المعنى على التحول من لغة إلى أخرى بدون التعرض لتغيير جذري. ينشأ الجدل عندما يحاول المرء تحديد ما نوع "المعنى" المتضمن، وتدعي بضع نظريات أن كل المعاني قابلة للترجمة دائماً.

> « Translatabilty is mostly understood as the capacity for some kind of meaning to be transferred from one language to another without undergoing radical change. Debates ensue when one tries to specify what kind of 'meaning' is involved. Few theories claim that all meanings are always translatable." [1]

إن الصعوبة الحقيقية التي يُواجهها المترجم أثناء عمله لا تتعلق بنقل الشكل والمبنى بقدر ما تتعلق بمحاولته نقل بعض التعابير والمعاني و الأحاسيس التي تحملها اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، "إن المشكلة الأساسية في أكثر النظريات سواء أكانت مع قابلية الترجمة أو ضدها، هي العلاقة بين 'تعابير' النص المصدر (...) و'المعاني' أو 'الأحاسيس' التي تحملها اللغة المصدر بطريقة ما، والتي تكون خاضعة فعلا للتوسط بمساعدة التفكير أو الفهم."

> « The basic problem in most theories either for or against translatability is the relation between source-text « expressions » (...) and « meanings » or « senses » that are somehow held in the source language and are potentially subject to mediation with the help of reasoning or understanding. »[2]

[1] **Routledge Encyclopedia Of Translation Studies, op. Cit. P. 273.**
[2] **Ibidem.**

منذ أن بدأ الإنسان يترجم، بدأ أيضا بالتفكير في عملية الترجمة والتنظير لها. وقد شغل البعد الثقافي للترجمة حيزا هاما جدا في مجمل ما صدر من أفكار ونظريات حول عملية الترجمة وذلك عبر مختلف المراحل التاريخية. و إذا تحدثنا عن تاريخ الترجمة فنحن نتحدث عن تاريخ اللغة أيضا، لقد ظهرت الترجمة بظهور اللغات، ومنذ أن بدأ الإنسان يترجم بدأ أيضا بالتفلسف حول الطريقة المثلى للترجمة.

رأي شيشرون (Cicero):

يعتبر الخطيب الروماني الشهير 'ماركوس توليوس شيشرون' (Marcus Tullius Cicero) (106-43 قبل الميلاد) صاحب أحد أولى البيانات النظرية حول الترجمة، فبالإضافة إلى كونه مترجما، كتب هذا الخطيب الروماني الشهير في كتابه الشهير (النمط الأمثل للخطابة) (De Optimo Genere Oratorum) عن ما مرَّ به من تجارب في الترجمة. بالنسبة إلى 'شيشرون' فإن ترجمة النصوص الإغريقية القديمة، كانت بمثابة تمرين على الأسلوب الرفيع في الكتابة، بمعنى أن الترجمة هي أداة في يد المترجم لإتقان لغته الأم. وفي حالة استعصاء الترجمة، فإن (شيشرون) كان يرى أن على المترجم أن يترجم لصالح اللغة الهدف، بمعنى أن عليه الاكتفاء بنقل إجمالي لمعنى النص الأصلي، وأن لا يكترث بالكلمات الغير قابلة للترجمة، حتى وإن أدى ذلك إلى بعض الاختلافات على مستوى المعنى مقارنة بنص اللغة المصدر.[1]

رأي الفيلسوف سينيكا (Seneca):

في الكتاب المعنون بـ(راحة العقل) (De Tranquillitate Animi)، للفيلسوف الروماني 'سينيكا' (Seneca) (4 قبل الميلاد – 64 بعد الميلاد)، نجد الأفكار نفسها حول مشاكل الترجمة، إن فعل الترجمة بالنسبة إلى الفيلسوف 'سينيكا' يتمحور حول المحافظة على محتوى أو مضمون مفهوم ما عن طريق إيجاد العبارة أو المصطلح الأنسب في اللغة الهدف. وعلى غرار 'شيشرون' (Cicero)، هاجم 'سينيكا' أسلوب النقحرة (نسخ الحروف ورسمها بنظام كتابة آخر أو النقل الحرفي) الذي كان ينتهجه البعض عند ترجمة المؤلفات الإغريقية، مدافعا عما أسماه بـ'القوة' (Vis) أي قوة النص الأصلي، معتبرا إياها العامل الأهم في الترجمة. وقد عبر عن ذلك بقوله: أنه ليس مهما محاكاة أو نقل 'شكل' الكلمات، إن الشيء في حد ذاته، الذي يكون موضوع النقاش، يجب أن يُشار إليه بإسمٍ تكون له 'قوة' (Vim) المصطلح الإغريقي وليس 'شكله' (Faciem).

---

[1] **Michel Ballard. Europe et traduction. Collection Regards sur la traduction. Artois presses université, 1998. P. 13.**

« For it is not necessary to imitate or transfer the form (forman) of words; the thing itself, which is the topic of discussion, must be designated by some name which should have the force (vim), not the appearance (faciem), of the Greek term. »[1]

تجدر الإشارة أيضا إلى جملة الأفعال التي كان يشير بها الفيلسوف 'سينيكا' إلى فعل الترجمة، وقد تفرد بها عن من سبقه في مجال التنظير للترجمة، إذ كان يستعمل: « Exprimo » بمعنى: التعبير، « Muto » بمعنى: والتبديل والتغيير، « Transfero » بمعنى: النقل، بالإضافة إلى فعل آخر وهو: « Pono » والذي يعني من بين ما يعنيه: وضع، إحلال شيء مكان شيء آخر.2

إن هذا الحث على الخلق والإبداع في الترجمة الذي نلمسه في كلمات الفيلسوف 'سينيكا' (Seneca)، نجده قد جاء نتيجة لأمر واقع وهو ما عبر عنه في موضع آخر، وبالتحديد في كتابه المعنون بـ (الرسائل الأخلاقية) (Epistulae Morales)، حيث وصل إلى نتيجة مفادها: "أنه لا يمكن مناقشة آراء أفلاطون باللغة اللاتينية، وذلك إما بسبب عدم وجود الكلمات المناسبة في اللغة اللاتينية، أو لأنها فقدت وفي هذه الحالة يتعين التنقيب عنها من جديد." جاء ذلك بعد مرور أقل من قرن من الزمان، على المجهودات الجبارة التي قام بها 'شيشرون' (Cicero) في ترجمة المؤلفات الفلسفية الإغريقية.

« It is impossible to discuss Plato with existing Latin….either the words necessary for discussing Plato do not exist in Latin or they have been lost»[3]

من خلال هذه النظرة، يتبدى لنا أن هذا الفيلسوف كان واعيا بأن إمكانية الترجمة ليس لها أي علاقة بطبيعة اللغات محل الترجمة (الإغريقية والرومانية)، ولكن الترجمة ترتكز بالأساس على فكرة أن هناك مدلولا يقع خارج حيز اللغة يمكن للمترجم أن يقبض عليه أو يتعين عليه إيجاده.

---

[1] Siobhán McElduff. Roman Theories of Translation: Surpassing the Source, Routledge Monographs in Classical Studies. Routledge, 2013. P.161.
[2] Ibid. P. 164.
[3] Ibidem.

2- مقاربات نظرية الترجمة في العصر الوسيط:

إن الفكرة التي أصبحت سائدة في الحقبة الرومانية هي أن هناك انفصالا تاما بين الكلمة و معناها، أي بين الشكل و المحتوى. ويمكن القول إجمالا أن مشاكل الترجمة في فترة العصر القديم كانت لدى معظم المنظرين ذات طبيعة عملية، أي أنها تتعلق بالممارسة، ولم تكن أبدا ذات طبيعة نظرية. إن الفكرة التي أصبحت سائدة في الحقبة الرومانية هي أن هناك انفصالا تاما بين الكلمة و معناها، أي بين الشكل و المحتوى.

تنبغي الإشارة أيضا إلى أن فترة العصر الوسيط تبدأ من القرن الخامس الميلادي، وبالتحديد مع سقوط 'روما' (Roma)، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية عام (476 ميلادي)، لتمتد إلى غاية القرن الخامس عشر الميلادي، وبالتحديد مع سقوط القسطنطينية، (Constantinople) عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطا) عام (1453 ميلادي)، أي بداية عصر النهضة واكتشاف العالم الجديد (قارة أمريكا).

آراء القديس جيروم (Saint Jérôme):

إن أحد أهم رواد التنظير في مجال الترجمة في هذه الفترة، هو بدون أدنى شك المترجم الروماني 'أوزيبيوس هيرونيميوس' (Eusebius Hieronymus)، الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين (347-420 ميلادي)، أي أنه شهد اللحظات الأخيرة التي سبقت سقوط الإمبراطورية الرومانية ونهاية العصر القديم. إلا أن أفكار هذا الأخير، الذي أصبح يعرف في وقت لاحق باسم 'القديس جيروم' (Saint Jérôme)، صاحب أهم وأشهر ترجمة على الإطلاق للكتاب المقدس (bible) من الإغريقية-العبرية إلى اللغة اللاتينية، ظلت متداولة وسائدة طوال فترة العصر الوسيط. تلك الأفكار، كان قد دونها 'القديس جيروم' في كتابه المعنون بـ 'حول الطريقة المثلى في الترجمة' (De Optimo Genere Interpretandi) الذي يعد بحق أهم أعمال المترجم 'جيروم'.

« Le ‘De Optimo Genere Interpretandi’ peut être considéré[e] comme la porte monumentale par laquelle on accède à l'œuvre de traducteur de Jérôme. »[1]

[1] **Valéry Larbaud, Sous l'invocation de saint Jérôme, Paris, Gallimard, 1946, p. 15.**

كان 'القديس جيروم' (Saint jerome) يشاطر 'شيشرون' (Cicero) أفكاره حينما أكد على أهمية المعنى على حساب الكلمات في حد ذاتها، كما كان 'القديس جيروم' أيضا مناصرا للفكرة الدينية التي كانت سائدة في تلك الفترة والتي ترى أن المعنى هو وحي أو عطاء إلهي، فهو بذلك عالمي ومشترك، بعكس وسيلة تبليغ هذا المعنى، أي اللغة، والتي تختلف وتتعدد.

أما عن طريقته المثلى في الترجمة، فيمكن أن نلمس في نصه وجود نفس الكلمات والمصطلحات التي كانت تتكرر في الحقبة السابقة (العصر القديم)، إذ يقول: "إنني أعترف و أعلن أيضا صراحة أني في النقل من الإغريقية – إلا فيما خص النصوص الدينية التي، حتى ترتيب الكلمات فيها يحمل الكثير من الأسرار- لم أترجم كلمة بكلمة ولكنني قابلت المعنى بالمعنى، لقد كان 'شيشرون' أستاذي وقدوتي في هذا المجال.

> « Oui, quant à moi, non seulement je le confesse, mais je le professe sans gêne tout haut: quand je traduis les Grecs -sauf dans les Saintes Ecritures où l'ordre des mots est aussi un mystère- ce n'est pas un mot par un mot, mais une idée par une idée que j'exprime. En cette affaire j'ai pour maître Cicéron.» [1] *

إن ما يمكن ملاحظته للوهلة الأولى هو ذلك التحديد، أو بالأحرى الاستثناء الذي ورد بطريقة ماهرة بين شرطتين، هذا التحديد له أهميته الخاصة، فإذا كان 'القديس جيروم' (Saint Jerome) يعتبر أنه من الأفضل نقل الأفكار بدل الكلمات، فإن لهذه القاعدة استثناؤها أيضا، فالكتب المقدسة التي يذكرها تحتاج إلى معاملتها من قبل المترجم معاملة خاصة، فالفكرة تقف ضد المفردة، والحل يكمن في تبني أحد السبيلين في الترجمة على حساب الآخر، و 'القديس جيروم' كان قد اختار الفكرة.

> « La traduction d'une langue dans une autre, si elle est effectuée mot à mot, cache le sens; c'est comme des herbes trop drues qui étoufferaient

---

[1] **Claude Ollivier. Jérôme. Volumes 79 à 80 de Collection Les Pères dans la foi Eglise d'hier et d'aujourd'hui. Editions de l'Atelier, 1993. P. 104.**

* *The same quotation in English*: « Now I not only admit but freely announce that in translating from Greek – except of course in the case of the Holy Scripture, where even the syntax is a mystery – I render, not word for word, but sense for sense.» *In:* **Jeremy Munday: Issues in Translation Studies, In. The Routledge Companion to Translation Studies (Revised Edition). Edited by: Jeremy Munday. Routledge, London & New York, 2009. P. 3.**

le semis…A d'autres d'aller à la chasse des syllabes et des lettres; pour toi, recherche les idées". Une journée ne me suffirait pas, si je voulais reproduire les témoignages de tous les auteurs qui ont traduit selon le sens. »[1]

يمكن أن نستنتج أيضا أن ما يميز 'القديس جيروم' عن سابقيه، هو خروجه عن المقاربات الثنائية (Dyadique-Dyadic) الراديكالية المألوفة، أي مجموعة الثنائيات التي إذا حضر أحد طرفيها يُقصى الطرف الآخر بصفة تلقائية غير أننا يمكن أن نستنتج أيضا من خلال النص السابق أن 'القديس جيروم' (Saint Jerome) قد حاول مقاربة الترجمة مقاربة جدلية (Dialectique-Dialectic)، والجدل كما يراه 'هيجل' (Hegel) هو: "التطور المنطقي الذي يوجب ائتلاف القضيتين المتناقضتين واجتماعهما في قضية ثالثة."[2]، فالجدل مبني إذا على تقابل الضدين لاستخراج نتيجة جامعة بينهما، ومنه فإن أسلوب الترجمة يختلف باختلاف النصوص ولا توجد قاعدة مطلقة.

آراء الجاحظ:

إن ما جاء من آراء في كتاب 'الحيوان' للجاحظ حول استحالة ترجمة الشعر العربي لم يَكن مجرد إلقاءٍ للكلام على عواهنه، إذ نقرأ في أحد نصوصه مايلي:

" قال: وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلم بلسان العرب، ولا يُستطاع أن يُترجم، ولا يجوز عليه النقل؛ ومتى حوِّل تقطّع نظمه وبطلَ وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب."[3]

وإن كنا لا نعرف على وجه الدقة والتحديد هوية من الذي صدرت عنه المقولة السابقة، والدليل على ذلك ورود لفظة ' قال'، إلا أن الشيء الأكيد هو أن هذا الرأي ليس مجرد اعتداد واعتزاز ومباهاة بالشعر العربي كما قيل مرارا وتكرارا في العديد من الأبحاث، بل وذهب بعض الباحثين إلى حد الاعتقاد والقول بأن " الجاحظ" لم يَكن يُتقن سوى اللغة العربية وأنه لم يتكلم لغة أجنبية، كل ذلك في غياب أي دليل قطعي على صحة هذه الادعاءات، وفي نفس السياق يُضيف الباحث والناقد المغربي "عبد الفتاح كيليطو" معلقا على الموضوع:

---

[1] **Michel Ballard. De Cicéron à Benjamin: Traducteurs, traductions, réflexions. Op. Cit. P.49.**

[2] **د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الأول. دار الكتاب اللبناني. ص: 393.**

[3] **أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1965. ص: 74-75.**

« Poetry is not so much tied to Arabs as a race or ethnicity as it is to the Arabic language » [1]

إن فضيلة الشعر مقصورة على العرب، غير أن ذلك لا يعني أنَّ الشعوب الأخرى غير قادرة على نظم الشعر وأن العرب وحدهم يملكون هذه الموهبة، فالمقصود من هذه العبارة هو أن الشعر العربي في شكله المتميز والمتفرد الذي نعرفه به لا يمكن بأي حال من الأحوال محاكاته أو الإتيان بما يشابهه في أي لغة أخرى، فهو ابن نظامه اللغوي؛ أي أنه نتاج ما أتاحته اللغة العربية بتراكيبها ومفرداتها لمستعمليها، فالشاعر 'أبو نواس' كان فارسي الأصل - كما أشار إلى ذلك الباحث 'عبد الفتاح كيليطو'- و كذلك الأمر بالنسبة للشاعر 'بشار بن برد'، وكلاهما نبغ في الشعر حتى اعتُبرَ من أعلام الشعر العربي، وكذلك كان الفيلسوف والشاعر 'ابن حزم الأندلسي' الذي ينحدر من أصل غوطي (اسباني) غربي، وتجري فيه دماء غوطية غربية ولكن ذلك لم يمنعه من أن يكون شاعرا خلاقا، إن الصفة التي تمتاز بها اللغة العربية وتختصها بنغم واضح جلي تتطلب ولاشك قيام شعر مقفى أو نثر مسجوع.

« Ce trait spécifique d'une langue, qu'en outre son caractère même soumet à un rythme clair, sollicite tout naturellement la tournure poétique tant en prose rimée qu'en poésie. Ce type de poésie rythmée et rimée est spécifiquement sémitique. » [2]

لم يكن العرب في تلك الفترة ومن بينهم 'الجاحظ' يرون الفعل الترجمي إلا في اتجاه واحد، أي نقل كل ماهو أجنبي إلى اللغة العربية ولم يتصوروا أبدا أن يحدث العكس، وهم في ذلك على حق ولا يُمكن أن نصف موقفهم هذا إلا بالبراغماتي، ذلك أن حَمْلة الترجمة التي كانت في أوجها آنذاك كانت قد " جاءت في وقت لم تملك فيه الحضارة الناشئة ثقافة إلا الشعر والديانات العربية القديمة، والعادات والأعراف القبلية"[3]، معنى ذلك أنَّ العرب لم يَكن لديهم ما يُقدمونه لغيرهم من الأمم في المجال المعرفي والثقافي فقد "كان العرب المسلمون أمة جديدة بلا تراث علمي سابق" كما يقول 'كراوثر فـ"كان من الطبيعي بعد أن

---

[1] **Abdelfattah Kilito. Thou Shalt Not Speak My Language, Middle East Literature in Translation. Translated from the Arabic by : Waïl S. Hassan. Syracuse University Press, 2008. P. 28-29.**

[2] **Sigrid Hunke. Le soleil d'Allah Brille sue l'Occident. Edition Albin Michel, 1997. P. 347.**

[3] **د. حسن حنفي: من النقل إلى الإبداع، المجلد الأول: النقل، (1): التدوين (التاريخ-القراءة- الانتحال). دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، 2000. ص: 37.**

اطمأنوا إلى قوتهم العسكرية ومعتقداتهم الإيمانية أن يتجهوا لتشييد المدن الرائعة ودراسة ثقافة الحضارات التي دانت لهم."[1]

إن الشعر العربي – وهو كل ما يملكونه- لم يَكن يتجاوز المجالات المعرفية لأهله، الشيء الذي جعله محدود الانتشار، هذه الفكرة تجد ما يدعمها في كتاب "الحيوان" للجاحظ الذي جاء فيه مايلي:

"وقد نُقلت كتب الهند، وتُرجمت حِكم اليونانية، وحُولت آداب الفرس؛ فبعضها ازداد حسنا، وبعضها ما انتقص شيئا، ولو حُولت حكمة العرب، لبطل ذلك المُعجزُ الذي هو الوزن؛ مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تَذكره العجم في كُتبهم، التي وُضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم." [2]

إذا كان نفع الشعر العربي مقصورًا على أهله، فالأمر ليس كذلك بالنسبة للرياضيات والهندسة وعلم الفلك والطبيعيات والفيزياء والطب وكتب السياسة والحكمة التي تُعد بمثابة إرثٍ إنساني مُشترك، وهو الشيء الذي يمنحها – إذا جاز التعبير- اللامحدودية في الانتشار، لأنها تتميز ببعدها العالمي " وكل شيء في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات، فهي موجودات في هذه الكتب دون الأشعار [...] مثل كتاب أقليدس، ومثل كتاب جالينوس، ومثل المجسطي [...] وكتب كثيرة لا تُحصى، فيها بلاغ للناس"[3]، عكس الشعر العربي الذي ستتخلخل بنيته حين يُترجم والأهم من ذلك أن العجم أو الأجانب لن يجدوا في معانيه ما لم يذكروه في كُتُبهم، وبالتالي لن يكون الشعر العربي ذي فائدة تُرجى بالنسبة إليهم، فـ "إن هو حُوِّل تهافت، ونفعه مقصور على أهله، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور، وليس بالمبسوط..." [4] وفي نفس السياق يُضيف الدكتور "عبد السلام بنعبد العالي" قائلا:

" المعنى الأساس لهذا النص، ليس كون الشعر لا يُترجم كما قيل مرارا وإنما أن العجم ليسوا في حاجة إلى أن تُنقل إليهم النصوص العربية [...] إن النص العربي ليس في حاجة إلى أن يُنقل، على عكس الحكم اليونانية وكتب الهند وآداب الفرس التي ترتقي وتزداد حسنا، أو على الأقل لا تفقد شيئا عندما تنقل إلى لغة الثقافة، أي لغة الضاد."[5]

---

[1] كراوشر، ج. قصة العلم . ترجمة : د . يمنى طريف الخولي، د. بدوي عبد الفتاح . المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة. 1998 . ص 57 .

[2] نفس المرجع: نفس المصدر السابق، ص: 75.

[3] أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: نفس المصدر السابق، ص: 80.

[4] نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

[5] عبد السلام بنعبد العالي: ضد الراهن. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2005. ص: 30.

يُعد كل ما تم ذكره آنفا دليلا قاطعا عن انتفاء صفة التَعَصُّبِ الشوفيني التي يُمكن أن نرمي بها "الجاحظ" ومعاصريه، الذين سعوا على العكس من ذلك إلى الدفع بالأمة إلى التفتح على الآخر عن طريق الترجمة وذلك في سبيل الاغتناء من ثقافته ومعارفه، وفي نفس الوقت استطاعوا أن يحافظوا بفضل الترجمة على جزء هام من التراث الإنساني وحمايته من الضياع، فالترجمة وفق هذه الحالة عبارة عن نشاط هادف وبَنَّاء له الفضل في مد جسور الحوار وتفعيل عملية المثاقفة بين الشعوب مُتجاوزة بذلك اختلاف الأجناس واللغات، يُضيف الدكتور "عبد السلام بنعبد العالي" قائلا: "إن الجاحظ يضع مسألة التفاعل الثقافي ضمن علائق القوة التي تربط الثقافة العربية بغيرها من الثقافات. وهذا يتجلى أساسا في عملية النقل التي يتم عن طريقها التثاقف، أي الترجمة." [1]

3- مقاربات نظرية الترجمة في عصر النهضة:

على الرغم من أن بعض المشاكل المتعلقة بالترجمة تم التطرق إليها بشكل دقيق، إلا أن التأملات النظرية بقيت هامشية في فترة عصر النهضة، وبالمقابل شهدت عمليات الترجمة في المجمل تطورا ملحوظا. ففي حين كانت الترجمات في العصر الوسيط نادرة إلى حد ما (باستثناء ما وقع في العالم الإسلامي في نفس الفترة)، إلا أنها تطورت بمرور القرون بشكل ملفت للانتباه، وكما جاء على لسان 'سافوري' (Savory): "كان عهد الملكة إليزابيث الأولى (1558 – 1603 ميلادي) بمثابة عهد الترجمة الأول في إنجلترا نظرا لغزارة الترجمات ووفرتها في تلك الحقبة، وهو في ذلك يماثل عهد الملكة 'إليزابيث الثانية' الذي يمكن اعتباره أيضا بمثابة عهد الترجمة الثاني."

> « The age of the first Elizabeth [1558-1603] was also the first great age of translation in England, even as the age of the second Elizabeth is the second such era of copious translation. »[2]

إن ظاهرة تضاعف عدد النصوص المترجمة التي شهدها عصر النهضة في أوروبا، ستميز لاحقا فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، هاتان الحقبتان اللتان ميزتا الترجمة في العالم الغربي، ستبدوان بمثابة نتيجة واحدة لنفس نوع الأحداث التاريخية الحاسمة التي تغير مسار التاريخ، وكما يرى المنظر الفرنسي 'أنطوان برمان' (Antoine Berman)، فقد أصبح مجال ما يقبل الترجمة لا يحده حد في حقبة عصر النهضة، كل النصوص بصرف النظر عن الأنواع التي تنتمي إليها أو اللغات التي كتبت بها كانت تعتبر

---

[1] **نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.**

[2] **Theodore Savory. The Art of Translation. J. Cape, 1957. P.39**

صالحة لأن تترجم، نتيجة لذلك لم يعد المترجمون يحصرون انتباههم في ترجمة كل ما يقع بين أيديهم فقط، وإنما أصبحت تحذوهم الرغبة والطموح في ترجمة "كل شيء"، هذه الرغبة وهذا الطموح لم يوجد لهما مثيل إلا في ألمانيا الرومنطيقية والكلاسيكية.

> « A la Renaissance, le champ du traduisible devient illimité: n'importe quel texte, de n'importe quel genre, de n'importe quelle langue, est désormais considéré comme bon à traduire. En conséquence, non seulement on se met à traduire de tout, mais on cultive confusément l'ambition de «tout» traduire. Pareille ambition ne se retrouve que dans l'Allemagne romantique et classique. »[1]

ويشير 'ميشيل بالار' (Michel Ballard)، في هذا الخصوص إلى مجموعة من الأحداث المفصلية التي كانت وراء ازدهار حركة الترجمة في القرن الخامس عشر ميلادي، لعل أبرزها حسب نفس الباحث: سقوط القسطنطينية في يد المسلمين العثمانيين عام 1453 ميلادي، الحركة الإنسانية التي ظهرت في أوروبا وإعادة اكتشاف العصر القديم، اختراع الآلة الطابعة بالإضافة إلى الجدل الذي أثارته حركة الإصلاح الديني.

> « La chute de l'empire romain d'Orient, l'humanisme et la redécouverte de l'Antiquité, l'invention de l'imprimerie, et puis les controverses liées à la Réforme. »[2]

إن عدد النصوص المترجمة ما فتئ يتزايد بشكل مطرد، وبمعنى آخر لقد أصبحت النصوص والكتب قابلة أكثر من أي وقت آخر لأن تترجم، وهو التغير المهم الذي يمكننا أن نعزوه إلى استخدام تقنيات الطباعة في القرن الخامس عشر، وهو ما يعزز الفكرة القائلة بأن العوامل الخارج نصية هي التي تتحكم أكثر في عملية الترجمة، كما يمكن أن نعزو ذلك أيضا إلى الطلب المتزايد لترجمة النصوص إلى اللغات الأوروبية 'العامية'. ولولا فضل المترجمين، لما تناهى إلينا ما نعرفه اليوم عن الطبيعة الحقيقية لما عرف يوما بعصر النهضة الأوروبية، ذلك الفضاء الذي شهد حركة تبسيط للمعارف لا سابق لها في التاريخ، هذه الحركة الضخمة لم تكن لتؤتي ثمارها لولا تقنية الطباعة.

---

[1] **Berman, "De la translation à la traduction", T.T.R. vol. 1/1 (1er semestre) 1988**
[2] **Michel Ballard. De Cicéron à Benjamin: Traducteurs, traductions, réflexions. Op. Cit. P.91**.

« Grâce aux "translateurs", la Renaissance prend alors son vrai visage, celui d'une aire de vulgarisation massive rendue possible par l'avènement de la civilisation écrite. »[1]

كانت الترجمة في عصر النهضة أيضا وسيلة أو أداة يمكن من خلالها الوصول لما خلّفته لنا الحضارات الغابرة، حتى أنها، أي الترجمة، أصبحت تعتبر بمثابة أفق الكتابة في ذلك الحين، على حد تعبير المنظر 'أنطوان بيرمان' (Antoine Berman)، الذي يضيف قائلا عن الترجمة في تلك الحقبة: "إنها بمثابة الرحم الذي نشأ داخله ما اصطلح على تسميته حينذاك بالأدب."

« Activité exercée à un moment ou à un autre par tous ceux qui écrivent, la traduction est simultanément, à la Renaissance, *origine et* horizon de toute écriture. Elle est la matrice de ce que l'on commence justement à appeler littérature. »[2]

في غضون ذلك أيضا، طرأت تغييرات مهمة على الترجمة ودورها، كما جرت أيضا عديد المحاولات التي يمكن نعتها بالجادة من أجل وضع نظرية للترجمة.

« Following the invention of printing techniques in the fifteenth century, the role of translation underwent significant changes[…] At the same time, serious attempts to formulate a theory of translation were also made. »[3]

رأي جواكيم دو بيلاي (Joachim du Bellay):

إن كثرة ووفرة ترجمات النصوص الكلاسيكية الكبرى إلى اللغات العامية المتداولة، أدت إلى حدوث شرخ وانقسام في الآراء ووجهات النظر حول مسألة 'قابلية الترجمة'، فإذا كان هناك من كان متفائلا وعبر عن رأيه حول إمكانية الترجمة، وذلك بغض النظر عن مدى تعقيد النصوص أو قدسيتها، فبالمقابل كان هناك من كان له نظرة تشاؤمية حول هذا الموضوع، لعل أبرزهم في تلك الفترة (أي فترة عصر النهضة)

[1] **Henri VAN HOOF. Op. Cit. P. 31.**
[2] **Berman, "De la translation à la traduction", T.T.R. vol. 1/1 (1er semestre) 1988:25**
[3] **Susan Bassnett. Translation Studies. Third edition, Routledge, London & New York, 2002. P. 60.**

هو الشاعر الفرنسي، والمترجم العصامي والمنظر الادبي، وأحد أعضاء جماعة 'البلياد' ، أو 'الثريا' أو 'النجوم السبعة' (Pléiade)، وهو 'جواكيم دوبيلاي' (Joachim du Bellay)، الذي كان يعتقد أن الترجمة لا تنجح أبدا في نقل أسلوب ورونق النص الأصلي بشكل كامل، وذلك بسبب الاختلاف القائم بين اللغات.

كتب 'جواكيم دو بيلاي' مجمل آراءه حول الترجمة ومسألة 'قابلية الترجمة' في كتابه الذي أصبحه إلى نحو ما ملازما لاسمه، والذي جاء بعنوان: 'الدفاع عن اللغة الفرنسية والتمثيل لها' (Défense et Illustration de la Langue Française)، هذا الكتاب الذي صدر عام 1549 ميلادي، غالبا ما يشير إيه أساتذة اللغة الفرنسية، وإن كان لا يُقرأ إلا نادرا، ذلك أن هذا الكتاب يُذكر غالبا لعنوانه لا لما يحتويه من إرشادات ومقالات ينافح فيها الكاتب عن لغته (الفرنسية) ويدافع عنها.

يرى 'جواكيم دو بيلاي' أن أولئك الذين يدّعون ترجمة روائع الإغريق والرومان إنما هم يخونون في حقيقة الأمر هؤلاء العظماء، لأنهم لا يبحثون سوى عن الشهرة والمجد. ثم يضيف قائلا عن صعوبة ترجمة كتب هؤلاء العظماء: "هذا النوع من الكتاب، ليس لدي الشجاعة أو الجرأة على التقرب منهم، حتى وإن كان في استطاعتي أو أردت ترجمة أعمالهم.هؤلاء الكتاب يمتلكون قدرة إلهية على الابتكار، تتعدى وتتجاوز قدرة الكتاب الآخرين، فهم يتميزون بفخامة الأسلوب، ونبل وجمال الألفاظ، وعمق الجمل، وتنوع الصور البلاغية وجرأتها وألف إشراقة شعرية، إنها باختصار تلك الروح التي تتجاوز كل الأوصاف وتتميز بها كتاباتهم، والتي سماها الرومان بـ'العبقرية'.

> « the kind of writers I would never even get involved with if I could translate, or wanted to, because they possess the divine power of invention to a greater extent than other writers do. They have a grandeur of style, a magnificence of words, a weight to their sentences, an audacity and variety of figures of speech, and a thousand other highlights of poetry—in short, that ineffable spirit that pervades their writings. The Romans used to call it *genius.* »[1]

[1] **André Lefevere. Op. Cit. P. 22.**

جدير بالذكر أيضا أن 'جواكيم دو بيلاي'، كان بعيدا في كتابه 'الدفاع عن اللغة الفرنسية والتمثيل لها' عن تلك الإيديولوجيات التي كان أصحابها يسعون من خلالها إلى إثبات تفوق وامتياز لغاتهم وضِعَة لغة الآخرين، والتي كنت أشرت إلى بعض منها في الفصل الأول من هذا البحث. تميز 'جواكيم دو بيلاي' بدفاعه عن المساواة بين اللغات، لأنها حسب ما قاله: " بما أن جميع اللغات مشتقة من مصدر واحد وأصل واحد." إلا أنه يضيف قائلا: " والصحيح أنه بتقدم الزمان أصبح بعضها أغنى من بعض، لأنها نظمت بشكل أكثر دقة. غير أنه لا ينبغي أن يُنسب هذا إلى الطبيعة الذاتية لهذه اللغات، بل إلى براعة أصحابها وصنيعهم فحسب."[1]

إذن فالذي يُفهم من الاستشهاد السابق هو أن اللغات متساوية لأنها كلها تعود إلى لغة واحدة وهي لغة ما قبل 'بابل'، وإن كانت بعض هذه اللغات أكثر تطورا من غيرها، فإن هذا التفوق لا يرجع إلى اللغات نفسها ولكن إلى الناطقين بها الذين عرفوا كيف يحسنوها ويطورونها:

> " لم تولد اللغات من ذوات نفسها كما يولد العشب والجذور والأشجار: بعضه مريض ضعيف في جنسه، وبعضه الآخر صحيح قوي قادر على احتمال ما يتصوره الإنسان: وإنما يعود الفضل في ولادتها إلى إرادة الناس واختيارهم." [2]

رأي إيتيان دوليه (Etienne Dolet):

'إيتيان دوليه' هو إنساني وشاعر ومترجم وناشر فرنسي (1509 – 1546 ميلادي)، ما يميزه عن المنظرين السابقين هو أنه كان أول من كتب مقالا (ملخصا) نظريا عن الترجمة' بلغة معاصرة عوض اللغة اللاتينية التي كانت مستعملة في الكتابة، هذا الملخ عن مبادئ الترجمة الذي تم نشره عام 1540 ميلادي، جاء بعنوان: " الطريقة الأفضل للترجمة من لغة إلى أخرى" أو (La manière de bien traduire d’une langue en aultre) كما تميزت نظرته إلى الترجمة بأنها كانت أكثر انفتاحا وإيجابية خصوصا فيما تعلق بمسألة 'قابلية أو عدم قابلية الترجمة'. جدير بالذكر أيضا أن هذا المترجم الفذ كان قد حوكم وأعدم بتهمة الهرطقة على "سوء ترجمته" لأحد محاورات 'أفلاطون' بطريقة دلت ضمنيا على عدم إيمانه بالأبدية والخلود.

---

[1] **لويس جان كالفي. نفس المرجع السابق. ص: 107.**
[2] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**

« The French humanist Etienne Dolet (1509–46) who was tried and executed for heresy after ‘mistranslating’ one of Plato’s dialogues in such a way as to imply disbelief in immortality. »[1]

لم يكن 'إيتيان دوليه' منظرا أو مترجما عاديا، فغالبا ما اقترن اسمه بصفتين ما فتئتا تلازمانه، فهو يوصف تارة بالمترجم الشهيد وتارة بالأب الروحي لنظرية الترجمة في فرنسا.

« …traducteur martyr et père fondateur de la traductologie française. »[2]

على الرغم من أن شخصيات هامة عديدة كانت قد سبقت 'إيتيان دوليه' في مجال التنظير للترجمة، إلا أن هذا الأخير، وذلك حسب الباحث 'إدموند كاري' (Edmond Cary)، كان قد صاغ أول نظرية حقيقية حول الترجمة.

« Cependant, il faut attendre Etienne Dolet pour voir formuler une véritable théorie de la traduction. »[3]

وهو ما عبر عنه المنظر والباحث الأمريكي في الترجمة 'يوجين نايدا' (Eugene Nida)، بنفس الصياغة تقريبا، معتبرا أن 'إيتيان دوليه' كان له الفضل في صياغة أول نظرية حقيقية حول الترجمة.

«The credit for the first formulation of a theory of translation must go to Etienne Dolet. »[4]

لقد كان 'إيتيان دوليه' يؤمن بأن الترجمة هي عملية ناجحة وممكنة، بغض النظر عن طبيعة النصوص ودرجة تعقيدها، طالما أن المترجم يستعمل بشكل كاف ويستثمر جيدا الإمكانيات التي تتيحها له لغته الأم، ولتوضيح فكرته أكثر، قام بصياغة خمسة قواعد أو مبادئ تجريبية، يتمكن المترجم من خلال تطبيقها من الحصول على ترجمة وفيّة للأصل، هذه المبادئ الخمسة التي حددها هي كالتالي: أولا: يتعين على المترجم أن يفهم تماما معنى المؤلِف الأصلي ومغزاه، كما أنه من المسموح له أن يقوم بتوضيح كل ما هو

[1] Susan Bassnett. Translation Studies. Op. Cit. P. 60.
[2] Michel Ballard. De Ciceron à Benjamin. Op. Cit. P. 112.
[3] Mathieu Guidère . Introduction à la Traductologie: Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain. De Boeck Supérieur, 2010. P. 30.
[4] Frederick M. Rener. Interpretatio: Language and Translation from Cicero to Tytler. N 8: Approaches to translation studies, Rodopi, 1989. P. 261.

غامض ومبهم. ثانيا: على المترجم أن يكون ملما باللغتين الأصل والهدف. ثالثا: يتعين على المترجم أن يتجنب الترجمة كلمة بكلمة. رابعا: يتعين على المترجم أن يلجأ إلى استعمال صيغ الكلام الشائعة. خامسا: يتعين على المترجم اختيار الكلمات وترتيبها بشكل مناسب، حتى تكون العبارات التي يقوم بتقديمها ذات نبرة صحيحة.

« (1) The translator must fully understand the sense and meaning of the original author, although he is at liberty to clarify obscurities.
(2) The translator should have a perfect knowledge of both SL and TL.
(3) The translator should avoid word-for-word renderings.
(4) The translator should use forms of speech in common use.
(5) The translator should choose and order words appropriately to produce the correct tone. »[1]

وإذا أردنا أن نختصر أكثر نقول أن ما جاء به 'إيتيان دوليه' هو مجموعة من: " المبادئ التي قضت على فكرة قديمة عن الترجمة ظلت سائدة حتى عصر النهضة (...) وهي أنه لكي نترجم لا يكفي معرفة الكلمات، بل يجب معرفة الموضوعات التي يتحدث عنها النص المراد ترجمته(...) وهي فكرة عتيقة لدى 'إيتيان دوليه' Etienne Dolet، الذي جعل معرفة معنى النص ومبناه شرطا أساسيا لأي ترجمة جيدة." [2]

على الرغم من أن هذه المبادئ كانت قد صيغت بشكل مختصر وشامل نسبيا، بأسلوب أقل ما يقال عنه أنه بسيط جدا حدّ الفقر، إلا أنها؛ أي المبادئ التي جاء بها 'دوليه'، كانت في حقيقة الأمر تجسيدا لإدراك شامل ومحيط بكافة مشاكل الترجمة، عكس المقدمات النظرية البسيطة حول نظرية الترجمة التي سبقت مبادئ 'إيتيان دوليه':

« Cependant il faut reconnaitre que dans sa sécheresse et sa simplicité, l’essai de Dolet concrétise une prise de conscience plus synthétique

[1] **Susan Bassnett. Translation Studies. Op. Cit. P. 63.**
[2] **جورج مونان. علم اللغة والترجمة. ترجمة: أحمد زكريا إبراهيم. المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2002. ص: 27.**

des problèmes de la traduction que les simples préfaces qui l'ont précédé. »[1]

وإن كانت هذه المبادئ بسيطة في شكلها، ومستمدة من آراء وأفكار 'ليوناردو برونـي' (Leonardo Bruni)، و 'شيشرون' [2](Ciceron)، كما أشار إلى ذلك الباحث 'ميشال بالار' (Michel Ballard)، إلا أن الأمر الأكيد هو أن هذه المبادئ كانت الموجه أو الطريق الذي اتبعته أجيال كثيرة من المترجمين الذين جاؤوا من بعده، فإذا كان 'إيتيان دوليه' قد تأثر بسابقيه وطور أفكارهم في إطار صياغة جديدة، فإنه بالمقابل أثر بشكل كبير في من جاء من بعده، هذا التأثير نلمسه بشكل واضح في التقاء مبادئ 'ايتيان دوليه' مع توجهات 'نظرية المعنى' والمنهج التأويلي في الترجمة، الذي يتبعه أعضاء مجموعة (ESIT)أو (المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين)، والتي يشار إليها في بعض الأحيان بـ'مدرسة باريس'.

« Les cinq règles d'Etienne Dolet sont indéniablement d'actualité et elles rejoignent en quelque sorte (...) les orientations de la "théorie du sens" de l'ESIT. »[3]

في الأخير جدير بالذكر بأن المنظر والمترجم 'إيتيان دوليه' كان له الفضل عام 1540 ميلادي في نحت كلمتي 'ترجمة' (Traduction)، و'مترجم' (Traducteur)، اللتان لم تكونا موجودتان من قبل في قاموس اللغة الفرنسية، وقد جاءت محاولته تلك بعد جهد الإنساني و المعجمي والمترجم 'روبير إيتيان' الذي وضع لفظة 'ترجمَ' (Traduire)، التي تدل على الفعل، وذلك عام 1539 ميلادي.

« C'est en 1539 que l'humaniste, lexicographe et traducteur Robert Estienne a lancé le vocable "traduire"; l'année suivante, Etienne Dolet enchaînait sur "traduction" et "traducteur". » [4]

---

[1] **Michel Ballard. Op. Cit. P. 111.**
[2] **Ibid. P. 111- 112.**
[3] **Amparo Hurtado Albir. La notion de fidélité en traduction: français-espagnol. Paris : Didier Erudition, 1990. P. 21.**
[4] **Edmond Cary. Les grands traducteurs français. l'Université du Wisconsin – Madison. Georg, 1963. P. 6.**

المبحث الثاني: مقاربات نظرية الترجمة في العصر الحديث:

إذا كانت نظرية الترجمة قد تطورت بشكل متواصل عبر القرون، فإنها بالمقابل شهدت تسارعا لم تشهده من قبل وذلك ابتداءً من القرن التاسع عشر، وصولا إلى القرن العشرين، أين أصبح التنظير في مجال الترجمة علما قائما ومستقلا بذاته. لم تكن الأفكار حول الترجمة التي صدرت في العصر الذهبي لنظرية الترجمة، بالجديدة أو الثورية، لكنها شكلت استمرارية وتتمة لجملة المفاهيم عن الترجمة والتي كانت موجودة من قبل، خاصة تلك التي صدرت في القرن التاسع عشر، التي أصدرها 'فيلهلم فون همبولدت' مثلا، باستثناء فارق بسيط واحد، هو أن نظريات القرن العشرين كانت تبحث عن التنظير بشكل أعمق لجملة الآراء المعتمدة، متخلصة في ذات الوقت من الطبيعة الحدسية التي كانت سائدة في البحث، لتتطور بعد ذلك وتصبح علما حقيقيا قائما بذاته.

يمكن تقسيم مجمل الآراء التي صدرت في القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادي، إلى قسمين أو وجهتي نظر رئيسيتين، بالإضافة إلى وجهة نظر أخرى غير رئيسية، يختصرها الباحث 'محمد مفتاح' فيما يلي:

> " يستند المدافعون عن إمكان الترجمة الحرفية إلى المقولات التقليدية المتوارثة منذ عهد أرسطو، وإلى الثوابت اللغوية الإنسانية، ويعتمد آخرون – لرفضها – على نسبية اللغات، لأن لكل لغة نسقها الخاص بها؛ وحاول آخرون صياغة ضوابط للترجمة معتمدين على السيميوطيقا (الدليلية) والسيميائيات، أو على نظرية استجابة القارئ، وخصوصا ما يقول منها بتفاعل القارئ مع النص، حيث يقدح النص زناد الإدراك والتأويل والترجمة في قارئ مشروط بعوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية وثقافية..."[1]

وحسب موسوعة دراسات الترجمة أيضا، هناك ثلاث مقاربات، وذلك يتوافق مع الرأي السابق، وهي:

أ – هناك من يسمون بالعقلانيين (Rationalists) أو تسمية 'العالميين'(Universalists)، بالنسبة إليهم فإن المعاني عالمية، وبالتالي فهي تقبل الترجمة عموما.

[1] د. محمد مفتاح. نفس المرجع السابق. ص: 189.

ب – هناك من يسمون بـ النسبيين (Relativists)، يعتقد هؤلاء، أمثال 'همبولدت' بأن التفكير والحديث مرتبطان بشكل محكم، كل لغة تنطوي على طريقة في التفكير، لأن اللغة تؤثر على الفكر، إذا فالترجمات هي بمثابة محاولة لحل مهمة مستحيلة، على المترجمين إذا، إما التعلق مباشرة بالأصل على حساب لغتهم الأم، أو يتعلقون بخصائص لغتهم وأمتهم على حساب الأصل. فاللغة وفق هذا المنظور ليست مجرد رموز أو تسميات مجردة لمفاهيم عمومية، بل هي عبارة عن وعاء حامل لثقافة متكلميها وجزء من ثقافتهم أيضا.

وحول هذا الموضوع يمكننا أن نسوق رؤية النحوي الفرنسي 'أنطوان فابر دوليفيه' Antoine Fabre) d'Olivet) الذي عاش مابين (1768-1825) وذلك نقلا عن 'جون بي. كارول' : "إن الكلام ليس "ملكة" مُمَجَّدة في عليائها الخاصة بها، وإنما هو شيء لا بد من أن يُفهم في ضوء السلوك والثقافة الإنسانيين اللذين هو جزء منهما.

> « Speech was not a « faculty » exalted on its own perch, but something to be understood in the light of human behavior and culture, of which it was a part. »[1]

1- النسبية اللغوية والثقافية:

رأي فيلهلم فون همبولدت (Wilhelm Von Humboldt):

في بداية القرن التاسع عشر، تطور هذا المفهوم المتعلق بالترجمة، الذي ذكرته آنفا، إلى حدود أبعد، خاصة في ظل تأثير الحركة الرومنطيقية الألمانية. إن مجمل الأفكار حول علاقة اللغة بالفكر والفروق بين اللغات الطبيعية بدأت تتغير هي الأخرى، كما تغيرت النظرة أيضا إلى كل من الفهم والتأويل والترجمة.

من أهم منظري ورواد هذه الحقبة، الألماني 'فيلهلم فون همبولدت' (Wilhelm Von Humboldt)، وهو فيلسوف ولساني عاش ما بين (1767 – 1835 ميلادي). لم ينحصر تأثير 'فيلهلم فون همبولدت' على دراسات الترجمة التي جاءت فيما بعد، بل تعداها إلى التأثير في اللسانيات لاحقا، التي أخذت

[1] **John B. Carroll. Language, Thought, and Reality, Selected Writings Of Benjamin Lee Whorf. Published jointly by The Technology Press of Massachusetts Institute of Technology and John Wiley & Sons, Inc. New York London. Fourth Printing, December, 1959. P. 76.**

مسارات أخرى خاصة بعد صدور آراءه حول اللغة، كما أنه لا يجب أن نغفل أن المبادئ التي طرحها، شكلت فيما بعد الجذور العميقة لنظرية النسبية اللغوية.

لقد قدم 'همبولدت' فكرة مفادها أن اللغات الطبيعية ليست مجرد أنظمة رموز مجردة قابلة للاستبدال فيما بينها، ولكنه بالمقابل أكّد فردية كل لغة إنسانية، سواء من ناحية الشكل البنائي أو المحتوى الثقافي. كما أكد أن "لغة كل شعب هي روحه، وأن روح كل شعب هي لغته."[1] كما أكد 'همبولدت' أيضا: "أن اللغة هي المظهر الذي يكشف عن عقل الأمة، فاللغة هي عقلها، وعقلها هو لغتها."[2]، لقد حاول 'همبولدت' من خلال المفهومين السابقين الربط بين خصوصيتي التفكير والإدراك وخصوصية اللغة، فالتفكير ثم يضيف: "التفكير والإدراك لا يمكن أن يتحددا وأن يتسما بقابلية التوصيل إلا من خلال اللغة، ومن ثم فاللغة والتفكير لا يقبلان الانفصال وليسا مستقلين." [3] والنتيجة إذن التي نص إليها مما ورد آنفا هي أن: "الاختلافات القائمة بين اللغات القائمة بين اللغات ليست مجرد اختلافات صوتية، بل إنها تنطوي على اختلافات في تفسير العالم، وفهمه من قبل المتكلمين بكل لغة."[4]

إن تقرير 'همبولدت' يصبح واضحا أكثر حينما يقول أن: "التفكير لا يعتمد على اللغة في عمومها، وإنما يعتمد – إلى درجة معينة – على كل لغة بذاتها."[5] بمعنى أنه صحيح هناك عالميات أو كليات لسانية، إلا أن الذين "يتحدثون لغات مختلفة يعيشون – إلى حد ما – في عوالم مختلفة، وتتكون لديهم أنساق مختلفة من التفكير."[6] من هنا جاءت الفكرة الرئيسية والتي مفادها أن كل لغة تعبر عن نظرة مختلفة للعالم، أو ما يعرف بفرضية النسبية اللغوية، بمعنى أن متحدثي كل لغة يعيشون في عالم خاص بهم، لأن اللغة هي التي تحدد تفكيرهم وتوجهه، "فمن هذا المنظور يلتمس همبولدت فكرة استحالة قيام ترجمة أمينة بشكل تام بين اللغات وذلك يرجع إلى أن هناك عددا كبيرا من المفاهيم والخصائص النحوية التي تبلغ درجة تغلغلها في النسيج الخاص للغتها حدا لا يمكن معه...ترجمتها إلى لغة أخرى."[7]

على الرغم من استحالة الترجمة فهي ضرورية في نفس الوقت وممكنة أيضا، وهي الفكرة التي صاغها الفيلسوف والمترجم 'فريدريش شلايرماخر' (Friedrich Schleiermacher)، وهو أحد

---

[1] د. محي الدين محسب. اللغة والفكر والعالم (دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقيق). الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان. 1997. ص: 10.
[2] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.
[3] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.
[4] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.
[5] نفس المصدر السابق. ص: 11.
[6] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.
[7] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.

معاصري 'همبولدت' (1768 – 1834 ميلادي)، الذي قال في مقالته الشهيرة (حول المناهج المختلفة للترجمة)، (Uber die verschiedenen Methoden des Übersetzens) : الذي تمت طباعته عام (1823 ميلادي): "تواجهنا في كل مكان حقيقة أن الكلام يترجم من لغة إلى أخرى وبطرق مختلفة من جهة، وهو الأمر الذي يسمح للناس الذين يسكنون البلاد البعيدة من إرساء التواصل، ومن جهة أخرى يمكن النصوص القديمة التي صدرت في لغة ما وصارت ميتة قرونا عديدة من الاندماج في لغة أخرى."

> « We are faced everywhere with the fact that speech is translated from one language into another, and that this happens in many different ways. On the one hand this allows people who were originally as far apart as the length of the earth's diameter to establish contact, and texts produced in a language that has been dead for many centuries may be incorporated into another."[1]

جدير بالذكر أن ' فيلهلم فون همبولدت' كان قد قرر أيضا في كتاباته مبدأ المساواة بين اللغات، قائلا: "ليس ثمة لغة ينبغي احتقارها أو التقليل من أهميتها وقيمتها، حتى وإن كانت إحدى لغات تلك القبائل الأكثر بدائية؛ ذلك أن كل لغة هي صورة للتهيؤ الأصيل في الإنسان للغة."

> « No language should be condemned or depreciated, not even that of the most savage tribe, for each language is a picture of the original aptitude for language."[2]

يلتقي 'همبولدت' هنا مع 'تشومسكي'، ومجمل أفكاره التي تم ذكرها في الفصل الأول من هذا البحث، من أن اللغة في أساسها هي خصيصة مشتركة بين أفراد الجنس البشري، فعلى: " الرغم من كل تقريرات همبولدت التي تؤكد إسهامه في صياغة أسس النسبية اللغوية؛ فإن الباحثين يُشيرون إلى وجود خط آخر في كتاباته يميل إلى فيه إلى القول بإمكانية وجود نحو عام Universal Grammar، على الرغم من الاختلافات والتنوعات اللغوية."[3]

---

[1] André Lefevere. Op. Cit. P. 141 – 142.

[2] Otto Jespersen. Language: Its Nature, Origin and Development. George Allen & Unwin LTT. London, 1922. P. 57.

[3] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.

حسب فرضية 'همبولدت' تعيش الشعوب إذن في دوائر خاصة بها، هذه الدوائر المحيطة ممتنعة الجوانب، يصعب للمرء أن يدخل في دائرة أخرى إذا خرج من دائرته، فهي صعبة المآتي، لكون كل لغة تؤلف نظاما متضافرا محدودا وتعبر عن روح وعقلية، بل وعبقرية الشعب الذي يتكلمها. إذن فمن شبه المستحيل التعبير عن هذه العقلية أدوات هي أدوات خاصة بعقلية شعب أو أمة أخرى دون حدوث خسارة أو نقصان في الترجمة.

أ - اللغة هي ملك لجماعة وفترة زمنية معينة:

لنأخذ كلمة "شورى" مثلا، هذه الكلمة بمجرد أن يسمعها إنسان عربي، أو مسلم درس العربية، فإنها تستحث في الحال مجموعة من الأفكار في عقله (المجتمع الإسلامي في عهده الأول، العدل والإنصاف في التسيير، إشراك الجميع من الفقراء والضعفاء والأغنياء في اتخاذ وصنع القرار، ازدهار الدولة الإسلامية، الديمقراطية، جزء كبير من تاريخ الإسلام، أحاديث الرسول 'صلى الله عليه وسلم' حول الشورى، ما جاء في القرآن، نوع من الأسى والحسرة على أمجاد الماضي، نوع من الفخر كون الإسلام جاء بالديمقراطية والعدالة....إلخ)، هذه الكلمة إذن ليس لديها نفس الوقع في أذن وذهن السامع الفرنسي أو إسباني أو إنجليزي، ولا يكفي إذن استبدالها بـ(ديمقراطية) لأن جزءا كبيرا من المعاني سيذهب حتما. عن هذا الموضوع يقول 'جون جاك لوسيركل':

> " إن اللغة...بما هي نظام، هي شيء مجرد، وهي تتمتع بالاستقلال عن هذا الجسم، بكونها ملكا عاما لجماعة تتكلمها في الماضي والحاضر والمستقبل. فاللغة، من حيث هي نظام من القواعد، هي شيء لا مادي. إن الجانب المادي الوحيد فيها شيء عرضي وطارئ – وهو يتخذ شكل كتب النحو القديمة التي يعلوها الغبار. وبهذا المعنى، لا تعود اللغة شيئا يخرج من جسدي أو يدخل فيه، بل يصبح ذلك الكيان الذي على أن أدخله، لأصبح فردا من أفراد الجماعة. "[1]

إن أفكار 'همبولدت' قد أثرت أيما تأثير حتى في الموازنة في علوم البلاغة (Stylistique Comparée)، وهي كتب فرنسية خاصة بالترجمة، تبحث في مقارنة أساليب الكتابة في الألمانية والفرنسية وتوازن فيما بينها وتقارنها في مستوى نحوي لغوي معا، ويبدو أن المشرف على هذه الكتب 'ألفرد مابلان' (Alfred Malblanc)، قد كان متأثرا بأفكار 'همبولدت' وقد قال: "أليس أمرا رائعا

[1] **جون جاك لوسيركل. عنف اللغة. ترجمة: د. محمد بدوي. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2005. ص: 209.**

وجميلا، أن نقوم بتحديد مدى التأثير اللغوي في المؤلفات الكلاسيكية في بلدين إذا وازنا بينهما، فوجدنا ذلك التأثير يصل إلى ميدان الفلسفة؟ أو ليست اللغة الأصلية أو معرفة لغة أخرى معرفة عميقة، قد وجهت كلتاهما فكر ديكارت ومين دوبران و الفيلسوف برغسون، كما وجهت فكر كانط وهيغل وماركس، ماذا عن ثنوية لغة لايبنتز، ألم يكن لها تأثير في هذا الأخير."

> « Ne serait-ce pas belle entreprise de délimiter la part des influences linguistiques dans les œuvres classiques comparées de deux pays, de retrouver ces influences jusqu'en philosophie ? la langue maternelle ou peut être la connaissance approfondie d'une autre langue n'a-t'elle pas orienté l'esprit de Kant, Hegel, et Karl Marx ? Et qu'en est-il de Leibnitz qui était bi-lingue ? »[1]

ب : اللغة هي ملك لأفراد:

لقد ذكرت في الفصل الأول من هذا البحث، أن الإبداع 'التشومسكي'، يكمن حين رأى أن الشخص المتكلم، بوصفه فردا يقول ما يعنيه، أي أن الفرد ينطق بالجمل التي لم يسبق لأحد أن نطق بها من قبل، هذا يعني أن أقوال الغير هي نوعا ما يمكن اعتبارها ملكية فكرية، لنأخذ جملة بسيطة جدا، وهي مقولة 'ديغول' للجزائريين: (Je vous ai compris !)، أو مقولة 'مارتن لوثر كينغ' (I have a dream !)، إن استعمال هاتين الجملتين في رواية ما، سيثير حتما انتباه القراء، لكن حالما تترجم فإنها تفقد جزءا من إيحاءاتها، فالقارئ العربي مثلا قد لا يلاحظ السر وراء توظيف الكاتب مثلا لجملة "لقد فهمتكم"، أو جملة "عندي حلم"، فالترجمة صحيحة لكنها لا تكفي وحدها خاصة إذا أراد الكاتب مثلا مداعبة خيال القارئ بتوظيف هذه الجمل في نصه. إذن أصبح 'ديغول' و 'مارتن لوثر كينغ' أو 'أرخميدس' حينما قال (Eureka)، أو مجلة (American Speech)، حين حرفت عام 1932 ميلادي لفظة (O.K) لتجعلها (Okey Dokey)، هم المالكون الحقيقيون لهذه الجمل. وفي هذا الصدد يقول 'جون جاك لوسيركل':

[1] **Alfred Malblanc. Pour une stylistique comparée du français et de l'allemand: essai de représentation linguistique comparée. H. Didier, 1944. l'Université du Michigan. P. 16.**

"فهناك علاقة امتلاك لا تنفصم بين المتكلم وبين ألفاظه – والقانون يحمي الملكية الفكرية ويعاقب على سرقة أقوال الغير...وكل متكلم هو كاتب لا من حيث إن مجرد مستعمل لمجموعة من القوانين العامة، بل من حيث هو صوت مفرد يتملك اللغة بطريقته الخاصة" [1]

كثيرا ما لجأ الفلاسفة العظام من أمثال 'سارتر' و 'هايدغر' و 'برغسون' و'جاك دريدا' مثلا، الذين لم يجدوا في لغاتهم رغم تنوعها وثرائها ما يُسعفهم في الإفصاح والتعبير عن المعاني التي تجول في خلدهم والتي يُريدون توصيلها فـ 'دريدا' مثلا يستعمل مصطلحات نحتها نحا وترهق المترجمين مثل: Aura-it, (har-monie, archi-écriture, différance).

"وتأتي مفردات دريدا العادية منها والاصطلاحية حاملة لمعضلاتها هي يضا، إذ كثيرا ما يتعمد دريدا حضور معانيها المتغايرة والمتضادة على السواء في سياق الجملة الواحدة." [2]

تجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يكفي أن نكون ملمين ومطلعين على الموضوعات التي يتناولها هؤلاء الفلاسفة العظام في كتاباتهم، فلكل واحد منهم طريقة تفكيره الخاصة في موضوعه والأهم من ذلك هو أن لكل واحد من هؤلاء المفكرين رؤيته الخاصة للعالم وأسلوب تفكيره الأصيل الذي يتفرد به عن غيره ويُعطي قيمة لكتاباته، وهنا تكمن صعوبة الترجمة بالنسبة لـ' بيتر نيومارك' الذي يقول:

«The real translating difficulty, is not cultural, but personal language, when it expresses some valuable and original thought of the SL author.»[3]

إن المعاني التي يُريد هؤلاء الفلاسفة تبليغها وإيصالها تكمن في لُغتهم نفسها، أي اللغة التي يستعملونها، وهكذا نجد أن كل واحد من هؤلاء قد أدخل على لغته مفرداته الخاصة، ذلك أن إحدى أهم الخصائص التي تميز اللسان البشري هي خاصية "الإنتاجية، التي تعني أن المتكلمين يستطيعون أن ينطقوا بتركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل."[4]

---

[1] **نفس المصدر السابق.. ص: 210.**

[2] **جاك دريدا. في علم الكتابة. ترجمة وتقديم: أنور مغيث، منى طلبة. المركز القومي للترجمة، القاهرة. الطبعة الثانية، 2008. ص: 11.**

[3] **Peter Newmark. Paragraphs On Translation. Multilingual Matters LTD, Clevedon, Philadelphia, Adelaide, 1993. P. 70.**

[4] **د. محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات. دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004. ص: 33.**

فرضية سابير وورف (Sapir Whorf Hypothesis):

إن أفكار 'همبولدت'، تم تطويرها لاحقا من طرف عالم اللغويات الأميركي، 'بنجامين لي وورف'، ثم تلميذه من بعده 'إدوارد سابير'، إلا أن هذه الأفكار سارت باتجاه المزيد من التشدد، لأن نظرية 'سابير-وورف' ترى أن اللغة لا تؤثر فقط في الفكر، وإنما هي الوعاء لذلك الفكر، أي أنها، أي اللغة، تشكل الفكر والإدراك البشريين. هذه الفكرة أدت ببعض اللغويين إلى القول، أنه: "لو افترضنا أن أرسطو كان يتكلم اللغة الصينية، أو لغة الداكوتا Dakota فإن منطقه ومقولاته كانت ستأتي بشكل مختلف.... وكذلك إذا افترضنا أن 'اينشتين كان صينيا، أو كان من الإسكيمو، أو من الهوبيين، فإنه – من خلال عاداته اللغوية – كان سيكتشف تصورات رياضية مختلفة كليا ليفهم بها الواقع." [1]

هذا الموقف، نجده أيضا واردا في المناظرة التي سجلها 'أبو حيان التوحيدي'، حين قال 'السيرافي' لـ'أبي بشر متى ابن يونس': " فالمنطق وضعه رجل من أهل يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفون هبها من رسومها وصفاتها...فمن أين يُلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه (المنطق)، ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم..." إن "أي لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدودها وصفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها، وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها وسجعها."[2] يعني ذلك أن المفاهيم والمصطلحات التي يعرضها المنطق اليوناني، إنما هو نتاج ما أتاحته اليونانية لأهلها ولأرسطو، فهذا المنطق، عبارة عن مركبات لغوية تكتسب دلالتها في الوسط اللغوي الذي أفرزها، " وبالتالي فقد لا يوجد – في وسط لغوي مختلف – ما يمكن أن يؤدي هذه الدلالات، أو قددت تحور بكيفية مغيرة."[3]

لنفهم ما معنى تأثير اللغة في الفكر والإدراك وتوجيههما، وأن الناس يعيشون داخل ما يمكن تسميته 'سجن اللغة'، علينا أن نعود إلى مقالة 'رومان جاكوبسون' (On Linguistic aspects of Translation)، 'عن المظاهر اللغوية في الترجمة، حيث يقول: "في اللغات السلافية، كما في لغات أخرى، حيث "النهار" مذكر و"الليل" مؤنث، يصور الشعراء النهار عشيقا لليل. وقد كان الرسام الروسي 'ريبان' (Repin) حائرا إزاء رسم الفنانين الألمانيين الخطيئة على شكل امرأة: فلم يكن يعرف أن الخطيئة مؤنث في الألمانية (die Sünde)، ومذكر في الروسية(grex). وهذا ما حصل لطفل روسي قرأ حكايات ألمانية مترجمة؛ فقد ذهل حين اكتشف أن "الموت"، وهي امرأة بداهة (لأن الكلمة الروسية بالمقابلة مؤنث

---

[1] د. محي الدين محسب. نفس المرجع. ص: 3.
[2] نفس المصدر السابق. ص : 2 – 3 – 4.
[3] نفس المصدر السابق. ص : 3.

(‘smert)، يمثلها رجل عجوز (لأن الكلمة الألمانية مذكر (der Tod). كما أن "أختي الحياة"، وهو عنوان ديوان شعري لبوريس باستيرناك Boris Pasternak، يشكل شيئا طبيعيا في اللغة الروسية، حيث "حياة" مؤنث (zizn)؛ غير أن هذا الأمر خيب آمال الشاعر التشيكي جوزيف هورا Josef Hora الذي حاول ترجمة هذه الأشعار، ذلك أن هذا الاسم مذكر في اللغة التشيكية (zivol)."[1]

هذه الإشكالية تتكرر حتى داخل اللغة الواحدة، كما أن هذا الموقف يشدد على تبعية الفكر للغة، معتبرا أن الاختلافات بين اللغات تؤثر بقوة في عمليات الفكر لدى متكلميها، مرة أخرى هناك درجة معينة من المقبولية في هذا الزعم، وخاصة في مجال المفردات، وبالفعل، فليس من الضروري أن ننظر إلى اللغات الأخرى: ببساطة يمكننا أن ننظر إلى المفردات الفرعية الفنية في لغتنا (لنقل المصطلحات الكيميائية، الطبية، الثقافية والدينية) لنرى الدرجة العالية من الدقة التي تتاح في الخطاب والفكر بفضل امتلاك مفردات مقسمة بأناقة أكبر.

> « This stresses the dependence of thought on language, claiming that differences among languages strongly affect the thought processes of their speakers. Again there is a certain degree of plausibility to this claim, particularly in the realm of vocabulary. In fact, it is unnecessary to look to other languages: we can simply look to technical sub-vocabularies in our own language (say, chemical, medical, cultural, or religious terms) to see how much greater precision is afforded in discourse and thought by virtue of having a more finely divided vocabulary. »[2]

أطروحة عدم تعيّن الترجمة:

من الصعب علينا ونحن نقف أمام فرضية النسبية اللغوية، أن نؤكد وجود شيء ثابت وكليّ جدير بأن يفسر لنا التقابلات في الترجمة، إن فكرة وجود نحو عالمي، كما افترضه 'شومسكي' لا تكفي لوحدها لدحض فرضية النسبية اللغوية والثقافية، قد يحاول آخرون أن يبينوا أنه يمكننا إيجاد الحل من جهة الواقع

---

[1] Lawrence Venuti. The Translation Studies reader. Routledge, 2012. P. 117.
[2] Ray Jackendoff. Foundations of Language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution. Oxford University Press, 2003. P. 292.

نفسه، إذ أنه في شتى الأحوال لا يوجد إلا عالم واحد، يتكون من الكيانات نفسها، بغض النظر عن اللغة التي نستعملها، إن هوية الواقع يمكن إدراكها بصفتها الخاصية الثابتة والمتوفرة للجميع، مهما بدا لنا بأن اللغات تختلف عن بعضها البعض، "لدى كل الشعوب الأحاسيس نفسها، وفي هذه الأحاسيس تتكون الأفكار."

« Tous les peuples ont les mêmes sens et sur les sens se forment les idées. »[1]

ولكن ذلك قد لا يضمن لنا أننا نفكر في الشيء ذاته، أو نتكلم عن الشيئ ذاته، في الترجمة نبحث دوما عن (المقابل المساوي)، لكلمة أو عبارة ما. ولكن أولا ماذا نعني بالمقابل المساوي؟ يجيبنا الباحثون في فلسفة اللغة، أن الترجمة هي إيجاد المقابل المساوي، أو الموافق لعبارة ما. ماذا نعني بذلك، (أي المقابل المساوي)، يمكن السير باتجاه القول أنه يعني 'المرجع'، وفقا لكلمة الفيلسوف 'فريجه'، ففي الفرنسية مثلا، أو لغة الهوبي، أو أي لغة أخرى، من الممكن لنا أن نتطلع إلى نفس المرجع، باعتباره حال الشيء على سبيل المثال، لكن بمعان مختلفة، في هذه الحالة هل يمكننا فعلا أن نتكلم عن عملية الترجمة؟

> « Traduire, c'est poser une équivalence : sur quoi porte cette équivalence ? On pourrait être tenté de dire qu'elle porte sur la référence, pour employer le terme de Frege. En hopi et en français, on pourrai viser la même référence, en la considérant par exemple comme 'un état de chose', mais avec des sens différents. Mais si les sens sont différents, peut-on véritablement parler de traduction ? »[2]

يعني ما سبق، أن المرجع قد يكون واحدا، لكن المعاني كثيرة ولا تتطابق تماما في اللغتين، وهو أمر نجده حتى داخل اللغة الواحدة، ويسمى بالترادف.

> « What is at issue here is, rather, the basic meaning of expressions on which we assume we can all rely in establishing agreement about basic facts such as whether or not a particular animal is a rabbit or a

[1] **Ronald Grimsley. Sur l'origine du langage. Volume 2 de Langue & cultures. Maupertuis, Librairie Droz, 1971. P. 87.**
[2] **Sylvain Auroux, Jacques Deschamps & Djamel Kouloughli. Op. Cit. P. 173.**

dog, or whether a particular substance is chalk or cheese. Without agreement at this basic level, we could not proceed to more emotively oriented discussions about the relative merits of rabbits and dogs, or chalk and cheese, or about what we associate with them and feel about them. »[1]

هذه هي المسألة التي حاول اللغوي الأمريكي، المتخصص في فلسفة اللغة، 'ويلارد فا أورمان كواين' (Willard Van Orman Quine)، (1908 – 2000 ميلادي)، أن يثبت من خلالها، أنه حتى لو تطابقت المرجعية، أو الشيء الذي نتكلم عنه والذي يوجد أمام أعيننا، فإن باب المعنى يبقى مفتوحا على مصراعيه، هذه الفرضية سميت بـ'لا تعيين الترجمة و عدم التحديد أو غموض المرجعية'. 'عدم تعيّن الترجمة' أو 'لا تعيّن الترجمة' هي الترجمة العربية التي أقترحها للعبارة الإنجليزية (The Indeterminacy of Translation)، أمَّا 'عدم التحديد' والتي يقصد بها 'غموض المرجع' فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية (Underdeterminacy)، إن هذه الفكرة قد اكتسبت شهرة واسعة، إذ اقترن اسم 'كواين' في ميدان 'دراسات الترجمة' بموضوع 'عدم تعين الترجمة'.

لتوضيح فكرته، ينطلق 'كواين' من موقف (الترجمة الجذرية) أو (الترجمة الراديكالية) (Radical Translation)، أي " ترجمة لغة شعب لم يسبق التطرق إليها حتى الآن".

« ..*the* translation *of the language of a* hitherto untouched people. »[2]

بمعنى، لنفترض مثلا (وهو المثال الذي يعطينا إياه)، أنَّ عالما لغويا (عالم لسانيات)، قد وجد نفسه أمام لغة لا يعرفها، وعليه أن يتعلمها بطريقة مباشرة، أي أن عليه مراقبة السكان المحليين في جميع الظروف التي يعيشونها، أو يصادفونها، أو يتخيلونها، أي أن يبدأ من نقطة الصفر. هذا العالم لا يمتلك معجما أو قاموسا وُضع من قبل، إذن ليس أمامه من طريق آخر يسلكه، سوى أن ينشئ معجمه الخاص به، إن العالم في هذه الحالة، يشبه الطفل الصغير، الذي ليس له من سلاح لتعلم لسانه الأم سوى الملاحظة والاستقراء، والتجريب، لكنه سرعان ما سيحتاج لأكثر من ذلك.

---

[1] **Routledge Encyclopedia of Translation Studies (first edition). Mona Baker, Gabriela Saldanha. Op. Cit. P. 9.**

[2] **Steven D. Hales. A Companion to Relativism. Blackwell Companions to Philosophy. John Wiley & Sons, 2010. P. 541.**

يقول 'كواين': "فى الغابة يتوقف عالم اللسانيات الإثنولوجي، ويبدأ في تقطيع المنطوقات التي يسمعها إلى أجزاء متكررة وقصيرة على نحو ملائم، وهو بذلك يجمع قائمة تتضمن 'كلمات' السكان الأصليين . وهو يساوى على نحو افتراضي بين العديد منها وبين الكلمات والتعابير الانجليزية ، وذلك على نحو يتفق مع (شروط حدية معينة)."

> « the jungle linguist segments heard utterances into conveniently short recurrent parts, and thus compiles a list of native 'words'. Various of these he hypothetically equates to English words and phrases, in such a way as to conform to [certain. boundary conditions] »[1]

يكمل 'كواين' فرضيته، متسائلا، لنفترض مجددا، أن عالم اللسانيات الإثنولوجي، لاحظ تلازما بين مرور مجموعة من الأرانب، ونطق السكان المحليين بعبارة 'غافاغاي' (Gavagai)، سيفترض هذا العالم اللساني، أن 'غافاغاي' هذه تدل على 'ارنب'، سيسعى حتما ليختبر افتراضه هذا، سيسأل العالم الشخص الذي تفوه بعبارة 'غافاغاي' حينما يكونان سوية أمام 'أرنب'، ويشير غليه بأصبعه، ففي حالة ما أجابه من تفوه بالعبارة أو المخبر، بالموافقة، فهل سيستنتج بأنه تحصل على الترجمة الصحيحة؟

يجيبنا 'كواين' سلبا بـ'لا'، لماذا؟ ببساطة لأن المرجع أو الشيء الذي يشاهده اللغوي أمام عينيه أو 'الغافاغاي' (Gavagai)، بلغة السكان الأصليين، والذي نسميه نحن بـ'الأرنب'، أو (Lapin ou Lièvre) باللغة الفرنسية، أو (Rabbit) باللغة الإنجليزية قد يعني بكل بساطة في أذهان السكان المحليين: 'أرنب' أو 'يوجد هنا أرنب' أو 'هنا مجموعة من الأجزاء المتلاحمة لأرنب'، أو 'مقطع زمني خاص بالأرنب'، أو 'حيوان'، أو 'أبيض اللون'...إلخ. إذن فالترجمة غير معينة.

« La traduction est indéterminée. »[2]

وفقا لما سبق يمكن القول أنه لو وضعت كتيبات للترجمة أو معاجم من طرف لسانيين آخرين، لكانت النتيجة أن المعاجم أو الكتيبات ستختلف حتما عن بعضها البعض، فلا وجود إذن لمعجم نهائي، يرى 'كواين' أنَّ: "الأطروحة هي إذن كالتالي: يمكن وضع أو إنشاء كتيبات الترجمة من لغة إلى أخرى بطرق متباعدة، كلها متوافقة مع مجموع ميول القول، ولكنها غير متوافقة فيما بينها. وسنجد - في مواضع لا

[1] **Philosophica, Volumes 18 à 22. ED. Rijksuniversiteit te Gent. Rijksuniversiteit, (University of California),1976. P. 125.**
[2] **Sylvain Auroux, Jacques Deschamps & Djamel Kouloughli. Op. Cit. P. 182.**

يمكن حدها أو حصرها – أنها تتباعد وهى تعطي عبارات في اللغة الثانية بوصفها ترجماتها المعتمدة لعبارة ما في اللغة الأولى، وهو ما سيحول وسيقف حجر عثرة لأي تكافؤ مقبول بين بعضها وبعض بأي نوع من التكافؤ مهما كان فضفاضاً. "

> «The thesis then is this: Manuals for translating one language into another can be set up in divergent ways, all compatible with the totality of speech dispositions, yet incompatible with one another. In countless places, they will diverge in giving, as their respective translations of a sentence of the one language, sentences of the other language which stand to each other in no plausible sort of equivalence however loose. »[1]

إذا كان مثال 'كواين' حول 'الغافاغاي' إصطناعي ومتخيل بالكامل، فإن العالم اللغوي 'أوتو يسبرسن' يزودنا بأمثلة حقيقية، حول مصاعب الترجمة التي واجهت المبشرين الأوائل حينما ذهبوا إلى 'غرينلاند' (Greenland)، عام 1587 ميلادي، لعل أحدها هو لفظة 'بانيغماه' (*Panygmah*)، والتي كانت تعني في المعاجم القديمة (إبرة) (Needle)، أما حاليا فقد تبين أنها تعني (ما هو لابنتي) (my daughter's)، ذلك أن المبشر الإنجليزي كان قد أشار إلى الإبرة حين سأل المرأة (تنتمي إلى قبائل الإسكيمو)، لكن هذه الأخيرة حسبت أنه يريد معرفة من هو صاحب الإبرة.[2]

مثال آخر يعطينا إياه 'أوتو يسبرسن'، الذي يستمده من لائحة قديمة للغة 'البولاب'، حيث تم ترجمة الكلمات التالية، (Scumbe, Subuda, Janidiglia)، بما يلي وذلك على التوالي: (البارحة، اليوم، غدا)، لكن في واقع الأمر تبين لاحقا أن الترجمة الصحيحة هي كالتالي، وذلك مع مراعاة الترتيب، (يوم العيد، السبت، الأحد)، يمكن الاستنتاج أن اللغوي طرح سؤاله على مخبره في يوم السبت.[3]

وفقا لما سبق، يمكن القول، أن العالم اللغوي قد يزيل الغموض، أثناء تأليفه معجمه، بواسطة العناصر السياقية، (أرنب، أرانب، أرنب أبيض، أرنب حي...إلخ)، ولا يسعه ذلك إلا بواسطة عمليات التمييز التي نعرفها في لغتنا (الجمع، التذكير، الأداة...إلخ)، وقد يصل في آخر المطاف إلى وضع كتاب ترجمة جيد،

---

[1] Patricia Hanna, Bernard Harrison. Word and World: Practice and the Foundations of Language. Cambridge University Press, 2004. P. 294.
[2] Otto Jespersen. Op. Cit. P. 116 – 117.
[3] Ibid. 117.

بعد تصحيح مجمل الأخطاء، كما رأينا في المثالين السابقين، ويزيل بالتالي حالة عدم تعين الترجمة، يبدو أن المشكلة قد زالت.

'كواين' يؤكد عكس ذلك، لأن اللغوي الإثنولوجي، عندما يترجم لغة السكان الأصليين، ينطلق في اتخاذ قراراته من لغته هو، "ففي عملية الترجمة، لا يمكن أن تسقط بنية لغة ما على بنية لغة أخرى، قد نحصل على إسقاطات سليمة وناجحة إلى حد ما، لكن ما يؤكده 'كواين'، هو أننا لا نملك إطلاقا مبدءًا للفصل يمكننا ويتيح لنا التمييز بين ما يعود إلى لغتنا، أو فروضنا التحليلية، وبين ما يعود للواقع ذاته، من الممكن إذا أن توجد فرضيتان لا تتوافقان معا منطقيا، لكنهما تتفقان فيما بينهما مع السلوك أو الشيء الذي نراقبه.

> « Lorsque j'interprète la langue indigène je ne fais que prendre des décisions à partir de ma langue : la langue source est toujours la langue du traducteur. Autrement dit, en traduisant on ne peut que projeter une structure sur une autre. On peut avoir de plus ou moins bonnes projections [….] Or, nous ne disposons pas de principe de démarcation permettant de distinguer ce qui viendrait de notre langage ou de nos hypothèses analytiques et ce qui viendrait de notre réalité elle-même. Il peut toujours se faire que deux hypothèses logiquement incompatibles entre elles soient toutes deux parfaitement compatibles avec le comportement observable. » [1]

بالنسبة لـ'كواين' فإن منهج الفروض التحليلية الذي يتبعه اللغوي، أو المترجم، هو طريقة يرمي بها هذا اللغوي نفسه في لغة الغابة، عن طريق زخم لغته، إذن فالمترجم في هذه الحالة لا ينقل المعنى الصحيح وإنما يخلقه، فهو ليس بالحيادي أو الأمين وفق هذه الحالة، وإنما مجرد خائن، وهو ما يعيدنا إلى نقطة الصفر.

> « The method of analytical hypotheses is a way of catapulting oneself into the jungle language by the momentum of the home language. » [2]

---

[1] **Sylvain Auroux, Jacques Deschamps & Djamel Kouloughli. Op. Cit. P. 184.**
[2] **Lawrence Venuti. The Translation Studies Reader. Psychology Press, 2000. P. 111.**

2- العقلانيون وقابلية الترجمة:

إن الآلية الأولية لفعل الترجمة هي الحوار، والحوار يفترض دائما درجة أو حدا ما من اللاتناظر، الحوار هو أخذ وعطاء، فالاختلاف رحمة وبـ"المقابل، إذا كان هناك حوار خال من اختلافات سيميوطيقية، فإنه لا مبرر لوجوده، وحين يكون الاختلاف مطلقا إلى حد أن المشاركين يلغون بعضهم البعض، فإن الحوار يصبح مستحيلا. اللا-تناظر يجب إذن أن يشمل درجة دنيا من الثبات."[1]

ويضيف 'كلود حجاج لما سبق: " والأكثر إثارة للدهشة، أن الترجمة ما تزال مستمرةن وإن كانت بعيدة عن التمام أو تقريبية، مما يعني أن بين الألسنة تماثلات هي من الجدية بحيث تتيح للرسائل التي تنتجها مثل هذا التنقل بينها."[2]

عدم إمكانية الترجمة كمفهوم إحصائي:

يعتقد العقلانيون أن كل شيء قابل للترجمة، مادامت مهمة المترجم هي القبض على المعاني لأنها عالمية، ولكنهم في نفس الوقت يضعون استثناءات عقلانية، يقول 'جورج مونان':

> "يمكن دراسة مسألة عدم القابلية للترجمة دراسة موضوعية، بعد أن دُرست خلال ألفي عام على أساس تجارب شخصية، غير كاملة وحدس ذاتي من المترجمين، إنه يمكن دراستها بطريقة إحصائية وكمية محضة، فبدلا من القول بأن كل شيء يمكن ترجمته، أو أن كل شيء عير قابل للترجمة، يمكن أن نبدأ بحصر منهجي للوقائع غير القابلة للترجمة، والتي تقابلنا في وثائق معينة." [3]

وهو نفس الاتجاه الذي يذهب إليه الدكتور 'حسين خمري'، فحسب رأيه: "قليلة جدا هي النصوص التي يمكن وصفا بأنها غير قابلة للترجمة، ذلك لأن من كتبوا هذه النصوص، هم أنفسهم من رغب في أن تكون نصوصهم كذلك."

---

[1] **يوري لوتمان. سيمياء الكون. ترجمة: عبد المجيد نوسي. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2001. الدار البيضاء المغرب. ص: 63.**
[2] **كلود حجاج. نفس المرجع. ص: 66 – 67.**
[3] **جورج مونان. نفس المرجع. ص: 33.**

« Rares sont les textes qu'on peut qualifier d'intraduisibles, car leurs auteurs eux-mêmes leur ont voulu cette caractéristique et les ont marqué de cette touche. »[1]

إن العقلانيين، يعترفون بوجود بعض العراقيل في الترجمة، ولهذا السبب، ذهب كل من المنظر 'كاتفورد'(Catford) ، ومن بعده 'بوبوفيتش' (Popovic)، إلى الاعتراف بوجود نوعين من عدم القابلية للترجمة. النوع الأول يسمى بـ'عدم قابلية الترجمة اللغوية أو اللسانية' (Linguistic untranslatability) و 'عدم قابلية الترجمة الثقافية'.(Cultural Untranslatability)

يعرف 'بوبوفيتش' عدم قابلية الترجمة اللغوية ، بأنها: حالة لا يمكن فيها للعناصر اللغوية للنص الأصل أن تُستبدل بها بشكل مناسب مصطلحات بنيوية أو خطية أو وظيفية أو معنوية ملحقة بفقدان المعنى الضمني أو المعنى الصريح (المعجمي).

«A situation in which the linguistic elements of the original cannot be replaced adequately in structural, linear, functional or semantic terms in consequence of a lack of denotation or connotation.»[2]

أما عن عدم قابلية الترجمة اللغوية، فالدكتور 'حسين خمري' يعطينا مثالا توضيحيا في كتابه عن الترجمة، وهو رواية 'جورج بيريك' (Georges Perec) (La disparition)، الصادرة عام 1975 ميلادي. تتميز هذه الرواية بالتلاعب اللفظي، وغياب الحرف « e »، فهل يمكن ترجمتها و المحافظة على غياب هذا الحرف في لغة أخرى، ماذا لو ترجمت إلى العربية، هل سيحس القارئ العربي بغياب هذا الحرف، ذلك أن العربية لا تملك هذا الحرف.

« Le roman de Georges Perec, La disparition, publié en 1975, peut on le traduire et respecter l'absence de la fameuse lettre « e » et c'est en fait « la lettre volée » que nul traducteur ne peut la restituer dans une

[1] **Hocine Khemri. Op. Cit. P. 132.**
[2] **Susan Bassnett. Translation Studies. Op. Cit. P. 42.**

autre langue, encore moins dans la langue arabe dépourvu totalement de cette lettre. » [1]

عن عدم قابلية الترجمة اللغوية دائما، يعطينا 'روجر ت. بيل' مثالا آخر، وهو فعل الكينونة الإنجليزي (to be)، الذي يقابله في اللغة الإسبانية فعلان للكينونة (Ser)، و (Estar).

1- ser : Juan es simpatico.

Juan is friendly (permanently) خوان ودود (دائما)

2- Esta : Juan esta simpatico.

Juan is friendly (temporarily) [2] خوان ودود (مؤقتا)

ويعطينا 'كلود حجاج ' مثالا توضيحيا آخر:

"كما علينا التضحية أيضا بترجمة الإشارات إلى المكانة الاجتماعية، المدمجة مع الضمير المنفصل في العديد من ألسنة الشرق الأقصى باستعمال الثنائية الوحيدة في الفرنسية Tu/vous (أنت . أنتم)، أو بما هو أسوأ في الإنجليزية، أي باللفظ الوحيد You."[3]

أما عن عدم قابلية الترجمة الثقافية ، فيعرفها 'بوبوفيتش' بأنها: "حالة لا تجد فيها العلاقة التي تفسر المعنى تعبيراً لغوياً ملائماً في الترجمة، ونقصد بالعلاقة تلك التي بين المادة الإبداعية وعبارتها اللغوية في النص الأصل"

« A situation where the relation of expressing the meaning, i.e. the relation between the creative subject and its linguistic expression in the original does not find an adequate linguistic expression in the translation. » [4]

---

[1] **Ibidem.**

[2] **Roger T. Bell. Translation and Translating: Theory and Practice (Applied linguistics and language study. Longman, 1991. P. 133.**

[3] **كلود حجاج. نفس المرجع. ص : 64.**

[4] **Susan Bassnett. Op. Cit. P. 42.**

يمكن أن ندرج في هذا السياق، عبارات من قبيل العبارة الفرنسية (Bon Appétit)، (شهية طيبة)، والتي لا يوجد مكافئ لها في اللغات الأخرى، ونلاحظ أنها دخلت في الاستعمال وفي المعجم الإنجليزية دون تغيير، أو الكلمة الإيطالية (Tamponamento)، في جملة (C'e stato un tamponamento)، تبدو الجملة قابلة للترجمة بالإنجليزية بشكل كامل، وذلك بسبب التقارب ترتيب الكلمات والعناصر المكونة للجمل، ولكن 'سوزان باسنت' ترى أن الصعوبة تكمن في ترجمة الأسماء الإيطالية إلى الإنجليزية، فهي تظهر بوصفها جملا إسمية (a noun phrase). [1]

C'e stato un tamponamento =

There has been/there was a slight accident (involving a vehicle) =

.(هناك/كان هناك حادث بسيط (فيه مركبة)

مثال آخر عن عدم قابلية الترجمة الثقافية، وهذه المرة سيكون تاريخيا، تمثل في الخطأ الذي وقع فيه " المترجم العربي، أبو بشر متى ابن يونس القنائي، في ترجمته المشهورة لكتاب أرسطو في الشعر، حينما نقله إلى العربية، فقد ترجم الكلمة اليونانية "التراجيديا" إلى المديح، وترجم الكلمة "الكوميديا" إلى الهجاء، وعلى هذه الترجمة المغلوطة أقام أبو الوليد ابن رشد الفيلسوف كتابه: "تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر"، فقد انطلق في تحليل المدح والهجاء في الشعر العربي."[2]

نموذج تشومسكي في علم الترجمة (الجمل النووية):

أحدث نموذج النحو التوليدي التحويلي (Generative-transformational model)، الذي جاء به 'شومسكي'، في القرن العشرين، تأثير واضحا لا يستهان به في ميدان نظرية الترجمة، لعل أهم من تأثروا به، وقاموا بتوظيفه في التنظير للترجمة، هو المنظر والمترجم الأمريكي 'يوجين نايدا' (Eugene Nida) ، جاعلا منه نموذجا يُتبع لمواجهة النصوص مهما كان استعصاؤها، يقوم هذا النموذج بتحليل كل جملة عن طريق تحديد عدد من المستويات التي يتصل بعضها ببعض، وتحكمها جملة من القواعد، يتلخص هذا النموذج فيما يلي:

---

[1] **Ibid. 42 – 43.**

[2] **أحمد بن محمد عبد الله الذبيان. حنين ابن اسحاق (دراسة تاريخية ولغوية)، المجلد الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1993. ص: 64 – 65.**

- تقوم قواعد بناء الجملة بتوليد بناء باطني أو عميق،
- هذا البناء يتحول تبعا لقواعد التحويل، مقيما علاقة ثابتة، بين كل من الأبنية الباطنة بعضها البعض (كالمبني للمعلوم الذي يتحول إلى المبني للمجهول) لينتج لنا أو يؤدي بنا إلى:
- البناء السطحي النهائي الذي يخضع لقواعد صوتية و مورفيمية.

« (1) Phrase-structure rules generate an underlying or deep structure which is

(2) transformed by transformational rules relating one underlying structure to another

(e.g. active to passive), to produce

(3) a final surface structure, which itself is subject to phonological and morphemic rules.» [1]

إن علاقات البناء الواردة أعلاه، لا تختلف من لغة إلى لغة أخرى، مهما تبدل الزمن، وذلك بحسب اعتقاد 'شومسكي' طبعا، ولعل أهم الأبنية الأساسية فيه هي ما يُسمى بالجمل النووية أو الجوهرية (Kernel Sentences)، أي جمل بسيطة، مبنية للمعلوم، جمل مفيدة لا تحتاج إلى أي تحويل. وقد قام 'نايدا' بالاستفادة من النموذج السابق عن طريق عكس الترتيب الذي ورد في نموذج شومسكي، حيث يبدأ بتخليل البناء السطحي للجملة أو النص المصدر، حتى يصل إلى الأجزاء الأساسية للبناء العميق، يقوم المترجم في هذه الحالة بنقل العناصر 'النووية' أو الجوهرية، في عملية الترجمة، ثم يعيد بنائها من جديد في البنية السطحية للغة الهدف، عن طريق إعادة بنائها دلاليا وأسلوبيا. يتمحور عمل المترجم إذن في سعيه إلى إيجاد "النوى" (Kernels)، لكي يحافظ غلى دقة الترجمة. و"النوى" كما عرفها كل من 'نيدا' و'تابر' هي العناصر البنائية الأساسية التي تقيم اللغة منها أبنيتها السطحية المعقدة.

« Kernels …are the basic structural elements out of which language builds its elaborate surface structures'.» [2]

---

[1] **Jeremy Munday. Introducing Translation Studies (Theories & Applications). Second Edition 2008, Routledge (London & New York). P. 40.**

[2] **Eugene Albert Nida. Charles Russel Taber.**

. The Theory and Practice of Translation. BRILL, 2003. P. 39.

نقد نموذج شومسكي (صعوبات ومثبطات الترجمة):

إن القول بوجود بنية عميقة مشتركة بين جميع اللغات، يُعد بمثابة بُشرى لقابلية الترجمة. ولكن الموضوع ليس بهذه السهولة والبساطة، فلو كان الأمر كذلك لما طُرحت هذه الإشكالية أساسا، ذلك أن كل أشكال الاختلاف تتجسد على مستوى البنى السطحية للغات. وهكذا يمكننا انطلاقا مما سبق ذكره أن نخرج بجملة من الاعتبارات، نحاول أن نذكر فيها أهم ما يواجهه المترجم من صعوبات، وذلك إضافة إلى العائق الثقافي الذي تم تناوله آنفا.

أ- الاعتبار الأول (تستر المعنى):

قد لا تسعفنا البنية العميقة في فهم و تحديد معنى الجملة وذلك عبر سلسلة التحويلات التي ذكرناها في الفصل الأول من هذا البحث، والسبب وراء ذلك يمكن إرجاعه إلى الإبهام واللبس الذي يكون على مستوى البنية السطحية للجملة، التي يحتمل تركيبها الظاهري أكثر من معنى. مثال ذلك الجملة البسيطة التالية: .I'll meet you at the bank، نحن هنا أمام جملة واحدة أو "نقش الكلام ذاته"[1]، ولكن هذه الجملة التي تبدو شديدة السهولة للوهلة الأولى تحتمل ترجمتين:

- سأقابلك عند شاطئ/ ضفة النهر
- أو: سأقابلك عند المصرف.

في هذه الحالة يُمكن أن نقول أنه لا سبيل إلى الوصول إلى المعنى الحقيقي إلا بالرجوع إلى السياق. وتكون النتيجُة الأولى التي نخرج بها من هذا المثال البسيط، أنَّ من واجب المترجم أن لا يكْتفي بنقل ما هو لغوي فحسب، بل عليه أيضا أن يأْخذ بنظر الاعتبار كل ما يرتبط بالسيأْق وخصوصاً بالسياق غير اللغوي الذي يُعد بالغ الأهمية، ولعله الأمر الذي أهملته معظم الدراسات حول الترجمة، يقول كل من 'حاتم و ماسون': " "إن جزءاً كبيراً من المناقشة في نظرية الترجمة هو عن أوجه التباين البنيوي، أي المباني والتراكيب، بين الأنظمة اللغوية وليس بتاتا عن عملية التواصل عبر الحواجز الثقافية؛ بل جمل منفردة يتم نزعها من سياقها بدلاً من التعامل مع نصوص فعلية، وهكذا تصبح نظرية الترجمة فرعاً من علم الألسنية التقابلي وتصبح مشكلة الترجمة مشكلة عدم التعادل أو التطابق لبعض الأدوات اللغوية المجردة من السياق بين لغات مختلفة."

[1] جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق. ترجمة: د. عباس صادق الوهاب. دار الشؤون الثقافية العامة، العراق. الطبعة الأولى، 1987. ص: 197.

« Yet much of the discussion is about structural contrasts between language systems rather than about communication across cultural barriers and about individual, de-contextualised sentences instead of real texts. Thus, translation theory becomes a branch of contrastive linguistics, and translation problems become a matter of the non-correspondence of certain formal categories in different languages. »[1]

وإذا أردنا أن ننتقل إلى مستوى أعلى فإننا نتساءل: ماذا عن ترجمة بعض المفردات الفلسفية الشهيرة والتي يُسميها "بول ريكور" بـ"الكلمات المفتاحية" [2]« les maîtres-mots »، مثال ذلك بعض المفردات "الدريدية" (نسبة إلى الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا) وهي مفردات قام هذا الفيلسوف بنَحْتها نحتاً، كمفردة « La Différance »، أو بعض المفردات التي أعاد استخراجها من الإغريقية القديمة وقام بنحتها من جديد كمفردة "الفارماكون" «Le Pharmakon » مثلا التي تدل طورا فطورا على "الدواء" وعلى "السم"، "الأذى" و"المعالجة" في نفس الوقت؟ يقول الفيلسوف "بول ريكور" عن ترجمة الألفاظ الفلسفية:

" و تصل الصعوبة ذروتها مع الكلمات المفتاحية Grundworter والتي يفرض عليها المترجم أحيانا الطريقة الحرفية كلمة بكلمة حيث تتخذ الكلمة معادلا ثابتا في لغة الوصول. لكن هذا الإحراج الشرعي له حدوده باعتبار أن هذه الكلمات المفتاحية الشهيرة Vorstellung، Aufhebung، Dasein، Ereignis هي ذاتها مضغوطات مركزة لنصيات طويلة حيث تعكس سياقات كاملة بعضها البعض حتى لا نقول عن ظواهر النص المتخفية في ضرب الكلمة ذاته."[3]

إن أي محاولة "اختراق" أو " تذويب" (إذا جاز التعبير) لهذه المفردة ستبوء حتما بالفشل، لأنها ستُذهب العمل المتنوع لهذه المفردة سواء أكان ذلك من لغة إلى أخرى أو حتى داخل نفس اللغة، وحول صعوبة ترجمة مفردة "الفارماكون" يقول الفيلسوف 'جاك دريدا' (Jacques Derrida):

---

[1] **B Hatim, Ian Mason. Discourse and the Translator Language In Social Life. Routledge, 2014. P. 26.**
[2] **Paul Ricœur. Sur la traduction. 3eme tirage, Bayard, 2004. P. 12.**
[3] **بول ريكور: نفس المرجع السابق. ص: 18-19.**

"...وسنلاحظ إلى أي درجة تعرَّضت الوحدة "التشكيلية" لهذا المفهوم، أو بالأحرى قاعدته والمنطق الغريب الذي يربطه بدالّه، نقول تعرضت للبعثرة، قُنِّعت، شوِّهت، ولحق بها تعذر على القراءة نسبيّ، وذلك، وبالطبع، بسببٍ من عدم تحوّط المترجمين أو عشوائيتهم، وكذلك، وفي المقام الأول، بباعثٍ من الصعوبة الرهيبة وغير القابلة للتذويب التي ترافق الترجمة. صعوبة مبدئية لا تنبع من الانتقال من لسان إلى آخر، ولغة فلسفة إلى سواها، وإنما، وكما سنلاحظ، من التناقل داخل اليونانية بالذات، أي من اليونانية إلى اليونانية...مع مشكل الترجمة هذا لسنا أمام شيء آخر سوى مشكل النفاذ إلى الفلسفة نفسها بالذات." [1]

ب- الاعتبار الثاني (حول صعوبات المحافظة على الأسلوب):

ومن المفردات والجمل ننتقل إلى النص، ولكن دائما في إطار المناقشة التي كنا قد بدأناها حول المصاعب التي تواجه المترجم على مستوى البنية السطحية في انتقاله من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر، وسنعتمد فيما يلي على الفرضية التي طرحها "روجر فاولر" في كتابه "اللسانيات والرواية" والتي يرى بموجبها أن هناك تشابها بين بنية النص وبنية الجملة، ولإثبات فرضيته فقد حاول الاستفادة من طرح 'تشومسكي' الذي يُفرق بين البنية العميقة والبنية السطحية للجملة، ونحوه التحويلي.

وفقا لفرضية 'روجر فاولر' فإن البنية السطحية تؤثر بشكل كبير على إدراك القارئ لأسلوب الكاتب، وتُخلّف لديه مجموعة من الانطباعات حول سمات شخصية المؤلف، والمدرسة أو التيار الأدبي والثقافي والإيديولوجي الذي ينتمي إليه هذا المؤلف. ودعما لكل ما سبق يقول (Roger Fowler) 'روجر فولر': " إن تأثير البنية السطحية على إدراك القارئ للوجوه البلاغية للنص أكثر أهمية من هذه الانطباعات الفيزيائية، وذلك يعني أن طريقة التعبير- كالمحتوى المعبر عنه- تسمح للقارئ أن يقوم بإنشاء صورة لمؤلف النص، أو بمعنى آخر ليس المؤلف نفسه، لكن صورة الحالة المزاجية التي يخلقها في هذا العمل، إننا نكون واعين بـ'المؤلف الضمني' في حالة الأعمال الروائية في تمكنه من اللغة، مُتبنين مواقف من التقاليد الأدبية والأيديولوجية التي ألف الكاتب في ظلها، ومن محتوى الكتاب (الأفكار، الشخصيات، الحاكي)..." (ترجمتي).

« More important than these quasi-physical impressions are the influences of surface structure on the reader's apprehension of

[1] **جاك دريدا: صيدلية أفلاطون. ترجمة: كاظم جهاد. دار الجنوب للنشر، تونس، 1998. ص: 23.**

rhetorical facets of a text. What this means is that the manner of expression, as much as the content expressed, allows the reader to construct an image of the author himself, but of the posture he has created for that particular work. In that case of a work of prose fiction, we become conscious of an '*implied author'* in command of the language, taking up stances in relation to the literary and ideological traditions within which the book is written, in relation to the content of the book (ideas, characters, narrator if any)… »[1]

لعل أهم شيء يميز النص الأدبي عن النص العلمي ويجعله مستعصيا على المترجم هو أسلوب الكاتب، ذلك أن النص الأدبي ليس مجرد تتابع للكلمات والفقرات واحدة بعد الأخرى، إذ من النادر أن يستمتع جمهور القراء برواية من الروايات أو قصة من القصص إذا لم يكن أسلوب كاتبها ممتعا، فالعمل الأدبي لا يمكن له أن يكون منفصلا عن المؤلف الذي أبدعه.

لا يكتفي المترجم أثناء ترجمته بنقل المحتوى الدلالي للنص الذي أمامه، وإنما يتعين عليه مُحاكاة أسلوب الكاتب أيضا، فإذا كان الفلاسفة ينحتون مصطلحاتهم نحتًا، فحينئذ يمكن القول أن الأدباء أيضا ينحتون جُملهم ونُصوصهم نحتًا، وأنهم يُطوعون اللغة لصالحهم بهدف نقل أفكارهم وأحاسيسهم، لذلك يُمكن القول أن لُغة الكُتَّاب تملك خاصيات شبه سحرية، "ويتحول الكاتب من فرد عادي إلى نموذج ثقافي يتسم بصفات وجودية وصور ذهنية وهيئات تخييلية تتجدد فيه وتتولد له مع تقلب حيوات النص."[2]

لكل كاتب أسلوبه الخاص في الكتابة وبصمته التي يُعرف بها، تلك البصمة التي غالبا ما يُذهبها العمل الترجمي وإن كان ذلك عن غير قصد من المترجم، هذا الأخير قد يجد نفسه بين مطرقة النص الأصلي وسندان جمهور اللغة الهدف، فإما أن ينقل النص الأصلي وفق مقتضيات اللغة الهدف ويُجرد النص الأصلي من أسلوب وبصمة كاتبه بهدف ضمان التدفق الطبيعي للنص المُترجم، وتكون نتيجة ذلك هي إنتاج عمل خالي من كل إبداع وأصالة، أو أن يُخاطر ويُحاول محاكاة أسلوب كاتب النص الأصلي وهو ما قد ينعكس سلبا على تلقي النص المُترجم عند قُراء اللغة الهدف، الذين قد يجدون نوعا من الرشاقة الأسلوبية التي لا تتلاءم مع ذوقهم. وحول هذا الموضوع يَقول (Peter Newmark) 'بيتر نيومارك': "

---

[1] **Roger Fowler. Linguistics and the Novel. Routledge: London & New York. Reprinted 1989. P. 10.**

[2] **د. عبد الله محمد الغذامي: الكتابة ضد الكتابة. دار الآداب، بيروت. الطبعة الأولى، 1991. ص: 7.**

عادة ما يكون استعمال الكاتب الجيد للغة بعيدا، إن لم نقل مُتناقضا مع بعض أعراف وتقاليد الكتابة الجيدة، والمترجم في هذه الحالة مُطالب باحترام الكاتب لا الأعراف السائدة." (ترجمتي).

« …a good writer's use of language is often remote from, if not at cross purposes with, some of the conventional canons of good writing, and it is the writer not the canons that the translator must respect. »[1]

وهكذا فإننا كثيرا ما نُصادف مقالات تتحدث عن (الكتابات الدريدية) نسبة إلى الفيلسوف 'جاك دريدا'، أو عن أسلوب المقامات مثلا؛ الذي تبناه عدد من كتاب العصر الحديث من أمثال 'أحمد فارس الشدياق' أو 'إبراهيم الويلحي'، وهو الأسلوب الذي لم يتبناه الفيلسوف العربي 'أبو حيان التوحيدي' رغم أنه كان سائدا في عصره (القرن الرابع الهجري)، ووُصف بأنه كان في "الغالب الأعم جاحظيّ الأسلوب"[2]، أو أن نُطلق على لغة كاتب من الكتاب بأنها (مصقولة) أو (مُعقدة) أو (مملة)، " فالأسلوب طريقة في الكتابة، وهو من جهة أخرى، طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب، ولجنس من الأجناس، ولعصر من العصور."[3]

يتعلق الأسلوب هنا بنمط الكلمات التي يستخدمها الكاتب وكيفية تقديمه للتفاصيل، وكل ما يتعلق بصياغة وتنسيق أفكاره مثل طول أو قِصر الفقرات، أو اختياره لتتابع خطي مُعيَّن قصد ترك انطباع أسلوبي معين لدى القارئ أو تركيز انتباه هذا الأخير إلى بعض التفاصيل التي قد يُهملها، وتشتمل البنية النصية السطحية أيضا على عدد من السمات تتلازم –تقليديا- مع فكرة (الأسلوب)، وبخاصة هذه السمات التي تعتمد على إيقاع الجمل، وإيقاع تنظيمها في تتابع مُحدد.

« Textual surface structure also includes many features traditionally associated with the idea of 'style', particularly those features depending on the rythm sentences and of their arrangements in sequences. »[4]

---

[1] **Peter Newmark. Approaches to Translation. Shanghai Foreign Language Education Press, 2001. P. 8.**

[2] **الموسوعة العربية العالمية. النسخة الإلكترونية. أنظر مادة: أبو حيان التوحيدي.**

[3] **بيير جيرو: الأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. مركز النماء الحضاري، الطبعة الثانية، 1994. ص:9.**

[4] **Roger Fowler. Ibid. P. 28.**

إن اختيارات الكاتب للكلمات والتراكيب ليست عشوائية أو اعتباطية ولا يجب أن تكون كذلك بالنسبة إلى المترجم، لأن مستوى الأسلوب هو العامل الحاسم في ترجمة النص الأدبي. " واختصارا، هناك تأثير مباشر لبنية السطح التركيبية على نشاط القراءة، إنها يُمكن أن تعوق القارئ، وهو يتقدم من اليسار إلى اليمين خلال النص، أو تُعجل تقدمه بيسر، أو تتناوب هذه التأثيرات، مرقمة للنص، موجهة انتباه القارئ أكثر لبعض أجزاء المعنى أكثر من غيرها، وتسبب الاتجاهات الملحوظة لإعادة بعض الأنماط التركيبية (الجمل القصيرة أو الطويلة، الجمل ذات العبارات المعطوفة أو العبارات التابعة، الجمل الصغرى...إلخ) تسبب اختلافا في الانطباعات الأسلوبية."

> «Briefly, the structure of the syntactic surface has a direct impact on the activity of reading- it may hold the reader up as he progresses left-to-right through a text, or advance his progress smoothly; or alternate these effects, 'punctuating the text and directing the reader's attention more to some parts of the meaning, less to others Marked tendencies to repeat the same syntactic types (short or long sentences, sentences with coordinated rather than subordinated clauses, verb-less sentences, etc.) give rise to a variety of stylistic impressions.» [1]

والنتيجة هي أن الأسلوب الذي يكتب به الأدباء أو الكُتاب هو جزء مما يُريدون قوله، إن قضية "قابلية أو عدم قابلية الترجمة" ترتبط بشكل وثيق بنوع الأسلوب الذي يتبناه الكاتب أو المؤلف، والمحافظة عليه تكاد تكون مهمة شبه مستحيلة، فكلما كان الأسلوب سهلا كان ذلك بردا و سلاما على المترجم؛ مثال ذلك أسلوب الكاتب البرازيلي العالمي 'باولو كويليو' (Paolo Coelho) الذي يمتاز بالبساطة. وبالمقابل يمكن القول أيضا أنه كلما زادت صعوبة الأسلوب اضطر المترجم في نقله للنص إلى التخلي عن الأمانة تجاه القارئ في اللغة الهدف بشكل تدريجي، وأحسن مثال على ذلك هو أسلوب الكاتب الأيرلندي 'جيمس جويس'* (James Joyce)، الذي وُصفت روايته "يوليسيس" بأنها: " عبارة عن متحف للأساليب الأدبية الميتة ومخزن للحديث الشعبي غير القياسي، وهي تحتوي أيضا على أمثلة لكل نوع من الحيل

---

[1] **Roger Fowler. Ibid. P. 9-10.**

* جيمس جويس (2 فيفري 1882 دبلن، ايرلندا- 13 جانفي 1941 زيوريخ، سويسرا): روائي ايرلندي، شكلت أعماله الأدبية مادة خصبة بالنسبة لمنظري الترجمة الذي أبدوا العديد من وجهات النظر حولها، وذلك نظرا لصعوبتها البالغة ومقاومتها للترجمة، وهي الآراء التي سنعود إلى بعضها في المبحث الثاني من هذا الفصل: "مقاربات نظرية الترجمة".

اللفظية أو البراعة الكلامية من الجناس إلى الاستخدام الخاطئ للكلمات أو التورية، من الرموز إلى أحاديث الأطفال."[1]

جـ- الاعتبار الثالث مأزق ترجمة الشعر: (حول صعوبات ترجمة المبنى والمعنى):

تبلغ صعوبة الأسلوب ذروتها في ترجمة النصوص الشعرية، حينها يكون المترجم أمام تحدٍّ مزدوج، أو بالأحرى يكون مترددا بين "شكلين فنيين" في ترجمته للشعر، ذلك لأن كليهما (الجوهر والشكل) يكون في حاجة إلى الآخر.

إن ما يُعاب على بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت مشكلة ترجمة الشعر هو اكتفاؤها بالإشارة إلى أن النصوص الشعرية عبارة عن شكل ومحتوى، وأن إمكانية ترجمة الشعر تتوقف على قدرة المترجم على نقل المحتوى أو المعنى العام ومحاولة المحافظة في ذات الوقت على الشكل الصوتي للنص الشعري، وهي مهمة شبه مستحيلة إذ غالبا ما يضطر المترجم إلى التضحية بالمبنى (العناصر الجمالية) ويقوم بترجمة الشعر نثرا، وتلك " نتيجة طبيعية حتمية للضغط البنيوي المكثف، الناجم عن جريان العبارة في حيز إيقاعي محدود محدد، يقع في نطاق واضح من الوزن والقافية، حيز لا يُمكن أن يُنتج لنا إلا عبارة تجانسه."[2]

إجمالا يمكن القول أنَّ هذه الأبحاث قد أصابت، ولكنَّها في المقابل قد أهملت شيئا جوهريا بتبنيها لنفس النظرة التي كانت سائدة في الدراسات التقليدية للشعر، والتي ترى أن الشعر هو" قول موزون مقفى يدل على معنى."[3] وما يؤخذ على هذا التعريف أو على هذه النظرة هي أنها عامة إلى حد بعيد، ذلك أن النثر أيضا يشتمل على هذه العناصر كما سبق وأن رأينا، وهو ما نلمسه مثلا في موضوع دراستنا: "المقامات". والحقيقة هي أن الصيغة الشعرية تتميز باشتمالها على 'جانبين من جوانب الشكل الفني' إضافة إلى المحتوى العام أو ما يمكن تسميته بجوهر المعنى، هذا الأخير يُعتبر أمرا لا جدال فيه ويجب علينا أن نضعه جانبا في دراستنا لهذه المشكلة، إذ لا يمكننا أن نتصور مُترجما ينقل قصيدة تصف الطبيعة إلى قصيدة أخرى تصف معارك حربية، ولا بأس هنا من الاستضاءة بما قاله "جون كوين" في هذا المجال:" إن الدراسات التقليدية تواجه دائما بين الشكل والمعنى، جاعلة من الشكل المستوى الصوتي

---

[1] جون جروس: جيمس جويس. ترجمة: مجاهد عبد المنعم.المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 1975. ص:96.
[2] أحمد حاطوم: اللغة ليست عقلا (من خلال اللسان العربي). دار الفكر اللبناني. ص: 297-298.
[3] قدامة بن جعفر: نقد الشعر. تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، 1963. ص. 64.

الوحيد. والحقيقة أنه ينبغي التمييز بين درجتين في الشكل، الأولى على مستوى الصوت والثانية على مستوى الفن." [1]

أما عن جوانب الشكل الفني للشعر فإن 'مرجري بولتون' تميز هي الأخرى بين شكلين اثنين أو بمعنى أدق مستويين للشكل؛ وتُطلق على الشكل الأول اسم "الشكل المادي"[2]، ويتجلى هذا الأخير في المظهر الخارجي للنص الشعري، أي ما نسمعه أثناء قراءة الشعر وما يشكل بعده الجمالي، ويتمثل ذلك في النبرة والإيقاع والتنغيم والقافية إضافة إلى أنواع أخرى عديدة من الصدى والتكرار. وتبعا لذلك يُثار هنا اعتراض مبدئي بدهي حول هذه الفكرة مفاده أن "لكل لغة موازينها الشعرية الخاصة وموسيقاها الخاصة أيضا. فمحاولة فرض الوزن الشعري في اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها هي محاولة للتكليف بما يستحيل."[3]

بالإضافة إلى ماسبق يقول 'جاك دريدا': " أن الجسد الكلامي لا يسمح بأن يُترجم ولا بأن يُنقل إلى لغة أخرى، لأن ذلك ما ستتخلى عنه الترجمة، فالتخلي عن الجسد هو بمثابة الطاقة الأساسية للترجمة..."

> « Un corps verbal ne se laisse pas traduire ou transporter dans une autre langue. Il est cela même que la traduction laisse tomber. Laisser tomber le corps, telle est même l'énergie essentielle de la traduction.»[4]

❖ يجب إذن أن نكف عن اعتبار الحرف والمعنى مرتبطين لأن ذلك يعني استحالة الترجمة، ونتيجة لذلك قد يُطرح السؤال التالي: ألا يجب تبعا لهذه الحالة أن نكتفي بترجمة "الشعر الغير مقفى" كقصائد 'شكسبير' (Shakespeare) أو 'آرثر رامبو' (Arthur Rimbaud)، وندع جانبا الشعر الموزون مادام مُتعذرا المحافظة على شكله الصوتي؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول أن مشكلة استحالة ترجمة الشعر لا تقتصر فقط على مشكلة المحافظة على المستوى الصوتي للشكل، فحتى لو تركنا التنميقات الشكلية جانبا كالوزن والقافية والتي نلتقطها بحاسة السمع فنطرب لها، فإن مشكلة تعذر الشعر عن الترجمة ستبقى مطروحة ذلك أن "تطليق القافية

---

[1] جون كوين: بناء لغة الشعر. ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش. كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1990. ص: 45.
[2] مرجري بولتون، محاولة اقتراب من الشعر. في كتاب: اللغة الفنية. تعريب وتقديم: د. محمد حسن عبد الله. دار المعارف، القاهرة. ص: 37.
[3] محمد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأدب العربي. دار ومطابع المستقبل، القاهرة، 1986. ص: 120.
[4] Jacques Derrida. L'écriture et la différence. Collection « Tel Quel», Aux Editions du Seuil, Paris. 1967. P. 312.

التي نقطفها دانية في الشعر الموزون عند رؤوس الأماليد، يفرض في الشعر الحرّ الأصيل وجود قوافٍ تتجاوب داخل البيت الواحد بشكل نلتقطه بحدسنا أكثر مما نلتقطه بحسنا.»[1]

تحيلنا لفظة 'الحدس' التي وردت في المقولة السابقة مباشرة إلى المستوى الثاني للشكل الفني للشعر، الذي نُطلق عليه 'مرجري بولتون' تسمية "الشكل الذهني"[2] أو الشكل العقلي، وهو باختصار ما يجعل الشعر قابلا – حتى وإن بدت ألفاظه سهلة وبسيطة- لأن يكون محسوسا، وهو ما يُمكن أن نُعبر عنه بـالشاعرية، أي تلك اللغة الداخلية التي تعطي للشعر طاقته الحية، وهو ما يُميز بشكل عام الشعر الحديث الذي لم يعد حسب وجهة نظر الناقد الفرنسي 'رولان بارت' *:

« La Poésie n'est plus alors une Prose décorée d'ornements ou amputée de libertés. Elle est une qualité irréductible et sans hérédité. Elle n'est plus attribut, elle est substance et, par conséquent, elle peut très bien renoncer aux signes, car elle porte sa nature en elle, et n'a que faire de signaler à l'extérieur son identité: »[3]

" لم يَعد الشعر إذن، نثرا مُنمقا بالزخارف أو مبتور الحريات، لقد غدا نوعية لا يُمكن اختزالها وبلا ميراث، لم يعُد عَرَضًا بل جوهرًا. ونتيجة لذلك، فإنه يستطيع الاستغناء عن العلامات، لأنه يحمل طبيعته داخل ذاته، ولا حاجة به للإعلان عن هويته." (ترجمتي) *

❖ والسؤال الثاني الذي يطرح نفسه بشدة هو: ألا يُمكننا على الأقل أن ننقل هذه التجربة الداخلية الجوانية التي عاشها الشاعر والتي عبر عنها في لغته، وأن نقول تبعا لذلك أنها قابلة للتفسير والترجمة؟ يجيبنا 'جون كوين' عن هذا السؤال قائلا:

" لكن القضية الرئيسية تكمن في أننا حتى لو اعترفنا بأن تفسير الشعر ممكن، وقلنا إذن إن "ص" تحمل معادلا مقبولا لـ "س" فإن هذه المقولة تعارضها حقيقة أخرى. فإذا كانت "س"

---

[1] **رواد طربية: الترجمة الشعرية. مجلة الآداب والترجمة. العدد الأول. لبنان، 1996. ص: 29.**
[2] **مرجري بولتون، محاولة اقتراب من الشعر. نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.**
* رولان بارت (12 نوفمبر 1915 – 25 مارس 1980) منظر أدبي و ناقد وسيميائي فرنسي.
[3] **Roland Barthes. Le degré zéro de l'écriture; suivi de Nouveaux essais critiques. Éd. du Seuil, 1972, Collection : Points : Essais. P. 36.**
* (الجَوْهَر) (Substance) عند الفلاسفة هو الموجود القائم بنفسه حادثا كان أو قديما، ويُقابله (العَرَضْ) (Attribut) والذي يَدُلُّ عندهم على ما لا يَقوم بذاته وهو الحالُّ في الموضوع، ومن هذا المُنطلق جاءت ترجمتي.

مقولة شعرية فإن "ص" لم تعد كذلك، وخلال الحركة من الأولى إلى الثانية، فإن المعنى من خلال مفهومه، قد يبقى، لكن الشاعرية تختفي في الطريق."[1]

لطالما توحد الشعراء بلغاتهم إلى حد التماهي، فوُصفت اللغة البرتغالية بلغة 'بيسوا' (Pessoa) ، واللغة الألمانية بلغة "غوته" « Goethe » واللغة الإنجليزية بلغة "شكسبير" « Shakespeare »، واللغة العربية بـلغة "المتنبي"، ذلك لأن هؤلاء الشعراء استطاعوا الارتقاء بلغاتهم وساهموا في تأسيسها عبر إبداعاتهم، تلك الإبداعات التي أضحت بعد فناء هؤلاء الشعراء بمثابة مراجع تستزيد منها شعوبهم، فالشاعر كالفيلسوف بالنسبة لـ' مارتن هايدغر'، لأنه يخلق لغته الخاصة به ويؤسسها وذلك بإعطاء لغته دلالات جديدة سرعان ما يتبناها أفراد شعبه أو قراؤه :

" وفي الشعر، كما في الفلسفة تُستنطق الأشياء من جديد، ويُعاد خلق العالم بالأسماء والكلمات، أو بالفكر والمفهوم. فالشاعر والفيلسوف كلاهما يسعى إلى الاستنطاق وإعادة الخلق والإنتاج، كل على طريقته: الأول يُجدد نحو الكلام وأسلوبه، والثاني بنية الفهم وطريقته." [2]

من الصعب علينا وفق هذه الرؤية أن نقبض على المعاني التي تقبع في قلب الشاعر، ذلك أن كل محاولة لترجمة قصيدة من القصائد لا تعدو كونها مجرد محاولة لاقتباس بعض الشرر من تلك اللغة المتقدة التي تتغذى من لهبها الخاص، فالمعنى هنا يسكن الكلمة ذاتها ولا يريد أن يبرحها، عكس اللغة الوصفية التقريرية التي يخرج فيها المعنى من الكلمة ولا يُريد أن يعود إليها، ونتيجة لذلك يصدر 'جون كوين' ما يشبه الحكم النهائي قائلا:

" فالقصيدة لغة وهي إذن تعني شيئا، والدال ليس له هدف إلا أن يقودنا إلى المدلول، وكل شاعرية في الدوال تقع في اللامعقول لأنها تسلب الرمز من مكونه الأساسي، ومع ذلك فإن هذه البدهية للدخول إلى اللغة تجد نفسها في مأزق، لأن معيار المعنى هو القول بإمكانية ترجمته إلى صيغة أخرى، واللغة الشعرية تنفر في وقت واحد من الترجمة والهيمنة الذهنية."[3]

---

[1] جون كوين: اللغة العليا، النظرية الشعرية. ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش. المجلس الأعلى للثقافة، طبعة ثانية، 2000. ص: 136.
[2] إبراهيم أحمد: أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر. منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2008. ص: 104-105.
[3] نفس المرجع السابق. ص: 134.

سواء تعلق الأمر بالنصوص الأدبية أو الشعرية، فإن ما يُعد مقبولا ومُستساغا إن لم نقل خارقا للعادة في ثقافة ما قد تكون ثقافة أخرى في غنى عنه وتعتبره سخيفا، وهو ما عبرت عنه الدكتورة الجزائرية 'إنعام بيوض' بقولها:

"إن العقبة الكأداء التي تقف أمام ترجمة أية قصيدة من لغة إلى أخرى تتمثل في أن الصور الشعرية قد يكون لها رنين وإيحاء مختلفان من لغة إلى أخرى، فما يُعتبر عميقا ومُبتكرا في لغة ما قد يبدو سخيفا وسطحيا في لغة أخرى تبعا لطبيعة الأجواء اللسانية والثقافية والحضارية التي تلف كلتا اللغتين. وحين تفقد القصيدة – من جراء الترجمة- موسيقيتها ومزاياها العروضية والبلاغية فإنها تفقد الكثير..."[1]

ويرى اللغوي 'كلود حجاج'، أن الحل الوحيد الذي قد يلجأ إليه مترجم الشعر، في نهاية المطاف، هو إضافة الحواشي والتعليقات، حتى يعوض الخسارة في الترجمة:

" تشمل الترجمة، تلك الممارسة الجسورة والمتهورة، حتى النصوص الشعرية التي تعتبر أحيانا أكثر الأسرار تعذرا على النقل في كل لسان، والتي لا يتميز نصها الأصلي، المشحون بتعبيرية خاصة، لصوت متفرد، بالشفافية دوما، وتشترط الترجمة الشعرية، بعض المقدمات: فبالإضافة إلى الإتقان التام للسانين، وهو شرط لازم للترجمة بشكل عام، والدقة المتناهية، لا بد أن يكون المترجم شاعرا وأن يكون لصوته، وعلى سلمه الموسيقي الخاص، القدرة التعبيرية نفسها التي للصوت الأول. وإذا لم يتوافر ذلك، لا يبقى للمترجم سوى اللجوء إلى الحيلة التي غالبا ما نجد أنفسنا أمامها: إنها جمع ما تعذر على الترجمة استعادته وما تقوله القصيدة في حواش أسفل الصفحة المطبوعة." [2]

ثم يضيف مجددا، اللغوي 'كلود حجاج': " وعلى الرغم من هذه العقبات ما يزال هناك، واليوم كما الأمس، من يترجم النصوص الشعرية، وتستطيع الفرنسية، على سبيل المثال، نقل نصوص شعرية إليها

---

[1] **إنعام بيوض: الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول. دار الفارابي، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 2003. ص: 54.**
[2] **كلود حجاج. نفس المرجع. ص: 63.**

حتى من ألسنة شديدة البعد عنها كالعبرية والعربية والصينية واليابانية والهنغارية والمالغاشية والفارسية."[1]

3 - العوامل الخارج نصية وتحكمها في إمكانية الترجمة:

حينما يكون القارئ أمام نص أجنبي، عليه أن يضع في الحسبان أن جملة من العوامل قد ساهمت، ولعبت دورا هاما في ترجمة النص الذي هو الآن بين يديه، هاته العوامل أو الظروف المتحكمة في عملية الترجمة ليس بالضرورة أن تكون متعلقة بالنص في حد ذاته. إنَّ العوامل أو الظروف الخارج نصية (Conditions extratextuelles)قد تم إغفالها كثيرا في التنظير للترجمة، إذ لم تحظى بالعناية اللازمة إلا من طرف قلة قليلة من المنظرين، الذين يعرفون مشاق الترجمة بوصفهم مترجمين هم أنفسهم.

الدكتور 'حسين خمري'، هو أستاذ، ومنظر له العديد من الأبحاث الجامعية، في مجالات مختلفة كالترجمة والشعر والأدب والسرديات، كما أصدر عددا هاما من الكتب، بالإضافة إلى كونه مترجما أيضا، إذ أوكلت له مهمة ترجمة العديد من الكتب الهامة، وهو الأمر الذي سمح له بمناقشة مشكلة 'قابلية الترجمة وعدم قابلية الترجمة' من منظور مختلف بصفته خبيرا بهذا المجال، فهو يرى أن النقاش أو الجدل الذي ساد حول مسألة 'قابلية أو عدم قابلية الترجمة'،قد سار باتجاه أرضيات وعرة وغير معروفة، صارفا انتباه كل من يقرأ أو يحاول أن يدرس المزيد عن حقل الترجمة، عن المشاكل الأساسية و الحقيقية المرتبطة بهذا الميدان، وذلك لتغطية عيوب عملية الترجمة.

> « Le débat sur la traduisibilité et l'intraduisibilité déplace le problème sur des terrains inconnus et détourne l'attention du lecteur des problèmes fondamentaux pour cacher les failles de la pratique traductionnelle. »[2]

يؤكد 'الدكتور حسين خمري'، أنه من غير المعقول أن نعتبر أن نصا ما غير قابل للترجمة كليّة، يجب أن نكون جديين في تناولنا لهذه المسألة، قد يتعثر المترجم ويجد صعوبات، ولكن مرد ذلك قد يعود إما لأن النص غامض في حد ذاته، أو لافتقار المترجم للمهارات اللغوية والمعارف الموسوعية والتوثيقية اللازمة.

---

[1] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**

[2] **Hocine Khemri. Op. Cit. P. 131.**

نفس النص الذي قد يجده هذا المترجم غير قابل للترجمة، قد يجده مترجم آخر في المتناول، ولا يحتوي على أي عائق في الترجمة، باختصار قد يجده قابلا للترجمة.

> « Soyons sérieux, on ne peut pas dire qu'un texte, dans sa totalité, est intraduisible, il y'a peut être des zones textuelles sur lesquels le traducteur peut butter, soit parce que le texte est lui même ambigu, soit ses connaissances linguistiques ou encyclopédiques sont insuffisantes [….] Le même texte qu'un traducteur trouve intraduisible, un autre traducteur peut le trouver traduisible. »[1]

فرضية أخرى يضيفها 'الدكتور حسين خمري' لما سبق ذكره، وتتعلق هذه الأخيرة بظروف عمل المترجم، إذ قد يؤدي الاكتئاب أو الإرهاق نتيجة العمل المتواصل أو الظروف الصحية السيئة، إلى إضعاف قدرات المترجم.

> « Une autre hypothèse peut être avancée, c'est en travaillant, et dans des situations diverses, les compétences du traducteur peuvent être affaiblies par le travail, le stress ou pour des raisons de santé. »[2]

إن الظروف القانونية قد تقف حجر عثرة أمام ترجمة كتاب ما، ففي حال لم تحصل دار النشر على إذن من المالك القانوني للكتاب، فإن مصير هذا الكتاب هو أن لا يُترجم. على سبيل المثال لا الحصر، أصبح كتاب 'كفاحي' لـ'أدولف هيتلر' غير قابل للترجمة لأن مالك حقوق نشر هذا الكتاب، أبى بشكل دوري السماح بترجمة هذا الكتاب، و يتعلق الأمر بـمقاطعة 'بافاريا' الألمانية التي تعد صاحبة هذه الحق.

> « Adolf Hitler's *Mein Kampf* has become untranslatable because the current copyright holder, the German State of Bavaria, routinely refuses permission. »[1]

---

[1] **Ibidem.**
[2] **Ibidem.**

يشير الباحث 'مايكل كرونين' إلى أهمية الأدوات في الترجمة سواء في العهود القديمة أو العصر الحالي، إن أدوات الترجمة في العهود الأقدم، بالنسبة إليه، ليست مجرد الأشياء المادية التي تسمح بأن يكون اقتفاء آثار الكلمات ممكنا على الدوام، ولكنها منتجات ذلك الاقتفاء التي ستساعد المترجمين بدورها في تنفيذ مهامهم، ونعني بذلك جداول الكلمات، والمعاجم والقواميس، والترجمات السابقة، والموارد المادية التي سيحشدها المترجمون لتسهيل الترجمات التي يقومون بها أو لتحسينها. لقد كان للترجمة منذ القديم علاقة ضمنية متميزة بأدوات الخط اليدوي، كأدوات الكتابة في فجر التاريخ، وأدوات الطباعة ابتداءً من عصر النهضة، والأدوات الإلكترونية في عصرنا الحالي. ويرى 'مايكل كرونين' أن الترجمة بدون أدوات لا توجد ببساطة.

> « The tools of translation in earlier periods are not only the material objects that allow words to be permanently traced but they are the products of those tracings which in turn will assist translators in their tasks, by this we mean the lists, the lexicons, the dictionaries, the previous translations, the material resources that will be marshaled by translators to facilitate or improve the translations they produce. Translation without tools simply does not exist. » [2]

يذكر الباحث 'ديمتري غوتاس'، أن أحد أهم نتائج الفتوحات العربية وأحد أهم العوامل التي ساهمت في نشر العلم وازدهار حركة الترجمة عند العرب، تمثل في دخول تقنية صناعة الورق إلى الإمبراطورية الإسلامية، عبر أسرى المعارك الصينيين عام 134 هجرية، الموافق لـ 751 ميلادي، وسرعان ما عوض الورق كافة الأدوات التي كانت تستعمل في الكتابة سابقا، وذلك خلال أوائل العصر العباسي، تقنية صناعة الورق، أصبحت تحظى برعاية الحكام والولاة، وتجدر الإشارة إلى أن أنواع الورق التي كان يتم إنتاجها في تلك الفترة، كانت تحمل أسماء أهم الراعين لحركة الترجمة في ذلك الوقت، فقد كان هناك ورق يسمى 'الجعفري'، نسبة إلى المترجم 'جعفر البرمكي'، بالإضافة إلى أسماء أخرى مثل 'طلحي'، و'الطاهري'، اللذان يحملان اسم اثنين من العشيرة الطاهرية.

---

[1] **Routledge Encyclopedia of Translation Studies (Second edition). Mona Baker, Gabriela Saldanha. Routledge, 2009. P. 302.**

[2] **Michael Cronin. Translation and Globalization. Op. Cit. P. 24.**

« It is interesting to note that the various kinds of paper that were developed during that time bear the names of some prominent patrons of the translation movement: Ga'fari, named after Ga'far al-Barmaki, and talhi and tahiri, after two members of the tahirid clan. »[1]

إن شبكة الإنترنت هي الأخرى لها دور فاعل في ميدان الترجمة، فالمترجم الذي ليس لديه اتصال بشبكة الإنترنت، يعد في وقتنا هذا معزولا، لقد أصبح العمل حاليا، متوفرا عبر هذه الشبكة، التي سمحت باختراق الحدود. كما أن إرسال الوثائق للترجمة، بسرعة عبر الشبكة غير مكلف، سواء أكان مقر المتلقي في أقصى أرجاء الكرة الأرضية، أو بجانب مكتبك.

« The Internet has made it possible to break through theses borders. Via the Internet, it is equally fast and cheap to send documents or translation to the most remote part of the planet and to the company next door. »[2]

لقد أضحى العمل عبر الإنترنت، يجلب المزيد من المترجمين الجدد والزبائن يوما بعد يوم، ولولا شبكة الإنترنت لبقيت الكثير من النصوص بدون ترجمة.

بالإضافة إلى العوامل السابقة، فإن هناك جملة من العوامل الخارجية الأخرى التي تكون عادة السبب المباشر في إمكانية ترجمة بعض النصوص وترك بعضها الآخر. أولا: هناك أصحاب دور النشر، الذين يقررون دوما أي النصوص سيترجم، ولأي جمهور بالتحديد. ثانيا: هناك أيضا القراء الذين يؤثرون بدورهم، وبطريقة ما في القرارات التي يتخذها أصحاب دور النشر، لو أخذنا القراء العرب كعينة نموذجية، نجد أنهم يفضلون بشكل أكبر قراءة كل ما يأتي من خارج العالم العربي، حتى وإن تعلق الأمر بكاتب عربي يكتب بلغة غير عربية، ينطبق ذلك على كتاب، مثل: الفلسطيني 'إدوارد سعيد'، الجزائري 'محمد أركون'، أو المغربي 'عبد الله العروي'، هذا الأخير يقول عن كتابه 'الإيديولوجيا':

---

[1] Dimitri Gutas. Greek Thought, Arabic Culture: The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early 'Abbasaid Society (2nd-4th/5th-10th c.). Routledge, 2012. P. 11.
[2] Ibid. P. 46.

"في الوقت نفسه وصلت رسالتان من بيروت تحملان الطلب نفسه: الترخيص بنقل الإيديولوجيا إلى العربية، ماذا كان يكون رد القارئ المشرقي لو ألفت الكتاب أصلا بالعربية، كما كانت نيتي أول الأمر؟ الإهمال بدون شك. كل اتصال بيننا - المغاربة أو العرب المسلمين- يمر عن طريق الغرب، كما هو حال الأوروبيين اليوم بالنسبة لأمريكا. هذا هو مؤدى الكتاب في الواقع." [1]

ثالثا: اختلاف التقليد الأدبي السائد في ثقافة النص الأصلي عن التقليد الأدبي السائد في ثقافة النص الهدف، قد يكون سببا في عدم ترجمة كتب ثقافة النص الأصلي، فالكتب الصادرة في البلاد العربية مثلا، قليلا ما تترجم في بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية، والعكس صحيح، فكل ما يأتي من كتب إنجليزية، سرعان ما تتلقفه دور النشر العربية.

رابعا: تلعب الأسر اللغوية دورا هاما أيضا في اختيار الترجمات، فقد تؤثر سلبا أو إيجابا في عملية اختيار النصوص القابلة للترجمة، فقد يفضل ناشر فرنسي مثلا ترجمة روايات كتبت باللغة الإسبانية أو الإيطالية، وذلك لقرب هاتين اللغتين من الفرنسية وتوفر المترجمين لأداء ذلك العمل. خامسا: شهرة أدب معين تتحكم هي الأخرى في عملية انتقاء النصوص، إن كل ما تصدره سوق الكتب الأمريكية على سبيل المثال لا الحصر، يتم ترجمته عبر أنحاء العالم، دون استثناء.

[1] **عبد السلام بنعبد العالي. في الترجمة. ترجمة: كمال التومي، قدم له وراجع الترجمة: عبد الفتاح كيليطو. دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، 2006. ص: 61.**

خاتمة الفصل الثاني:

الملاحظ من خلال هذا الفصل الثاني، أن الأفكار التي تم تناولها قد تباينت من حيث درجة البساطة أو الصعوبة، ففي القديم، كانت وجهات النظر حول مسألة 'قابلية الترجمة أو عدم قابلية الترجمة'، بسيطة في الغالب، وليست بنفس حدة أفكار، عصر الأنوار، أو الحقبة الرومنطيقية، وفترة القرن العشرين.

لكن أهم ما ورد في الفصل الثاني، والذي شكل امتدادا لما ورد في الفصل الأول، هو أن العوامل الخارج نصية، هي الفاعلة والمتحكمة، في إمكانية الترجمة أو عدمها، وإن كانت بعض النظريات حول اللغة أو الترجمة، قد أوغلت في طرق وعرة، لا يسع للباحث المبتدئ في ميدان الترجمة، أن يستوعبها بسهولة، فإن موضوع العوامل الخارج نصية، وتحكم هذه الأخيرة في عملية الترجمة، أقرب للحقيقة التي يعيشها المترجمون في الواقع، من تلك الأفكار الفلسفية واللغوية، التي وإن كان بعضها مثمرا، فإن بعضها الآخر لا يعدو كونه مجرد محاولات هادفة، لتفسير أو فهم بعض المواضيع، التي حيرت الفلاسفة واللغويين، ولا يلمسها المترجمون في واقعهم اليومي، ولا يقرؤون عنها إلا في الكتب، أو المجلات العلمية الأكثر تخصصا.

إن العوامل الخارج نصية لم تحظى بالاهتمام المطلوب، في الدراسات المتعلقة بالترجمة، ولذلك فقد حاولنا، أن ندرجها في هذا البحث، حتى تعم الفائدة التي نرجوها، كما نرجو أيضا أن تكون موضوعا لأبحاث أخرى.

في الأخير ينبغي القول أن الترجمة: "هي ذلك الوجه الآخر المسكين، للنسيج المطرز (بحسب سرفانتس Cervanets)، وتلك اليوطوبيا (بحسب أورتيغا إي غاسيت Ortega y Gasset)، أم أنها على العكس، ذلك السعي المحق والعنيد حتى آفاق مالا يترجم (بحسب غوته Goethe)؟، ومن يود نفي أي صفة معيارية عنها، بحجة أننا نترجم دوما بشكل بائس، عليه مع ذلك القبول بأن أي نص بلسان ما –لأننا نترجم نصوصا لا ألسنة – قابل للترجمة إلى نص بلسان آخر بصورة تقريبية أو تامة." [1]

[1] **كلود حجاج. نفس المرجع السابق. ص : 62.**

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية

الفصل الثالث:

المقامات الأدبية.

مدخل إلى الفصل الثالث:

بقيت جوانب مشرقة كثيرة من أدبنا العربي الرائع تستدعي منا البحث والاستقصاء، ولعل أهم تلك الجوانب ما نحن بصدد تسليط الضوء عليه في هذا البحث الأكاديمي، الذي سنتناول فيه ما يعرف في الأدب العربي عموما بـ'النثر الفني'، ولكي نكون أكثر تحديدا موضوع 'المقامات الأدبية'.

إن 'فن المقامة' ظاهرة أدبية لم تلقى الاهتمام اللازم والكافي من متحدثي لغة الضاد عموما، ومن أهل الاختصاص من أكاديميين وباحثين في أسرار اللغة العربية وأدبها بشكل خاص، الذين انصرف معظمهم إلى دراسة فنون أخرى وتناول مواضيع 'كالشعر العربي' أو 'أدب الحديث النبوي' أو 'النحو' أكثر مما عداها، في الوقت الذي أهملوا فيه إلى حد كبير دراسة 'فن المقامة' بالرغم من أن ابتكارها تزامن مع أهم فترة من فترات الحضارة الإسلامية.

لقد تزامن ابتكار المقامات مع بلوغ الدولة الإسلامية أوج عزها، والإشارة تعود هنا إلى 'مقامات الهمذاني' الذي أنشأ هذا الفن الأدبي في القرن الرابع الهجري، كما أن هذا الفن الأدبي الفريد كان شاهدا أيضا على بداية انحطاط الدولة الإسلامية، التي ما فتئت تتراجع إلى الخلف حتى أيامنا هذه، والإشارة هنا تعود إلى 'مقامات الحريري' (القرن الخامس الهجري)، الذي رفع المقامات وأخذها إلى مستوى أعلى لا يمكن مضاهاته. لقد كتب 'الحريري' مقاماته وكان شاهدا على بداية النهاية، لقد رأى بقلب تملؤه الحسرة سقوط أولى المدن العربية الإسلامية الواحدة تلو الأخرى في يد الصليبيين، وهنا بالذات يكمن العنصر الذي يبعث على دهشة كل من يحاول أن يبحث في هذا اللون الأدبي، وهو قلة الدراسات الجادة والشاملة إن لم نقل انعدامها. وعن هذا الموضوع يقول الدكتور 'عباس مصطفى الصالحي': " ...فإن 'فن المقامة' ظاهرة أدبية صحية لم تنل الاهتمام الكافي، من حيث الأخذ الجاد لمدلولاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل السياسية بوجه عام، فليس من قبيل المصادفة أن يواكب ابتكار المقامة ازدهار الثقافة العربية في القرن الرابع وأن تعاصر انتقال السلطة إلى الأجانب."[1]

[1] د. عباس مصطفى الصالحي. فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي. الموسوعة الصغيرة (147). دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، 1984. ص: 5.

من جانبه يضيف الدكتور 'مصطفى هدارة' قائلا: " بيد أن كل الدراسات التي تناولت المقامة، كانت بحق (...) في جملتها غير مقنعة، وأغلبها محاولات سريعة للتعريف بأعلام هذا الفن، وكانت تنقصها عناصر مهمة في البحث العلمي الجاد، أهمها دقة الاستقصاء، والشمول، والعمق، واستكشاف المجهول."[1]

إن مجمل الآراء السائدة حول هذا الفن الأدبي بقيت إلى حد بعيد دون المستوى الذي يجعل الباحث الأكاديمي يطمئن إلى التسليم بها، لقد بقيت هذه الآراء قاصرة على الزخارف البلاغية والتهويلات اللفظية، وقليلة هي البحوث والكتب التي تناولت التعريف ببطل المقامة وراويها كنموذجين للكدية والاحتيال، واعتبارهما مثالين أو نموذجين عن بداية تردي الأوضاع واختلال القيم الاجتماعية في ذلك العصر، أما ما تعلق بترجمة المقامات إلى اللغات الأجنبية فيكاد ينعدم البحث في هذا المجال بشكل كلي.

> " ظلت السرديات العربية فترة طويلة من الزمن حبيسة نظرة ضيقة تحيل على الإغراب اللفظي والزخارف البلاغية والصنعة الثقيلة، وقد قادت محاولات تثبيت هذا النسق إلى صدوف القارئ والناقد عن الاقتراب من ذلك الإرث السردي بهدف الاستمتاع القرائي، أو لأجل الدرس والنقد."[2]

سأحاول إذا في هذا الفصل أن أدرس فن المقامة، مبتدئا بجذوره العربية الأصيلة، محاولا الإجابة عن بعض الأسئلة الكلاسيكية من قبيل من هو صاحب الفضل في نشأة المقامات؟ مستأنسا بآراء الباحثين والدارسين في هذا المجال.

1- تعريف المقامــة:

تم صقل فن المقامة العربية في العصر العباسي، على يد بديع الزمان الهمذاني، (توفي 398 هجري – 1008 ميلادي)، فقد كانت المقامة مجرد لفظة تصف، مجلسا فيه شيء من المسرحة، يضم راوية، واقفا ومجموعة من المستمعين الجالسين. وقد عرف الدكتور 'إحسان عباس' المقامة، فيقول إنها:

> "قطعة نثرية مسجوعة قصيرة الفقرات، ذات طول معين، لا تتجاوز في طولها مقام واعظ، يتحدث إلى جمهوره، وفي الغالب، يكون البطل فيها متنكر، فهي تقع بين عقد وحل، قصيري

---

[1] د. مصطفى هدارة. تقديــم. في: نشأة المقامة في الأدب العربي. الدكتور: حسن عباس. دار المعارف. ص: ب.
[2] د. خالد بن محمد الجديع. الدراسات السردية الجديدة، قراءة المقامة أنموذجا. مركز بحوث كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية. (دراسة علمية محكمة) 1428 هـ-2007م. ص: 7.

الأمد، ويكون الحل، إشباعا للتشويق، ويصبح الانكشاف مدعاة للارتياح. وسبيلا إلى طمأنينة النفس."[1]

أما الدكتور 'محمد عبيد الله' فيعرف فن المقامة كالآتي:

" فن المقامة، فن مديني قَصصي، يتعرّض للقطاع الهامشي عبر شخصية البطل المحتال الذكي، ويعرض للطبقات الاجتماعية الناشئة في المدينة العربية في كثير من الأحيان، إنه هامشيٌ بالنظر إلى موضوعه، لكن من ناحية اللغة، هناك عنايةٌ وصلت حدود مضاهاة الشعر في قوافيه وجُمَله المتوازنة، كأنه تنافُس السرد مع الشعر، ومحاولةٌ تحقيق المركزية السرديّة عبر الفعل اللغوي، وفي ظنّي أنّ الحمولة اللغوية المعبأة بالبديع والتزويق اللغوي تحمل مياسمَ دفاعيةً وخطواتٍ وقائيةً، لاتّقاء أذى الشعر والمتحمّسين له، وللدفاع عن مشروعية السرد (بإحالاتِه المختلفة إلى المناطق المعتمة أو المخبأة) أمام الثقافة العالمة (المركزية)."[2]

2- مؤلف المقامات:

إن الاهتمام الأدبي الذي حظيت به مقامات 'الهمذاني'، كان أكثر ينصب على المسألة المتعلقة بأصل هذه المقامات، هل كان 'بديع الزمان الهمذاني' حقا هو المبدع لهذا النوع من الأدب الذي يسمى 'مقامات'؟ وإذا لم يكن 'الهمذاني' هو مبدع هذا الشكل الفني الأدبي، فذلك يدعو حتما إلى التساؤل عن مصادر إلهامه ومن سبقه في هذا النوع الأدبي. كما لا يجب أن يفوتنا أيضا أنَّ بعض الباحثين والدارسين لاحظوا أيضا أن بعض مقامات 'الهمذاني' تحتوي جاذبية أدبية، على الرغم من انعدام البحث في ماهية طبيعة هذه الجاذبية.

« Much of the scholarly attention paid to the Maqamat of Al-Hamadhani has been devoted to the question of origin. Was Badi' az-Zaman the originator of the maqamat genre? Some scholars have also

[1] **إحسان عباس. ملامح يونانية في الأدب العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977. ص: 165 – 166.**
[2] **محمد عبيد الله. السرد العربي القديم من الهامش إلى المركز. في: ملتقى السرد، أوراق مختارة من ملتقى السرد العربي، تحرير وتقديم ومراجعة: د. محمد عبيد الله.رابطة الكتاب الأردنيين، الطبعة الأولى، 2011. ص: 92.**

noted the fact that some of the maqamas possess literary appeal, though without investigating the exact nature of this appeal." [1]

من المعروف عند عموم متكلمي لغة الضاد، أن 'بديع الزمان الهمذاني' هو الأديب الذي صاغ المقامات في شكلها النهائي، وهو الشكل المعروف لدينا، وقد جاءت تلك المقامات التي أنشأها 'الهمذاني' بمثابة حصيلة تجارب متنوعة ومتواصلة بالإضافة إلى كونها نتاج تبلور أنواع أدبية كثيرة في قالب سردي واحد. إلا أن بعضا من الأدباء و الباحثين، سواء من القدماء أو المحدثين، كانوا قد أشاروا إلى أديب آخر، كان حسبهم المنشئ الأول لأدب 'المقامات' وهو 'ابن دريد'، ذلك أن كل من يتناول بالدراسة 'فن المقامة' فإنه حتما سيتساءل عن أول منشئ لفن المقامات عند العرب.

" لم يذكر الهمذاني، ولا الثعالبي، بصدد المقامة شكلا قد يكون سابقا عليها. هذه القضية ليست هينة، يتكون أحيانا لدينا انطباع بأن المقامة، يوما من الأيام، انبثقت بشكلها النهائي من رأس مؤلفها. لكن الحصري كان له رأي مخالف. إذ يقول إن ما سبب للهمذاني تأليف مقاماته، هو اطلاعه على 'أربعين حديثا' لابن دريد (المتوفى عام 321 – 933) ... إن كل الذين درسوا المقامة قديما وحديثان يحسون بالحاجة إلى إرجاعها لنص آخرز أو يذكرون بصددها، وفي عجالة، نصوصا أخرى، حتى وإن ظهر أن هذه الأخيرة، هي في النهاية، مثل الأربعين." [2]

أما الباحثة العربية والبروفيسورة في جامعة 'إنديانا' (Indiana) الأمريكية، 'فدوى مالطي دوغلاس'، فترى أن المقامات هي أوضح الأنواع وأكثرها تحديدا وتميزا بين كافة أنواع الكتابة النثرية في القرون الوسطى، وحقيقة أن هذه المقامات قد وُجدت من لا شيء على يد 'الهمذاني' قد اجتذبت اهتمام النقاد الأدبيين لفترة طويلة، سواء من القروسطيين (الأدباء الذين عاشوا في القرون الوسطى) أو المحدثين.

« The *Maqamat are probably the most* clearly delimited and distinct of all medieval Arabic prose genres. Their apparent virtual creation

---

[1] Fedwa Malti-Douglas. Power, Marginality, and the Body in Medieval Islam. Volume 723 de Variorum collected studies series. University of Michigan. Ashgate, 2001. P. 415.

[2] عبد الفتاح كيليطو. المقامات: السرد والأنساق الثقافية. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. الطبعة الثانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. 2001. ص: 90 – 91.

ex-nihilo by al-Hamadhani has long attracted the interest of literary critics, both medieval and modern." [1]

يشير معظم مؤرخي الأدب في كتبهم إلى رأي أورده 'أبي إسحق الحصري' (المتوفى عام 453 هجري) في كتابه الذائع الصيت (زهر الآداب)، ففي معرض ترجمته لسيرة حياة 'بديع الزمان الهمذاني'، أشار 'الحصري' إلى كون 'بديع الزمان الهمذاني' كان قد عارض 'ابن دريد الأزدي' (المتوفى عام 321 هجرية) في أحاديثه الأربعين بقوله:

" ولما كان أبا بكر بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب أربعين حديثا، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، واستنتجها من معدن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض عجمية، وألفاظ حوشية، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجبها الأسماع، وتوسع فيها، إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية، تذوب ظرفا وتقطر حسنا، ولا مناسبة بين المقامتين لفظا ومعنى وعطف مساجلتها، ووقف مناقلتها بين رجلين، سمى أحدها 'عيسى بن هشام'، والآخر 'أبا الفتح الاسكندري'، وجعلهما يتهاديان الدر، ويتنافثان السحر."

إن كتاب (زهر الآداب) لـ'الحصري'، هو عبارة عن مُؤَلَّف أدبي يجمع بين دفتيه مجموعة واسعة وكبيرة من مختارات الأدب العربي القديم، إن هذه " النصوص المختارة هي تلك التي اعتبرها الإجماع مرجعية وجديرة لذلك بأن تُدوَّن وتُدرَّس وتُكرَّرَ."[2]

لقد قاد كلام 'الحصري'، بعض الأدباء المعاصرين سواء العرب منهم أو الأجانب، إلى أن يطلقوا حكما نهائيا عن مبتكر 'المقامات'، إذ ذهب كل من الأديب العربي 'زكي مبارك' (مابين أعوام 1931 – 1934 ميلادي) والباحث المستشرق 'مرغليوث' (عام 1927 ميلادي)، إلى حد اعتبار 'ابن دريد' هو مبتكر فن المقامة بدلا من 'الهمذاني' وذلك استنادا لما أورده الحصري في كتابه (زهر الآداب).

« Al-Husri's assertion that al-Hamdani wrote his maqamat upon the inspiration of Ibn Durayd's Arb'una Haditan ("Forty Tales") provoked what today seems a rather naïve scholarly debate on the question of

[1] **Ibidem.**

[2] **نفس المصدر السابق. ص: 89.**

whether al-Hamadani or Ibn Durayd is the initiator of the maqama. Margoliouth (1927) and Mubarak (1931 -1934) claimed that, in light of al-Husri's statement, Ibn Durayd should be credited with the title "originator of the maqama", rather than al-Hamadani." [1]

أما الباحث والأديب العربي 'زكي مبارك' فيقول في كتابه:

" وقد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة 321 ."[2]

يرى الدكتور 'زكي مبارك'، أن الاختلاف في التسمية (أحاديث – مقامات)، هو الذي جعل جل الباحثين والأدباء يخطئون في التقدير، ويعتبرون 'الهمذاني' هو المبتكر الأول للمقامات، ثم يضيف قائلا: " وعندي أن من أسباب غفلة مؤرخي الآداب عن كشف هذا الخطأ أن ابن دريد سمى قصصه (أحاديث) في حين أن بديع الزمان سمى قصصه مقامات."[3] إن هذه النقطة بالذات كانت قد أحدثت حسب تعبير 'بيستون' *"زوبعة من الجدل"* بين الأديبين 'زكي مبارك' و' مصطفى صادق الرافعي'، تابع أطواره قراء مجلة 'المقتطف' عام 1930 ميلادي.

« Beeston refers to the « flurry of controversy" between Zaki Mubarak and Mustafa Sadiq ar-Rafi'I over the question of al-Hamadani's 'invention'of the genre."[4]

لكننا إذا ما تأملنا جيدا نص 'الحصري' الذي ورد آنفا، نجد هذا النص لا يحتمل استنتاج الدكتور 'زكي مبارك'، فـ'الحصري' قد حدد بشكل جيد الفرق قائلا أن 'ابن دريد' كان قد (أغرب أربعين حديثا) أما الهمذاني فقد (عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية) "بل نجد على العكس، أن الحصري عرّفنا المقامات بتلقائية توحي أنه وقر في أذهان أدباء القرن الرابع والخامس فكرة ابتكار الهمذاني لفن المقامات."[5]

---

[1] Rina Drory. Models and Contacts: Arabic Literature and Its Impact on Medieval Jewish Culture. Volume 25 de Brill's series in Jewish studies / Brill's series in Jewish studies. BRILL, 2000. P. 34.

[2] د. زكي مبارك. النثر الفني في القرن الرابع. الجزء الأول، الطبعة الثانية. مطبعة السعادة الكبرى بمصر، 1957م. ص: 198.

[3] نفس المصدر السابق. ص: 199.

[4] Fedwa Malti-Douglas. Op. Cit; P. 416.

[5] عباس مصطفى الصالحي. نفس المرجع السابق. ص : 16.

لعل من بين أهم الأدباء الذين عاشوا في تلك الفترة هو 'الحريري'، أشهر مؤلفي المقامات على الإطلاق، ذلك الأديب الذي جعل المقامات فنا مستكملا في الأدب العربي، حيث ذكر في مقدمة مقاماته قائلا عن أسبقية 'بديع الزمان الهمذاني' في فن المقامات:

"وبعد فإنه جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلامة همذان، رحمه الله تعالى، وعزا إلى أبي الفتح الاسكندري نشأتها، وإلى عيسى ابن هشام روايتها، وكلاهما مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، فأشار من إشارته حكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الضالع شأو الضليع (....) هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يري ذلك المسرى إلا بدلالته." [1]

لكن يبدو أن شهادة 'الحريري' لم تكن كافية لتقنع الباحث 'زكي مبارك'، الذي ذهب أبعد مما قد يكون متوقعا، قائلا:

"وفي رأيي أن الحريري هو الذي أذاع هذا الغلط، ثم آمن الناس بقوله، إذ كان من أشهر من أقبل الجمهور عليهم من كتاب المقامات، وهو في مقدمة مقاماته ينسب إلى بديع الزمان فضل السبق."[2]

لم يكتفي الباحث 'زكي مبارك' بنقد 'الحريري' بل ذهب إلى حد الإشارة إلى ضعف حجج خصومه الذين يعتقدون أن 'الهمذاني' هو مبتكر فن المقامة، مبينا أن ذلك يرجع لكونهم اكتفوا بالإشارة في براهينهم إلى أن 'الهمذاني' فارسي الأصل:

" وكان المعروف أن بديع الزمان الهمذاني هو أول من أنشأ فن المقامات، ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن، وإنما رأيت من يعلل

---

[1] أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي. شرح مقامات الحريري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الجزء الأول، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1992. ص: 21-32.

[2] د. زكي مبارك. نفس المصدر السابق. ص: 198.

سبقه بنزعته الفارسية، إذ كان الفرس فيما يظن بعض الناس أحرص من العرب على القصص وأعرف بموضوع الأحاديث. "[1]

وللبت في هذه القضية، يقول الدكتور 'زكي مبارك':

" ومع أن ابن دريد هو المبتكر لفن المقامات فإن عمل بديع الزمان في هذا الفن أقوى وأظهر، وطريقته في القصص تختلف عن طريقة ابن دريد، والذين كتبوا المقامات بعد ذلك لم يكن في أذهانهم غير فن بديع الزمان، فهو بذلك منشئ هذا الفن في اللغة العربية، ولم تسمّ تلك القصص بعد ذلك أحاديث كما سماها ابن دريد وإنما سميت مقامات كما سماها بديع الزمان."[2]

3 - سمات المقامة:

لمعرفة أهم مميزات 'المقامة' علينا الرجوع إلى ما كتبه كل من 'الحصري' و 'الثعالبي'، حينما تناولا موضوع مقامات بديع الزمان الهمذاني. إنّ قراءة متأنية للفقرتين التاليتين، ستسمح لنا بالتعرف على أهم المظاهر التي تميز المقامة عن غيرها من الأشكال الأدبية الاخرى.

يقول 'أبو منصور الثعالبي' في كتابه (يتيمة الدهر) عن مقامات 'الهمذاني'، أنّ هذا الأخير كان قد:

" أملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها، وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام، وجد يروق فيملك القلوب، وهزل يشوق فيسحر العقول."[3]

وهي المظاهر نفسها التي أشار إليها 'الحصري'، الذي قال أن 'الهمذاني' عارض أحاديث 'ابن دريد' بـــ:

" بأربعمائة قامة في الكدية، تذوب ظرفا وتقطر حسنا، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى، وعطف مساجلتها، ووقف مناقلتها، بين رجلين سمّى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر

---

[1] نفس المرجع السابق. نفس الصفحة.
[2] د. زكي مبارك. نفس المصدر السابق. ص: 201.
[3] نادر كاظم. المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث. الطبعة الأولى، 2003، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ص: 83.

أبا الفتح الاسكندري، وجعلهما يتهاديان الدر، ويتنافثان السحر، في معان تضحك الحزين، وتحرك الرصين، يتطلع منها كل طريفة ويوقف منها على كل لطيفة، وربما أفرد أحدهما بالحكاية، وخص أحدهما بالرواية."[1]

تتميز المقامة، حسب ما ورد في كتاب 'الثعالبي' و'الحصري' بثلاث مظاهر أو سمات أساسية: أولها، أناقة العبارة، والسجع، ومزج الجد بالهزل، وحول هذا الموضوع يقول الدكتور 'عبد المنعم خفاجة':

" ولعل البديع كان يقصد بمقاماته إلى كتابة نماذج أدبية في رائعة يحتذيها الشباب في دراستهم وحياتهم الأدبية، أو لعله كان يدل بما له من قدرة على صياغة الأساليب، واختيار الألفاظ، والتأنق في الجمل والتعبير، فألفاظها مختارة عذبة، ينر فيها الغريب، وأسلوبها منمق يكثر فيه السجع والجناس والطباق، وغيرها من ألوان البديع."[2]

وثاني هذه المظاهر التي يلاحظها الأديبان هو أن هذه المقامات تدور على الكُدْيَة أو الحيلة، وهذا المظهر نجده في أشعار 'العكبري' و'أبي دلف'، وكثير من النوادر التي وردت في كتب التراث، وعن هذا الموضوع يضيف الدكتور 'عبد المنعم خفاجة':

" وموضوع مقامات البديع هو الكدية، ولكنها تتناول مع ذلك نقد المجتمع الإسلامي في القرن الرابع، وتصوير حياة المسلمين الاجتماعية، والعقلية في هذا العهد، تصويرا رائعا."[3]

أما المظهر الأخير فيتمثل في 'نسبة الخطاب'[4] أو إسناد الخطاب، حيث يُصَدِّر 'الهمذاني'، مقاماته دوما بالإسناد على لسان الراوية قائلا: "حدثنا عيسى بنُ هشام"، أما الحريري فيصدر مقاماته دوما بـــ: "حدثنا الحارث ابن همام"، أما بطل مقامات 'الهمذاني' فيسمى بـــ'أبو الفتح الإسكندري'، وبطل مقامات 'الحريري' يسمى بـــ'أبو زيد السروجي'.، فالمقامة إذا نص لا يتكلم فيه المؤلف مباشرة، بل يُسند القول أو يفوّضه إلى شخصيات خيالية.

---

[1] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**
[2] **عبد المنعم خفاجة. أبو الفتح الإسكندري، بطل مقامات بديع الزمان وشخصيته المجهولة. الطبعة الأولى، 1996، مكتبة الأنجلو المصرية. ص: 26.**
[3] **نفس المصدر السابق. ص: 25.**
[4] **عبد الفتاح كيليطو. نفس المصدر السابق.. ص: 88.**

"الحوار في المقامة عند البديع يدور بين رجلين هما: عيسى ابن هشام الراوية، وأبو الفتح الإسكندري البطل، وكلاهما شخص خيالي مجهول كما يقول الحريري."[1]

إن السجع والأسلوب الأدبي الرفيع، وخطاب الكدية بالإضافة إلى نسبة الخطاب ليست مظاهر قاصرة على المقامات وحدها. إنها سمات ومظاهر يُمكن تتبعها في النصوص والنوادر التي نجدها في كتب التراث. إذن تكمن أصالة العمل الذي قام به الهمذاني فيما أسماه الباحث المغربي 'عبد الفتاح كيليطو' بخاصية "التجميع الموضوعاتي"، أي أن ورود هذه السمات مجتمعة أنتجت شكلا فنيا فريدا في الأدب العربي، ولكن الباحث 'عبد الفتاح كيليطو' سرعان ما يضيف قائلا، أنّ:

" لا واحد من هذه المظاهر (أناقة وسمو الأسلوب، الكدية، نسبة الخطاب) خاص بالمقامات، أيُقال إنه قد تولدت من اجتماعها 'الظاهرة الجديدة'؟ ستكون هذه في رأينا خلاصة سابقة لأوانها، إضافة إلى كونها من السهولة بمكان." [2]

حتى تصبح المقامة مقامة، يجب حسب الباحث 'عبد الفتاح كيليطو' أن تتوفر سمة رابعة لم يُعرها الأدباء الكثير من الاهتمام، على الرغم من أهميتها، حيث يقول:

" سلف أن رأينا أن الثعالبي والحصري، باعتبارهما قارئين، قد أبرزا ثلاثة مظاهر في المقامات: الأسلوب الرفيع والأنيق، موضوع الكدية، نسبة الخطاب. سيتفق الجميع معنا أن لا واحد من هذه العناصر، إذا اعتبرناه على حدة، خاص بالمقامة. لكن يوجد مظهر رابع لم يصفاه، رغم كونه واضحا في تكراره. تكفي قراءة المقامات الأولى لإدراك أن الأفعال السردية تتبع في كل واحدة منها، تسلسلا ثابتا. ويوجه المقامات الأخرى توقع، يخيب أحيانا بعودة هذا التسلسل ذاته. هذه البنية السردية بالذات هي ما لا نجده، على الأقل حرفيا، في النصوص السابقة على نصوص الهمذاني. عبثا نحاول، إذ يتكشف الترابط عن كونه مستحيلا أو غير ذي فائدة. صحيح أننا أحيانا نعثر مصادفة على نص يظهر أنه يمتلك بنية مشابهة لبنية المقامة، غير أنه وفي لحظة أو أخرى، يتجلى الاختلاف ونتخلى عن محاولة المقارنة.

---

[1] **عبد المنعم خفاجة. نفس المصدر السابق. ص: 25.**
[2] **نفس المرجع السابق. ص : 88 – 89.**

وإذا كان الحال هكذا، فنحن مجبرون على العتراف بأن من بين كل خصائص المقامة، تكون البنية السردية هي الأشد استعصاءا على الترابطات، وأنها، في النهاية، تُشكل الخصيصة الذاتية للمقامة."[1]

يرى 'عبد الفتاح كيليطو' أنّ العنصر أو المظهر الرابع الذي لا نجده في النصوص العربية القديمة التي جاءت قبل مقامات الهمذاني، والذي ميز هذه الأخيرة عن كل ما جاء قبلها من النصوص التراثية، هو عنصر "التعرُّف"[2]. ومعنى ذلك حسب الباحث 'عبد الفتاح كيليطو'، هو أنّ:

" الشكل السردي الذي يتكرر بوتيرة كبيرة في المقامات مرتبط بعودة الشخصيتين الرئيسيتين. مهما يكن تنكر أبي الفتح، ينتهي الراوي دائما بالتعرف عليه. يفترض التعرف عبورا من المعرفة الوهمية إلى معرفة حقيقية، لكن هذه الأخيرة ليست ممكنة إلا إذا كانت معرفة سابقة على التجربة التي جرى وصفها. وبعبارة أخرى، إذا تعرف الراوي على أبي الفتح، فلأنه كان يعرفه من قبل، وهذه المعرفة معروضة في مقامات عديدة." [3]

إذن، يُمكن القول أنّ من سمات المقامة، هي أن يُطل علينا كل من الراوي (عيسى بن هشام في مقامات الهمذاني، و الحارث ابن همام في مقامات الحريري) والشاطر – الجوّال - المكدي (أبو الفتح الإسكندري في مقامات الهمذاني، وأبو زيد السروجي في مقامات الحريري)، بشكل منتظم أو يكاد يكون منتظم في جميع المقامات، وأن يتعرف الراوي على الشاطر-الجوال- المكدي في نهاية كل مقامة ويكشف حيلته وينزع عنه قناعه الذي كان يتخفى وراءه، رغم تقلب هذا الأخير وتلونه في كل مقامة من المقامات، فالشخصية واحدة على الرغم من تقلبها المستمر، وتجددها الدائم من خلال استعمال أقنعة لا متناهية مصحوبة بتغير في الأمكنة.

" يمكن إذن لنصّ أن يكون له شكل مشابه لشكل مقامات الهمذاني، لكن غياب "التعرف" يُبعده عنها دون رجعة. إنه يبقى منغلقا على ذاته، بدون أي منظور نحو نصوص أخرى

---

[1] **نفس المرجع السابق. ص : 97.**
[2] **نفس المرجع السابق : ص: 102.**
[3] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**

تكرره مع تغييره. تتجمد الشخصية التي يصورها في مظهر وحيد، وكل رؤية انشطارية ومتلونة تبدو مستحيلة." [1]

من ناحية المواضيع، فإن المقامات لا تشبه فقط أحاديث 'ابن دريد'، لذلك فإنه من الواجب الإشارة إلى "تناص 'مقامات الهمذاني' مع عدة نصوص أخرى أولية سابقة عليه مثل: 'رسالة التوابع والزوابع' لابن شهيد الأندلسي'، ودعوة الأطباء لابن بطلان، وأحاديث ابن دريد. ولعل كتاب البخلاء يُعد أهمها لأنه تناول حيل اللصوص والمكدين."[2]

4- مبنى المقامــة:

تختلف المقامة عن الأشكال الأدبية العربية السابقة عليها من ناحية الشكل أيضا، ولعل أهم ما يلفت الانتباه في مبنى المقامة هو تزاوج الشعر والنثر وتجاورهما.

يرى 'عبد الفتاح كيليطو'، أن المقامة عبارة عن نوع 'جامع' (Metagenre)، لأنها حسبه:

" الإطار الذي يستوعب أنواعا عديدة، لا الأغراض الشعرية التقليدية فحسب، بل أيضا اللغز، المأدبة، والمناظرة، والموازنة، إلخ. المقامة إطار للشعر وللنثر في الآن ذاته. قبل القرن الرابع كان الشعر والنثر منفصلين تماما، كان الكتاب ينظمون أبياتا على سبيل المصادفة، لكن الشعراء يظلون عموما بمعزل عن النثر. في القرن الرابع، ابتعد "النثر الفني" الخاضع لقواعد مُعلنة وصارمة، عن الأشكال الأخرى للنثر واقترب من الشعر." [3]

إن الكيفية التي وظف فيها كل من الهمذاني والحريري، المقطعات الشعرية، تستوجب التأمل لأنها تشير إلى رغبة معمقة، في تبيان أن: "شعرية النثر موازية للشعر." يتبدى للقارئ من خلال المقاربة النصية، لمقامات الهمذاني والحريري، أن غاية المقطعات الشعرية، هي كشف غموض النثر أو النص المسجع، يسبغ الهمذاني صفة الكثافة، ويصبح بالتالي نصه المسجع، نصا مكثفا مفتوحا على الأسئلة. وربما يعود

---

[1] نفس المصدر السابق. ص: 103.

[2] إسراء الشمري. عالمية الذات المعرفية شخصية الشاطر الجوال المكدي نموذجا في مقامات الهمذاني، والرواية الشطارية، الإسبانية والفارسية. في : المشرق. جوان 2012. ص: 157.

[3] عبد الفتاح كيليطو. المقامات السرد والأنساق الثقافية. مرجع سابق. ص: 75.

السبب في ذلك إلى رغبة الهمذاني في تكيده أن مبنى المقامات ومعناها متوازيان في الأهمية، بحيث لا تطغى أهمية أحدهما على الآخر.

"أما النثر الذي يدعو إليه الهمذاني فصادر عن روح مخالفة ويجعل في المقدمة، بدل بلاغة الإقناع، شعرية الكتابة المرموزة. يتوارى المعنى في أفق عائم، ومن أجل الوصول إليه يجب اقتحام عقبة الغريب والمجازات. الكتابة المرموزة مبنية بشكل يحفر مسافة بين الدال والمدلول: لذا فهي بحاجة إلى عملية شاقة لفك الرموز."[1]

أصبحت المقامة إذن جنسا أدبيا قائما بحد ذاته، وموازيا للشعر، له مبنى ومعنى. ويُعنى مبنى المقامة بشعرية النثر، لأنه نص مسجع مليء بغريب الكلام ووحشيه. ذلك ما دفع بالباحث 'عبد الفتاح كيليطو' إلى اعتبار أن المقامة شكل وليست جنسا أدبيا، معبرا عن ذلك بقوله:

" أمن الممكن، انطلاقا الحديث عن المقامة، باعتبارها نوعا ذا سمات ثابتة؟ ما أبعد هذا عن اليقين....فمن مصلحة الباحث أن يرى في المقامة شكلا. فالقصيدة على أي حال، شكل لا نوع. ولم يمنعها ذلك من أن تتضمن أنواعا مختلفة." [2]

ففي القرن الرابع الهجري، ابتعد النثر الفني الخاضع لقواعد معلنة وصارمة عن الأشكال الأخرى للنثر، واقترب من الشعر. ويضيف 'كارل بروكلمان' أدب الرحلات،إلى النوع الجامع.

5 – مقامات الحريري:

قلة هي الكتب العربية التي نالت الاهتمام والحظوة اللتان نالهما كتاب *"المقامات'* للحريري، صاحب كتاب درة الغواص في أوهام الخواص (516 هجرية – 1122 ميلادية)، الذي أولى عنايته فيه بتنقية اللغة العربية مما شابها من أخطاء، تلك الأخطاء التي كان سادة القوم وعليتهم، في المجتمع العربي الإسلامي في ذلك العهد، يقعون فيها، وقد تتبع في ذلك مذهب اللغويين البصريين المتزمت في تنقية اللغة العربية.

---

[1] **إسراء الشمري. نفس المرجع سابق. ص: 153.**
[2] **ن عبد الفتاح كيليطو. نفس المرجع السابق. ص: 5.**

وإذا كان 'بديع الزمان الهمذاني'، هو أول من قصد فن المقامة ومهد السبيل لغيره، فإن مقاماته لم تنل تلك الشهرة والاهتمام المنقطع النظير الذي حظيت به مقامات 'الحريري'، فقد اشتهر 'الحريري' بأنه كان واسع الثقافة، وأحكم صياغة وتعبيرا. يقول 'ابن خلكان' في كتابه 'وفيات الأعيان' عن 'الحريري':

" كان الحريري أحد أئمة عصره ورزق الخطوة التامة في عمل المقامات. الشيء الذي يدل على أن الحريري تأثر بالهمذاني هو اختيار الراوي للكثير من مقاماته وهو الحارث بن همام والبطل أبو زيد السروجي وبذلك اتبع الهمذاني في إنشاء المقامات في الشكل والمضمون مع اختلافها من حيث الصياغة وطريقة إيرادها. قد سبق الحريري بهذا التقليد: شاعران هما أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدي (توفي 405 هجري) المعاصر لبديع الزمان وهو من أهم الشعراء عند سيف الدولة. وأبو القاسم بن محمد بن ناقيا (توفي 485 هجري) الذي لم تشتهر مقاماته بين الناس، لذلك يعد الحريري أول وأهم المتأثرين بالهمذاني."[1]

تختلف مقامات الحريري إذن من حيث الصياغة لا من حيث المضمون، ويمكن القول أن مقامات الحريري هي أشد تعقيدا من مقامات الهمذاني، وحول نفس الموضوع يضيف المستشرق 'كارل بروكلمان' قائلا:

" وقد بلغ النثر الفني ذروته في مقاماته. وتتصل هذه المقامات بمقامات الهمذاني. وهو يقص كالهمذاني مشاهدات أديب متجول هو أبو زيد السروجي، غير أنه لا يهتم في مقاماته تلك بأن يصور هذا الأديب الذي ابتدعه خياله تصويرا حيا ما أمكن، وأن يصف بيئته وصفا يبرزها ويقربها من القارئ، بقدر ما كان يهتم بتزيين أخباره بكل ما يمكن من الدقائق الإعرابية والمعجمية التي تقيد القارئ وتشغله أكثر من المضمون. هذه المقامات آخر ما تفتق عنه العقل العربي، فهي شيء يبهر العيون ويسحر العقول لحظة كالألعاب النارية الجميلة، غير أنها عقيمة عديمة الجدوى." [2]

تميز الحريري مقلد الهمذاني، بأنه كان أكثر تصنعا في مقاماته، حيث زاد على 'الهمذاني' في التأنق اللفظي، وفي تكلف جميع أنواع البديع، وأغرق في الموازنة والمقابلة والتضمين والاقتباس، إلى جانب

---

[1] هاشم الياسين مأمون المناع. النثر في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1999. ص: 156.
[2] كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. نقله إلى العربية: د. رمضان عبد التواب. الطبعة الثانية، دار المعارف. ص: 144.

تعمده إبراز مقدرته اللغوية والأدبية والتاريخية والفقهية، حتى اعتبره الكثير من النقاد ومن كتبوا في تاريخ الأدب العربي، وقالوا فيه أنه هو "الذي خلق من المقامات فنا مستكملا في الأدب العربي."[1]

كان أسلوب مقامات الحريري المسجوع، والذي يرسف في أغلال الصنعة البديعية مما باعد بينه وبين كثير من الأدباء، الذين خفي عنهم مغزاها الاجتماعي، ووصفها الإبداعي لعصر مضطرب ومتناقض من عصور التاريخ العربي الإسلامي.

> " وقد حققت المقامةُ بعض النجاح في هذي السبيل، ولكن التورطَ في الدفاع عبر الإيغال في التزويق اللغوي، لم يكن الحلّ الأمثل، ولعلّ الشرط اللغوي، الذي صاحب المقامة، هو الذي أوقفَ هذا الشكل المميزَ عن التطور، وكبّله بقيود من باب (لزوم ما لا يلزم) وقد منعته تلك القيود من التطور الطبيعي، و أوصلته بعدَ بديع الزمان والحريري إلى قوالب لفظيّة مفرغة من المضمون الأساس في النص السردي."[2]

وقد وصم بعض الأدباء العرب، مثل 'أحمد أمين' و 'سلامة موسى'، أنّ مقامات الحريري بما لا تستحق، مدعيا أن هذه المقامات لا تعدو كونها مجرد أدب مكر واحتيال، يصطنع بطله 'ابو زيد السروجي' جميع المهن والحرف ليسلب الناس أموالهم، فـــ: " هو مرة قراد يسير بقرده ليجمع الناس في حلقات فيضحكهم ويأخذ من أكياسهم، وهو مرة واعظ محترف يلج المساجد لتدمع عينه ويرتل آيات الذكر ورقائق الوعظ وسير الصحابة ويتحدث عن مشاهد يوم القيامة وأهوال الجحيم لتعطف عليه القلوب فيرجع مليء الوطاب بالدوانق والدراهم، وهو مرة ثالثة ينحط غلى دركات وبيئة فيسرق اكفان الموتى ويُجمل خادمه ليوقع في حبه المتهورين ويتخذ الفصاحة وسيلة هذا الكسب الذميم."[3]

وإذا كان العرب قد حكموا على مقامات الحريري بالانحطاط الخلقي والخروج بالحق عن طريقه القويم، فإن المستشرق الفرنسي 'إرنست رينان' قد دافع عن الحريري، قائلا أنه: " من الواجب علينا أن نتأمل كيف قاد الحريري شحاذه في خمسين موقفا مختلفا بقوة اختراع عجيبة ودقة تأمل في الأخلاق والعادات لنعلم المهارة والغرابة التي تنطوي عليها فكرة المقامات"، ويشير 'رينان' إلى عمل 'بلزاك' مقارنا إياه بما قام به الحريري، قائلا: "لقد أرادوا أن يضعوا للقرن التاسع عشر مهزلة بشرية، فلم يعرفوا كيف يضعونها

---

[1] مركز الإنماء القومي. مقامات أبي محمد الحريري. في : مجلة الاستشراق. المجلد الرابع، بغداد 1990. ص: 185.
[2] نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.
[3] محمد رجب البيومي. الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير. جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. 1980. ص: 128.

في قالب مقبول في حين حقق الحريري هذه الفكرة للمجتمع الإسلامي في القرن الثاني عشر، أما بلزاك فقد نقصته شخصية أبي زيد التي لا تكاد تلمسها حتى تفلت، والتي تمثل في تهكم أدوارا مختلفة فلا يتبين في الحارث بن همام من خلال هذا كله إلا زي ممثل هزلي عجيب."

«Il faut voir avec quelle admirable variété d'invention et quelle finesse d'observation morale Hariri a su conduire ainsi son mendiant à travers cinquante situations diverses pour comprendre ce qu'il y a d'ingénieux et d'original dans le plan des Séances. Cette comédie humaine qu'on avait entrevue pour la société du dix-neuvième siècle, et qu'on n'aurait certainement pas su renfermer dans un cadre acceptable, Hariri l'a réalisée pour la société musulmane du douzième siècle. Son insaisissable héros, traversant avec ironie tous les rôles, et ne laissant voir chaque fois sous son masque à l'œil pénétrant de Hareth qu'un comédien habile et goguenard. »[1]

6 - انتقال المقامة إلى الآداب الأخرى:

إن فن المقامة الذي نشأ في القرن الرابع الهجري، لم يبق محصورا في مجاله الجغرافي الذي ظهر فيه، وإنما تسرب إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، والأوروبية أيضا عبر حركة التحقيق والترجمة التي تولى المستشرقون القيام بها.

لقد انتقلت المقامة إلى جميع الأقطار الإسلامية بفضل مقلدي 'الهمذاني' و'الحريري'، الذين برعوا في كتابة المقامات، هؤلاء المقلدون كانوا كثيرين، لقد كانوا من أهل فارس والعراق والشام واليمن والحجاز ومصر والمغرب العربي والأندلس.

[1] **Ernest Renan. Essais De Morale et de Critique. Troisième Edition, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires-Editeurs, 1881. P. 293 - 294.**

" وقد لاحظنا أن كل ما كتب من المقامات يرجع في جوهره إلى فن بديع الزمان، فالصورة واحدة من حيث السجع والازدواج، وطريقة القصص واحدة، والافتتان في الموضوعات هو كذلك من مبتكرات بديع الزمان، حتى الطريقة التعليمية التي عرفت في مقامات السيوطي وابن الجوزي والقلقشندي هي أيضا مما ابتكر بديع الزمان، والفرق يرجع إلى صور الثقافات في مختلف العصور، فبديع الزمان صوّر مشكلات عصره، والحريري مثّل معضلات زمانه، والسيوطي فصّل أوهام الناس وعلومهم في أيامه، وجاء محمد المويلحي في العصر الأخير فوضع كتابا في نقد الحياة الاجتماعية في مصر تأثر فيه بسجع بديع الزمان وحفظ من رسومه من اسم راويته عيسى بن هشام."[1]

كما أشرت آنفا، فقد تسربت المقامة إلى جميع أقطار العالم الإسلامي، والعالم الإسلامي يضم أكثر من لغة، وهكذا فقد انتقلت المقامات من العربية إلى الفارسية، بفضل 'القاضي حميد الدين أبو بكر بن عمر البلخي' الذي توفي عام 599 هجرية، وتتميز مقامات هذا الأخير باحتوائها على:

"مناظرات مختلفة بين الشباب والشيخوخة، وبين أهل السنة والشيعة، وبين الطبيب والمنجم، وفيها وصف للربيع والخريف، والحب والجنون، وفيها مناقشات فقهية وصوفية، وهي كالمقامات العربية تصاغ في قوالب فنية."[2]

كما دخل هذا الفن إلى اللغة العبرية، في الأندلس، بفضل اليهودي الرباني 'يهودا بن شلومو الحريزي'، الذي لم يكتفي فقط بترجمة مقامات الحريري إلى العبرية، وإنما أنشأ على نمطها خمسين مقامة سماها "سفر تحكموني"، ضمنها الكثير من آيات التوراة[3]، في محاولة منه لإثبات قدرة اللغة العبرية على مضاهاة اللغة العربية. كما انتقل فن المقامات أيضا إلى اللغة السريانية:

"فقد نظم أحد السريان من مدينة نصيبين خمسين قصيدة على نمط مقامات الحريري ضمنها جملة من العظات والأخلاق، في لغة مثقلة بالزخارف والتهاويل، ونشرها جبريل قرداحي في بيروت سنة 1899."[4]

---

[1] د. زكي مبارك. نفس المصدر السابق. ص: 202.
[2] نفس المرجع السابق. ص: 203.
[3] نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.
[4] نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

أما في أوروبا، فقد اهتم المستشرقون بمقامات الحريري، وعمدوا على تحقيقها، وترجمتها إلى مختلف اللغات الأوروبية، ولعل أولى المحاولات لترجمتها- هي محاولة 'غوليوس' (Golius)، الذي قام بترجمة المقامة الأولى لترجمتها عام 1656 ميلادي، إلى اللاتينية، ثم محاولة 'ألبرت شولتنز' (Albert Schultens)، عام 1731 ميلادي، الذي قام بترجمة المقامة الأولى والثانية والثالثة إلى جانب النص الأصلي العربي، ثم أضاف عام 1740 ميلادي ترجمة كل من المقامة الرابعة والخامسة والسادسة. تمت ترجمة 'شولتنز' من العربية إلى اللاتينية، وقد كان هذا الأخير ينوي ترجمة المقامات المتبقية، وقد قام بالتحضير لذلك، لكن هذه الترجمة لم تر النور. وقد قام 'رايسكه' (Reiske) عام 1737 ميلادي، بترجمة المقامة السادسة والعشرون من مقامات الحريري إلى اللاتينية وأرفقها بحواشي وتعليقات، بالإضافة إلى الأصل العربي، وقد طبعت هذه الترجمة في مدينة 'لايبتسيج' (Leipzig) الألمانية. وإلى اللغة اللاتينية دائما قام (أوري) (Ury) بترجمة المقامة الخمسون من مقامات الحريري عام 1774 ميلادي، وقد طبعت بأوكسفورد.

في عامي 1831 و 1832 ميلادي، قام 'تشارلز رودولف صامويل بايبر' (Charles Rodolphe-Samuel Peiper)، بترجمة باقي المقامات، ومن ضمنها المقامات الستة الأولى التي ترجمها 'تشولتنز'، إلى اللاتينية.

أما في ألمانيا، فقد قام 'فريدريش ريكرت' (Friedrisch Ruckert)، بترجمة كل المقامات عام 1826 ميلادي، وقد عنون ترجمته بـ'تحولات أبو زيد السروجي أو مقامات الحريري'، (die Verwandlungen des Abu-Said von Sarug, oder die Makamen des Hariri)

أما في بريطانيا' فقد اكتفى 'ليونارد تشابيلو' بترجمة المقامات الستة الأولى التي ترجمها 'شولتنز' إلى اللاتينية، وقد صدرت هذه الترجمة عام 1767 ميلادي في كامبريدج.

« La traduction latine de ‘Schultens’ fut rendue en anglais par Leonard ‘Chapellow’, et parut à Cambridge en 1767, sous le titre de ‘*Six*

assemblies or ingenious conversations of learned men among the Arabians'. »[1]

إذن يتعلق الأمر بترجمة لترجمة سابقة، أي من اللاتينية إلى الإنجليزية، فقد قام 'تشابيلو' بإعادة طبع الترجمة اللاتينية، التي تحتوي على النص العربي، ثم قام بترجمة المقامات الستة إلى الإنجليزية، اعتمادا على الترجمة اللاتينية، كما ترجم الشروحات التي أوردها 'تشولتنز' في ترجمته، وأضاف إليها شروحا وتعليقات أخرى لم ترد في الأصل اللاتيني، هذه الشروحات رغم كونها زائدة، إلا أنها لم تُفسد أو تُخلّ بالشروحات والتعليقات السابقة.

« Une réimpression des '*Six assemblies'*, publiées en arabe et en latin par 'Schultens', 1767. Aux notes données par ce premier éditeur sur ce piquant recueil de prose et de poésie, extrait du grand ouvrage de Hariri, 'Chapellow' en a joint d'entièrement nouvelles qui ne déparent point les anciennes. »[2]

في عام 1850 ميلادي، قام 'ثيودور بريستون' بترجمة العشرين مقامة الأولى إلى الإنجليزية، وقد عنونها كالتالي: (Makamat, or rhetorical anecdotes of Al Hariri of Basra, translated from the Original Arabic with annotations.) ثم قام 'توماس تشينري' (Thomas Chenery) بترجمة المقامات الستة والعشرون الأولى من مقامات الحريري عام 1867 ميلادي، وكان ينوي ترجمة المقامات المتبقية، لكن موته حال دون أن يتحقق ذلك. ولم يكتب للمقامات الباقية أن تترجم إلى الإنجليزية إلا بحلول عام 1898 ميلادي، من قبل الدكتور 'شتاينغاس' (Steingass).[3]

أما عن ترجمة المقامات إلى اللغة الفرنسية، فقد انكب عليها عدد كبير من المستشرقين، الذين اكتفى كل واحد منهم بترجمة جزء فقط من المقامات، ولم يُكتب لمقامات الحريري أن تترجم كلية.

---

[1] **Antoine Isaac Silvestre de Sacy, Joseph Toussaint Reinaud, Joseph Derenbourg. Séances de Hariri (Publiées en Arabe avec un Commentaire Choisi). Tome II, Deuxième Edition. Paris, Imprimerie Royale, 1853. P. 66 – 67.**

[2] **Joseph Fr. Michaud, Louis Gabriel Michaud. Biographie universelle (Michaud) ancienne et moderne ...Volume 7. Madame C. Desplaces, 1854. (Livre numérique Google). P. 495.**

[3] **O. Classe. Encyclopedia of Literary Translation Into English: A-L. Taylor & Francis, 2000. P. 913.**

قام 'فونتور دو بارادي' بترجمة المقامات عام 1795 ميلادي، ويتعلق الأمر بترجمته لمقامتين، فقد قام بترجمة المقامة العشرون، المعروفة بالمقامة 'الفارقية'، كما ترجم أيضا المقامة الخامسة والأربعون، والمعروفة بالمقامة 'الرملية'.

> « Une traduction française de la vingtième, faite par Venture, fut imprimée à Constantinople, dans le palais de la légation de France […] On trouvera une traduction française de la quarante - cinquième Macama, faite par Venture, dans le Magasin Encyclopédique, année 1795. »[1]

فقد قام المستشرق 'رزيفوسكي' بترجمة المقامة الثامنة، التي تُعرف بـــالمقامة 'المعرّية'، في مجلة 'مخزن الكنوز الشرقية' عام 1809 ميلادي، المجلد الأول. وقد جاءت الترجمة مرفوقة بالأصل العربي، الذي تم تحقيقه، ومقدمة للمستشرق 'لانغلس' (Langlès) الذي تعاون معه في عمله.

> « On trouve la huitième Macama en arabe, avec une traduction française de M. le comte W. de Rzewuski, dans le tome I des Mines de l'Orient. »[2]

أما المستشرق 'بيزاني' فقد اكتفى بترجمة المقامة الثانية عشرة، والتي تُعرف أيضا بـــ'الغوطية'. وقد نشرت ترجمة المستشرق 'بيزاني' في مجلة 'مخزن الكنوز المشرقية' (Mines de l'Orient)، المجلد الثاني، الصادرة في 'النمسا' عام 1811 ميلادي.

> « La douzième se trouve en arabe, avec une traduction française de M. Fréderic Pisani, dans le deuxième volume des Mines de l'Orient. »[3]

وفي عام 1812 ميلادي قام المستشرق الفرنسي بتحقيق وطبع ، "مقامات الحريري" لأول مرة على حسابه الخاص في المطبعة الإمبراطورية، وزودها بشرح باللغة العربية. ولا تزال هذه النشرة هي النشرة

---

[1] **Antoine Isaac Silvestre de Sacy, Joseph Toussaint Reinaud, Joseph Derenbourg. Séances de Hariri (Publiées en Arabe avec un Commentaire Choisi). Op. Cit. P. 67 - 68.**
[2] **Ibidem.**
[3] **Ibidem.**

الوحيدة لهذا الكتاب، أما فيما يخص الترجمة، فقد اكتفى هذا المستشرق بترجمة المقامتين 'السابعة' و'التاسعة' في كتابه الموجه لتعليم اللغة العربية (Chrestomathie Arabe).[1]

أما المستشرق الفرنسي 'غرانجريه دي لاغرانج' فقد ترجم أيضا المقامة الرابعة والثلاثون، التي تُعرف بالمقامة 'الزبيدية'، وقد أورد أيضا معها النص العربي الأصلي في مقابل ترجمته إلى الفرنسية، فيما يشبه ما يُسمى حاليا بالمؤلفات المرايا، وأرفقها بحواشي وتعليقات. نشرت هذه الترجمة في المجلة النمساوية (Mines de l'Orient)، المجلد الخامس، الصادرة عام 1814 ميلادي.

> « La trente-quatrième a paru dans le tome V des Mines de l'orient en arabe et en français, traduction de M. Grangeret de Lagrange, avec notes. »[2]

كما قام أيضا المستشرق 'مونك' (Munk) بإعادة إنتاج كل من المقامتين الأولى والثالثة باللغة الفرنسية في الجريدة الآسيوية، وكان ذلك في ديسمبر 1834 ميلادي، وقد تميز عمله بالملاحظات الأدبية التي وضعها هذا المستشرق في مقدمة ترجمته.[3]

كما قام مستشرق آخر وهو الفرنسي'غارسان دي تاسي'، بترجمة كل من المقامة الثالثة (أي: المقامة الدينارية)، وذلك في الجريدة الآسيوية الصادرة في أكتوبر، 1823 ميلادي، والمقامة السادسة، في نفس الجريدة وذلك في نوفمبر 1822 ميلادي.

> « M. Garcin de Tassy a publié en français la troisième Macama dans le journal asiatique d'octobre 1823, et la sixième, dans le même recueil, novembre 1822. »[4]

هذا المستشرق ترجم أيضا كل من المقامة الثانية عشرة، المعروفة بالمقامة (الدمشقية)، والتي صدرت في الجريدة الآسيوية (Journal Asiatique)، عام 1824 ميلادي. بالإضافة أيضا إلى كل من المقامة الثامنة عشرة، التي تعرف بالمقامة (السنجارية)، والمقامة الحادية والعشرون، التي تُعرف بالمقامة

---

[1] Ibid. P. 67.
[2] Ibid. P. 68.
[3] Ibidem.
[4] Antoine Isaac Silvestre de Sacy, Joseph Toussaint Reinaud, Joseph Derenbourg. Séances de Hariri (Publiées en Arabe avec un Commentaire Choisi). Op. Cit. P. 67.

(الرازية)، بالإضافة إلى المقامة الثاثة والعشرون، والتي تُعرف بالمقامة (الشعرية)، والمقامة الخامسة والعشرون، التي تُعرف بالمقامة (الكرجية)، بالإضافة أيضا إلى المقامة السابعة والعشرون، التي تُعرف بالمقامة (الوبرية)، وقد وضع لهذه الترجمات مقدمة قصيرة. صدرت هذه الترجمات في المجلة الشرقية و الجزائرية، في جزئها الثاني، عام 1853 ميلادي. (Revue Orientale et Algérienne, tome II, 1852.)

خاتمة الفصل الثالث:

لقد تبين لنا من خلال هذا الفصل، مدى الاهتمام والإقبال على مقامات الحريري من قبل الأوروبيين، وخاصة فئة المستشرقين، على الرغم من بعض الانتقادات التي وجهت لها داخل الوطن العربي، وبالرغم كذلك من أنها ليست قصصا بالمعنى المفهوم، وعنايتها الشديدة بالمحسنات البديعية والبلاغية اللفظية، التي تلتصق اشد الالتصاق باللغة العربية ذاتها ، وهو الأمر الذي يجعل من الصعب القيام بترجمتها إلى لغة أخرى، أو تذوقها في غير لغتها الأم، إلا أنها في نهاية الأمر قد ترجمت، وذلك على الرغم من اختلاف كبير جدا في الأذواق الأدبية، بين العرب و الاوروبيين.

إن العقيدة الفنية السائدة أو الشعرية، بالإضافة إلى الإيديولوجيا، تساهمان بشكل كبير في التأثير على فعل و حركة الترجمة، بل يُمكن عدّ تأثيرهما اكبر من أي تأثير آخر، وكما راينا في الفصل الثالث، فعلى الرغم من أن بعض العرب كانوا قد رأوا في المقامات، مثالا عن الانحطاط الأخلاقي، إلا انها قد قوبلت من طرف بعض المستشرقين في أوروبا بالقبول.

من خلال الفصل الثالث أيضا، تمكنا من معالجة أهم الأسئلة التي تطرح اثناء تناول موضوع فن المقامة بالدراسة، من قبيل: من هو مبتكر فن المقامة؟ ما هي سمات المقامة؟ مالذي يميز المقامة عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى على مستوى المبنى؟ وهي كلها أسئلة تتردد كلما كثيرا في عديد الدراسات، وقد حاولنا الإجابة عنها قدر المستطاع.

الفصل الرابع:

إستراتيجيات المستشرقين في الترجمة.

مقدمة الفصل الرابع:

سأحاول في هذا الفصل، أن أشير إلى دور العوامل الخارج نصية كالإيديولوجيا والعقيدة الفنية السائدة في التحكم في حركة الترجمة.

من المعروف أن الأدب العربي القديم، قد كان في فترة ما محل إقبال من قبل المستشرقين، الذي انكبوا بشكل لم يسبق له مثيل، على دراسة الأدب العربي واللغة العربية، لكن ذلك الإقبال لم يعد موجودا في عصرنا هذا، فما الذي حدث يا ترى؟

سأحاول أيضا أن أبين أن للمستشرقين طريقتهم الخاصة في الترجمة، في حقيقة الأمر لا يمكن أن نصف المستشرق بمجرد كونه مترجما فحسب، سيكون ذلك إجحافا في حقه، يتميز المستشرق بكونه ضليعا في اللغات الشرقية، وفي ميادين علمية كثيرة، كما أنه لا يكتفي بالترجمة فقط، وإنما يسعى للبحث والتنقيب عن الكنوز الأدبية في اللغة التي يدرسها، وذلك من اجل تحقيقها وطباعتها ونشرها، إنها يخرج النص إلى النور بعد أن تم نسيانه زمنا طويلا.

يعتمد المستشرقون على الترجمة الحرفية وعلى الحواشي، كيف لا والنصوص العربية القديمة تتطلب ذلك، إنها نصوص عصية على الفهم، حتى أبناء البلاد العربية من المتأدبين والمتمكنين من اللغة العربية يجدون أنفسهم بحاجة على شروحات تفسيرية وتوضيحية لفهم النص الكلاسيكي. فالمستشرق إذا يحاول دوما ترجمة النص الأصلي، وتزويده بشروح توضيحية، لأن هذه الترجمة موجهة أصلا لتعليم اللغة العربية، أو لتنشر في مجلات علمية خاصة.

1- انعدام التوافق بين نظامي الشِّعريتين الأوروبية والعربية:

يواجه المترجمون ودور النشر التي تُعنى بالترجمة بشكل دائم عقبة أساسية إذا ما أرادوا نقل النصوص الأدبية العربية، سواء أكانت اتباعية أو حديثة، إلى القراء في أوروبا والأمريكيتين. تتمثل هذه العقبة الكأداء في انعدام التوافق بين الشعريتين الأوروبية-الأمريكية والعربية، أي عدم قدرة المترجمين ودور النشر على إيجاد موقع مناسب للقصيدة العربية أو المقامات مثلا في الشعريتين الأوروبية والأمريكية، لأنهما تفتقران إلى هذين الشكلين الفنيين الذين وُجدا أساسا في الثقافة العربية. فالنص لا يصبح نصا إلا " إذا انضاف إلى المدلول اللغوي مدلول آخر، مدلول ثقافي يكوّن قيمة داخل الثقافة المعنية."[1]

إن ما أروم إثباته في هذا المبحث هو أن العوامل الخارج نصية « Conditions Extratextuelles» كالإيديولوجيا والشعرية (أي: العقيدة الفنية السائدة) هي التي تتحكم بشكل أكبر في جعل أي نصّ من النصوص قابلا أو غير قابل للترجمة، هذه الفكرة يختصرها المنظر في مجال دراسات الترجمة 'أندري لوفيفير' (André Lefevere) قائلا: " أنه يمكن على كافة مستويات عملية الترجمة إظهار أنه إذا ما دخلت الاعتبارات اللغوية في صراع مع الاعتبارات الإيديولوجية و / أو ذات الطبيعة الشعرية فإن الأخيرة تميل إلى الفوز."

> «…On every level of the translation process, it can be shown that, if linguistic considerations enter into conflict with considerations of an ideological and/or poetological nature, the latter tend to win out. »[2]

ويضيف 'أندري لوفيفير' حول نفس الفكرة، قائلا: "يصح القول إن الأدب المنتج في النظام الإسلامي هو أقل الآداب العظيمة في العالم توفرا للقراء في أوروبا والأمريكيتين. إن أي قارئ يدخل مكتبة محترمة يمكن أن يجد منتخبات تخص الأدبين الصيني والياباني، جنبا إلى جنب مع ترجمات حديثة نسبيا لأعمال مهمة منهما، يتوفر بعضها في طبعات ورقية الغلاف رخيصة الثمن، وبرغم غياب منتخبات شاملة تمثل الأدب الهندي فإن كلاسيكيات ذلك الأدب متوفرة هي الأخرى بمستوى يفوق كثيرا ما توفر من الأدب الإسلامي."

---

[1] **عبد الفتاح كيليطو. نفس المرجع السابق. ص: 17.**

[2] **André Lefevere. Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame. Routledge a member of the Taylor and Francis group, 1992. P. 39.**

« Of all the great literatures of the world, the literature produced the Islamic system is arguably the least available to readers in Europe and the Americas. Any reader walking into a decent bookstore is likely to find anthologies of Chinese and Japanese literature, as well as fairly recent translations of important works, some even in cheap paperback editions. While there seems to be no comprehensive anthology of Indian literature, particularly not the literature produced in Dravidian languages, the classics of that literature are also available to a much greater extent than those of Islamic literature. »[1]

في مـاهيـة الشِّعريـــة:

في البداية يجب الإشارة إلى أن المصطلح الأدبي 'الشّعرية' لا يُقصد به الشعر أو الشاعرية، ولهذا السبب ولكي يتسم هذا المبحث بالوضوح، يجب أولا وقبل كل شيء أن أوضح ماذا يُقصد عموما بمصطلح 'الشعرية' « poetics »، ولكي نفهمه ونفهم علاقته بـالترجمة، يتوجب علينا العودة إلى المُنظر في مجال دراسات الترجمة 'أندري لوفيفير'، هذا الأخير يرى أنه من الممكن القول أن 'الـشعرية' تتألف من مكونين: أحدهما عبارة عن ذلك المخزون من الوسائل الأدبية (وهو يستعمل هنا كلمة « devices » وهو مصطلح متعدد الأغراض يُستخدم في مجال الأدب لوصف أي تقنية أدبية تستعمل عن قصد بهدف تحقيق تأثير معين)، والأجناس، والموضوعات، والشخصيات، والأوضاع النموذجية، والرموز، ؛ والمكون الآخر مفهوم يتعلق بدور الأدب، ما هو وما يجب أن يكون عليه في النظام الاجتماعي إجمالا. إن الشعرية هي باختصار العقيدة الفنية السائدة في أدب ما.

« A poetics can be said to consist of two components : one is an inventory of literary devices, genres, motifs, prototypical characters and situations, and symbols; the other a concept of what the role of literature is, or should be' in the social system as a whole. » [2]

[1] **Ibid. P. 73.**
[2] **André Lefevere. Op. Cit. P. 26.**

إن الشعر والنثر العربيين هما ابنا نِظامهما اللغوي كما أنَّ موضوعات الأدب العربي ترتبط هي الأخرى ارتباطا وثيقا بالبيئة أو الفضاء الذي يعيش فيه كل من الكاتب أو الشاعر والقارئ، ولهذا السبب فمن الصعب أن تجد لها مكانة في الثقافات الأخرى وفي هذا الصدد يقول الباحث 'عبد الفتاح كيليطو':

" أول ما نلاحظ أنَّ كلاما ما لا يصير نصا إلا داخل ثقافة معينة. فعملية تحديد النص ينبغي أن تحترم وجهة نظر المُنتمين إلى ثقافة خاصة، لأن الكلام الذي تعتبره ثقافة ما نصًّا قد لا يعتبر نصا من طرف ثقافة أخرى، بل هذا ما يحدث في الغالب. في هذا الإطار أشار بعض السيميائيين إلى أنه من وجهة نظر ثقافة معينة تظهر الثقافات الأخرى كخليط من الظواهر العشوائية التي تتواجد دون رباط يجمع شتاتها ويجعل منها نظاما موحدا ومتلائم الأجزاء." [1]

من الاستشهاد السابق، يمكن الاستنتاج أنه يجب علينا أن نضع جانبا مصطلحات من قبيل 'الأمانة والخيانة'، إذا ما أردنا تناول الترجمة في نطاقها الأوسع، أي باعتبارها عملية نقل نصوص أدبية إبداعية من ثقافة إلى أخرى، ولكن ماذا يقصد 'أندري لوفيفير' بـ'الرموز' « Symbols »؟ للإجابة عن هذا السؤال، علينا أن نعود إلى ما قاله الفيلسوف الفرنسي 'بول ريكور' في كتابه 'نظرية التأويل':

"... تـفهم الشــعرية، إذا أخذنا هذا المصطلح بمعناه الواسع، الرموز على أنها الصور الفنية الأثيرة في قصيدة معينة، أو تلك الصور التي تُهيمن على أعمال مؤلف ما، أو مدرسة أدبية ما، أو بأنها الأشكال والمجازات المتكررة التي تتعرف فيها ثقافة بأسرها على ذاتها....."[2]

يتعرف القارئ العربي على ذاته بدرجة أولى من خلال الشعر العربي، ولذلك قيل أن "الشعر ديوان العرب"« (diwan) des Arabes ‘ la source référentielle ‘ » [3]، أي ذاكرتهم ومرجعهم الذي يعودون إليه ويتعرفون فيه على أنفسهم، لاشتماله على كل ما يتعلق بهم وباعتباره مصدرا من مصادر ضبط المعارف لديهم، ففي فترة من الفترات التاريخية، شُغِّلت القصيدة الشعرية كما هو معلوم لفهم بنية النص الديني القرآني، وذلك بهدف قهر الصعوبات اللغوية التي تطرحها قراءة القرآن، وحول هذا الموضوع يقول 'ابن قتيبة': " وللعرب الشعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا،

---

[1] عبد الفتاح كيليطو. الأدب والغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي. دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثالثة 2006. ص: 16.

[2] بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى. ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2006. ص: 94-95.

[3] Le Coran. Traduction nouvelle par: Cheikh Boubakeur Hamza. Tome I, ENAG Editions, Alger, Algérie, 1989. P. XXI.

ولآدابها حافظا، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديوانا، لا على الدهر، ولا يبيد على مرّ الزمان، وحرسه بالوزن والقوافي وحسن النظم, وجوّدة التحبير من التدليس والتغيير."[1]

يرى الفيلسوف الفرنسي 'جاك دريدا' في كتابه « Le monolinguisme de l'autre » أنَّ هناك شيئا يضيع دوما في الترجمة حتى ولو سلمنا بإمكانيتها، ويردف قائلا: " مع ذلك فإن كلمة 'غير قابل للترجمة' تبقى- وينبغي أن تبقى كما يوحي بذلك قانوني- بمثابة الاقتصاد الشعري لكل لسان [...] هناك حيث تُخفق ' كثرة' شكلية مُعطاة دائما في استعادة الحدث الفردي فيما هو أصيل، وبمعنى آخر محاولة حمله متى تم تسجيله على نسيان عدده وظله العروضي الخفي الذي يَمنحه طاقته. فالكلمة في مقابل الكلمة إذا ما أردنا قول ذلك، والمقطع اللفظي في مقابل مقطع لفظي آخر. إذ ذاك، وعندما نتراجع عن هذا التكافؤ الاقتصادي، والذي هو أصلا مستحيل التحقيق، يُمكننا أن نُترجم كل شيء لكن في إطار ترجمة جبانة بالمعنى الذي تحمله الكلمة 'ترجمة' ذاتها.

> « Mais ‘ intraduisible ’ demeure – doit rester, me dit ma loi – l’économie poétique de l’idiome […], là où une « quantité » formelle donnée échoue toujours à restituer l’événement singulier de l’original, c’est-à-dire à le faire oublier, une fois enregistré, à emporter son nombre, l’ombre prosodique de son quantum. Un mot pour un mot, si tu veux, syllabe par syllabe. Dès lors qu’on renonce à cette équivalence économique, d’ailleurs strictement impossible on peut tout traduire, mais dans une traduction lâche au sens lâche du mot ‘traduction’.» [2]

إن الاقتصاد الشعري للألسن الذي يتحدث عنه 'جاك دريدا'، والذي يُستعصى المحافظة عليه أثناء الترجمة، قد ورد بشكل متكرر وبتسميات وتشبيهات مختلفة في كتابات كل من تناول إشكالية ترجمة كلاسيكيات الأدب العربي إلى اللغات الأوروبية، وخاصة كتاب المقامات للحريري.

---

[1] **د. سامي مكي العاني: الإسلام والشعر. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1996. ص:8.**

[2] **Jacques Derrida. Le monolinguisme de l’autre, ou la prothèse d’origine. Éditions Galilée, 1996. Paris. P. 100-102.**

صعوبة المحافظة على الصور والأخيلة:

إن سمة الإيجاز والإحكام هي إحدى مميزات اللغة العربية الكلاسيكية، والتي تصفها الباحثة ' رجاء لحياني' بأنها "لغة مكثفة بدرجة عالية"[1] « a highly condensed medium. » بالمقارنة مع اللغة العربية الفصحى الحالية أو اللغات الغربية. ويقدم باحث آخر و هو (a. Jones) تشبيها من نوع خاص قائلا عن اللغة العربية الكلاسيكية أنها لغة "أدنوية من حيث الشكل" « minimalist in form »، ثم يُعقب شارحا بقوله: أن ما يتخذ في لغة 'شكسبير' شكل تداعٍ للأفكار (مناجاة النفس أو مونولوغ) يأتي في اللغة العربية في سطر واحد أو مصراع.

«What in Shakespeare would be a soliloquy is in Arabic a line or even a hemistich.»[2]

أما 'فيلشتنسكي' (Filshtinsky) فيدعم ما تم تناوله آنفا في بداية هذا المبحث، مُشيرا إلى أن السبب وراء إيجاز وإحكام اللغة العربية القديمة، هو أن الشعراء العرب يقومون باستبعاد كل ما يمكن أن يكمل به سامعوهم السياق بمساعدة مخيلتهم، هذا الأمر زود عالمهم (أي الشعراء) بخاصيتي الإيجاز والحركية، ومكَّن السامع من إدراك الصورة بسرعة وسهولة.

> «The poets discarded all that their hearers could supplement with the aid of their own imagination. This endowed their world with a concise, dynamic quality, and enabled the listener to perceive the image quickly and easily. »[3]

من الصعب إذن إعادة بعث المقامات والقصائد العربية، بما تحتويه من أمثال وحكم وسرد لأيام العرب وعاداتهم وتقاليدهم في الثقافة الغربية، وكما يقول السيميائيون: فـ 'الكلمات المكتوبة على الصفحة' لا تشكل 'عملا' شعريا مكتملا ومكتفيا بذاته. بل تشكل 'نصا' أو مخططا أو إطارا عاما لا يكتمل إلا بمشاركة فعالة من قارئ مُطلع على نوع المعلومات الصحيحة."[4] إنَّ النص كما يقول 'أومبرتو إيكو': "في حال

---

[1] **Raja Lahiani. Eastern Luminaries Disclosed to Western Eyes: A Critical Evaluation of the Translations of the Mu'allaqat Into English and French (1782 - 2000). Peter Lang, 2008. P. 26.**

[2] **Ibidem.**

[3] **Filshtinsky, I. M. Arabic Literature. Moscow, Nauta, 1966. P. 19.**

[4] **روبرت شولز: السيمياء والتأويل. ترجمة: سعيد الغانمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994. ص: 74.**

ظهوره من خلال سطحه (أو تجليه) اللساني يمثل سلسلة من الحيل التعبيرية التي ينبغي أن يُفعلها المُرسَلُ إليه."[1]

إذن، يمكن القول أنه لن يتأتى للقارئ تذوق النص الشعري أو النثري إلا إذا كان يشترك مع الشاعر أو الكاتب في نفس الخلفية الثقافية واللغوية، وهو ما سيخفى بالضرورة على القارئ الأجنبي،" وبذلك تأخذ اللغة في النص الشعري مفادها من خواص التركيب الذي تتشكل فيه، ومن الاستفادة من العناصر الخارجية التي تُعيد تشكيل المعنى كالرموز التاريخية والدينية، والاجتماعية، والثقافية، والأساطير، لتخرج بالدلالة نحو آفاق ومستويات أخرى يقصدها غالبا صانع اللغة ' الشاعر'. "[2]

إن التحدي الحقيقي الذي يواجه كل من يتصدى لترجمة هذه الأعمال، كما يراه الباحث 'توايتي': "يتمثل في ضرورة تقديم هذا الشعر بشكل يكون معه مفسرا لذاته إلى حد معقول بالنسبة للقارئ الإنجليزي، وذلك دون تفريط بالإيجاز والإحكام الذين يميزان الشعر الجاهلي".

> « ..to render this poetry in a form that is reasonably self-explanatory to the English reader while retaining the economy and compactness typical of pre-lslamic poetry. »[3]

إن ما يذكره الباحث 'توايتي' حول الشعر الجاهلي، ينطبق أيضا على المقامات بوصفها تمثل الشكل الأعلى من الأدب العربي الكلاسيكي.

إن خاصّيتيْ الإيجاز والإحكام تفرضان على المترجم اللجوء إما إلى الحشو الزائد، أو النثر التفسيري وهو ما يُفقِد الأعمال العربية الكلاسيكية كالمقامات أو القصائد جماليتها ويُضعفها، وبالنسبة لـ'أندري لوفيفير' فإن اللوم لا يقع على المترجم وحده، لكنه يقع أيضا على الفارق الكبير في ما يسميه بـ 'فضاءات الخطاب'، ويرى من جهة أخرى أنه ليس بإمكان القراء الغربيين، وهم لا يلامون في ذلك، إتمام السياق بالكثير اعتمادا على مخيلتهم.

---

[1] أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية. ترجمة: أنطوان أبوزيد. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1996. ص: 61.

[2] فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب. دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق، 2011. ص: 118- 119.

[3] Tuetey Charles, ed. and trans. Classical Arabic Poetry. London, Kegan Paul International, 1985. P. 8.

« The fault lies not only with the translator, but also with the wide divergence in Universes of Discourse: though no fault of their own, Western readers can supplement very little with the aid of their own imagination. »[1]

والنتيجة هي أن الصعوبة المعجمية يُمكن التغلب عليها في غالب الأحيان، ولكن ذلك لا يتم إلا على حساب خاصيتي الإيجاز والإحكام، والتي يؤدي التخلي عنها إلى إضعاف وإفقار المقامات، وبالتالي فإنه لا يجب علينا أن نلوم المترجمين الذين انكبوا على ترجمة الأعمال الكلاسيكية العربية .

ليس القارئ الغربي هو الوحيد أيضا الذي عليه أن يستعين بالشروح لفهم مقامات الحريري، فـ"القراء العرب يعلمون أنه لا يمكن، من دون شرح، التصدي لهذه النصوص (أي: مقامات الحريري) الحاشدة بالمهجور من الألفاظ وبالتلميحات العالمة، والعويصة بحيث يلزم، عند كل سطر، الرجوع إلى شروح. لا شك أن الأمر يتعلق بالكتاب الأشد وعورة؛ لذا تعددت شروحه؛ بل ربما كان الكتاب العربي الأكثر شروحا بعد القرآن. بالطبع لما نقرأه في ترجمة، فالعويص، المعجمي على الأقل، يتضاءل، بل يختفي، لأن الترجمة، في الواقع، هي تفسير وإيضاح."[2]

صعوبة المحافظة على المبنى والأسلوب:

إن الشعر والنثر العربيين هما ابنا نِظامهما اللغوي، أي ما أتاحته اللغة العربية لشعرائها وكتابها، والتي سمحت لهم بأن يُطوِّعوا الرموز اللغوية لصالحهم ويمنحوها تلك الشاعرية وذلك الإيقاع اللذان نحسّهما أثناء قراءتنا لأشعارهم أو مقاماتهم مثلا. فهاهي الكاتبة الألمانية ' سيغريد هونكه' (Sigrid Hunke)، تشير إلى أن اللغة العربية بطبيعتها تُسهل وتحث على الشعر، إنها لغة تحث على إنتاج شعر من نوع خاص، يتميز بكونه موزوناً ومُقفّى.

---

[1] **André Lefevere. Op. Cit. P. 86.**

[2] **عبد الفتاح كيليطو. من شرفة ابن رشد. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الأولى، 2009. ص: 40-39.**

« D'elle-même, en effet, la langue arabe incite à la poésie, et à une poésie de forme très caractéristique : par sa seule nature, elle tend vers le rythme et la rime.»[1]

المشكلة الرئيسية التي يواجهها المترجم في هذه الحالة تكمن في الوزن والقافية الموحدة، لأن محاولة الحفاظ أو التقيد بالوزن والإيقاع في الترجمة يكون ثمنها، كما يقول 'أندري لوفيفير'، استعصاء الفهم الجزئي أو الكلي لما يُـقال.

« Often achieved only at the price of near or complete lack of intelligibility. »[2]

هذا ما جعل أحد مترجمي مقامات الحريري، وهو 'راينولد نيكولسون'، يشير بشيء من الحسرة، وذلك في مقدمة كتابه الذي احتوى ترجمة لمختارات الأدب العربي القديم وبعض الأبيات الشعرية في مقامات الحريري، قائلا أنه قد قام من حين لآخر بنسخ القافية الموحدة للغنائيات الشرقية، لكن القيام بذلك في قصائد طويلة ليس بالأمر الهين ولا الجدير بالعناء.

« Now and then I have copied the monorhyme of Oriental odes, but it is not easy to do so in poems of any length, nor is it worth the trouble.»[3]

لكن النبرة تزداد حدة لدى المستشرق الفرنسي 'إرنست رينان' الذي يُعلق على الألعاب اللفظية والحذلقات اللغوية العسيرة وكافة ضروب الجناس والسجع، التي جاءت في مقامات ' الحريري'، قائلا: "أنه من الصعب تصور أية مشاق في التأليف كانت قد كلفتها هذه الحذلقات العسيرة، وإنه يصعب على الإنسان الجاد أن يرى كل هذه الجهود تُهدر عبثا كي لا يكون المرء سوى أضحوكة ومدعاة للسخرية."

---

[1] Sigrid Hunke. Le Soleil d'Allah Brille Sur l'Occident. Edition Albin Michel, 1997. P. 346.
[2] André Lefevere. Op. Cit. P. 85.
[3] Reynold A. Nicholson. Translations Of Eastern Poetry And Prose. Cambridge University Press, London, 1922. P. Viii.

« On a peine à se figurer quels immenses frais de composition ont du couter ces *difficiles bagatelles*, et c'est vraiment pour l'homme sérieux un très-pénible spectacle de voir tant d'efforts dépensé en pure perte pour n'être que ridicule. »[1]

لقد تجنب كل من قام بترجمة المقامات إلى اللغات الأوروبية التقيد بمبنى النص الأصلي وأسلوبه، لأن ذلك كان سيُخل حتما بالمعنى، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى ثلاثة مترجمين استثنائيين، الأول هو 'راينولد نيكولسون' الذي اكتفى بترجمة، أو إن صح القول قام بمحاكاة مقامتين فقط من مقامات الحريري إلى الإنجليزية، وذلك في كتابه الذي ضمّ مختارات من الأدب العربي، أما المترجم الثاني فهو المستشرق الألماني 'فريدريش ريكرت'*، الذي قال عنه المستشرق الفرنسي 'إرنست رينان': " لنضف إلى مجد الحريري أن مقاماته، المترجمة قافية بقافية وتورية بتورية من طرف شاعر من أشهر شعراء ألمانيا، وهو السيد 'فريدريش ريكرت'، تُقرأ باهتمام ولهفة واحتفاء في الضفة الأخرى لنهر الراين، مضيفا: إن لغتنا (يريد الفرنسية) جافة لا تلين لمثل هذه المحاولات، بل هي من شدة الصرامة بحيث أن محاولة كهذه لن تُقابل عندنا إلا بابتسامة تهكم وازدراء."

« Ajoutons à l'honneur de Hariri que ses Séances, traduites rime pour rime et calembour pour calembour par un des poètes les plus célèbres de l'Allemagne, M. Frédéric Rückert, sont lues avec intérêt et empressement au delà du Rhin. Notre langue est trop sévère pour qu'une semblable tentative pût être accueillie chez nous autrement que par le sourire. »[2]

لقد قوبلت ترجمة 'فريدريش' ريكرت' لمقامات الحريري، والتي حافظت على روح النص الأصلي وأسلوبه و بنيته الشكلية، وإن لم تُحافظ على حرفية الترجمة، لدى الشاعر والناقد الألماني 'لودفيج تيك'

---

[1] Ernest Renan. Essais De Morale et de Critique. Troisième Edition, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires-Editeurs, 1881. P. 299.

* فريدريش ريكرت « Friedrich Rückert »، شاعر ومستشرق وأستاذ جامعي ومترجم ألماني ولد في 16 ماي 1788 ميلادي، وتوفي عام 1866 ميلادي. هكذا يُنطق باللغة الألمانية 'فريدريش'، والملاحظ أن 'رينان' قد قام بتحريف أو بالأحرى تحويل اسم هذا المستشرق إلى' فريدريك' « Frédéric »، وهو المقابل الفرنسي لـ'فريدريش'.

[2] Ibid. P. 300.

« Ludwig Tieck »، الذي كان في تلك الفترة صاحب أعظم نفوذ في الميدان الأدبي بعد 'غوته'، بإعجاب كبير وينبغي الإشارة أيضا أنه:

"حين ظهرت طبعة الجزء الأول من ترجمته أرسل له المستشرق الفرنسي دي ساسي في 6 من مارس سنة 1827 خطابا يبين فيه تقديره وإعجابه بها ويقول:' سيشكر لك كل من يعرف الألمانية أنه لن يحتاج لدراسة العربية ليُكوّن فكرة واضحة عن كنه هذا الفن الشرقي الذي تقدمه."[1]

لكن التقيد بالمبنى والأسلوب والصياغة وترك المعنى جانبا لا يُسمى ترجمة وإنما محاكاة، والمقطع التالي يعضد ما تقدم ذكره من أن المقامات والقصائد هي نتاج ما أتاحته اللغة العربية لأبنائها:

" أما ريكرت نفسه فهو يوضح أن عمله هذا ليس ترجمة وإنما محاكاة وأنه يأمل أن يأتي اليوم الذي تترجم فيه الأعمال الشرقية العظيمة ترجمة أمينة إلى اللغة الألمانية، وأنه كان يشك في أن المقامات يمكن أن تترجم ترجمة أمينة ليس لصعوبة القالب الفني الذي مهد للتغلب عليه وليس لكثرة التفاصيل والاستطرادات التي أهملها أو بدلها أو غيرها، وإنما لأن لب هذه المقامات ومحورها، إنما هو اللغة، واللغة الأصلية ذاتها. وبدونها ينتفي ويصبح عدما."[2]

أما المستشرق الثالث الذي تقيد بمبنى وأسلوب مقامات الحريري في الصياغة، فهو الفرنسي 'سالومون مونك' « Salomon Munk»، متحديا في هذا الخصوص ما قاله 'رينان' من أن اللغة الفرنسية لا تقابل مثل هذه المحاولات إلا بابتسامة سخرية، وفي هذا الصدد يُضيف 'إرنست رينان' قائلا: " يُمكن مع ذلك أن نرى مُحاولة مسلية وطريفة جدا في هذا المنحى قام بها واحد من أمهر مستشرقينا، وهوالسيد: مونك."

« On peut voir cependant un essai très-curieux en ce sens, fait par un de nos plus habiles orientalists, M. Munk. »[3]

---

[1] **د. محمد عوني عبد الرؤوف. فريدريش ريكرت، عاشق الأدب العربي. مطبوعات الجمعية الأدبية المصرية، 1974. ص: 166.**
[2] **المصدر السابق. ص: 66 – 67.**
[3] **Ibidem.**

أما 'مونك' نفسه، فذكر أنه قد حاول أن يُقدم إلى القارئ الفرنسي عينة من أسلوب 'الحريري'، مُقتديا في ذلك بالترجمة العبرية التي قام بها الحبر اليهودي 'الحريزي'، وبترجمة المستشرق الألماني 'فريدريش ريكرت' التي عنونها هذا الأخـير بـــ 'تـحولات أبو زيد' « Verwandlungen des Abu-Seid »:

> «J'ai voulu essayer de donner au lecteur français un échantillon du style de Hariri, en suivant l'exemple donné par le rabbin Harizi, dans sa traduction hébraïque, et par M. Frédéric Rückert, dans ses Métamorphoses d'Abou-Zeid.»[1]

إن المستشرق الفرنسي 'مونك'، كان يعلم جيدا أن هناك نوعا من التطاول والمخاطرة (على حد تعبيره) في محاولته محاكاة العمل الأصلي، ولذلك فقد رأى ضرورة أن يلتمس من قارئه العفو مُسبقا، لأنه حاول استنبات وردة شرقية في تربة أوروبية (وهو تشبيه يذكرنا بما قاله الشاعر الألماني 'غوته' (Goethe) حول الترجمة في إحدى قصائده)*، كما أنه وصف 'الحريري' بالشاعر، مضيفا أن الأشكال التي ألبسها 'الحريري' لأعماله اللامعة، والتي لها رونق جميل في لغتها الأصلية، تبقى في نهاية الأمر غريبة جدا عن ذوق الفرنسيين وعاداتهم في الكتابة.

> « …car les formes dont ce poète a revêtu ses compositions spirituelles, et qui ont tant de charme dans la langue originale, ne sont que trop étrangères aux habitudes de notre goût, et j'ai besoin de réclamer l'indulgence du lecteur pour cette fleur orientale transplantée sur le sol européen. »[2]

---

[1] **M. Salomon Munk. Hariri (Séances), Essai d'une traduction précédé de quelques observations sur la poésie arabe. dans : Journal Asiatique, Recueil de Mémoires d'Extraits et de Notices, volume : 14. La Société Asiatique, Paris, Imprimerie Royale, décembre 1834. P. 554.**

* عنوان هذه القصيدة هو: 'رمز' « Ein Gleichnis »، للاطلاع عليها كاملة بالفرنسية يرجى العودة إلى كتاب المُنظر الفرنسي 'أنطوان برمان' Antoine Berman. L'épreuve de l'étranger. Gallimard, Paris, 1995. P. 109.

[2] **M. Salomon Munk. Op. Cit. P. 540.**

تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن المستشرق الفرنسي 'مونك' لم يكن الوحيد الذي نعت 'الحريري' بالشاعر، فهناك كاتب فرنسي آخر وهو 'جورج بيريك' « George Perec » كان هو الآخر قد نعت الحريري بأنه " شاعر عربي" في روايته « La Vie Mode D'emploi » الصادرة سنة 1978. " غير أنه لابد من توضيح بهذا الصدد: صحيح أن الحريري قد قال شعرا، لكنه ليس معروفا بالتحديد كونه شاعرا."[1]

التكلف اللفظي و ضآلة أهمية الموضوعات:

إذا كانت الصور والأخيلة التي تضمنتها مقامات الحريري يمكن أن نتغلب عليها بواسطة الشروحات والتعليقات الجانبية، وإذا كان من الممكن أيضا المحافظة على أسلوب وبنية المقامات في اللغات الأخرى، وإن كانت في هذه الحالة لا تسمى ترجمة وإنما محاكاة، فإن المشكلة الأكثر استعصاءً على المترجمين تتمثل في التكلف اللفظي في مقامات الحريري، الذي استخدم المهجور والنادر والكلمات المحلية العراقية، رغم أن موضوع المقامات بقي سطحيا نوعا ما، مقارنة بالأشكال القصصية التي عرفتها أوروبا.

يتمسك كاتب المقامات أو الشاعر بموضوعات محددة تقريبا، ويكون هدفه تزويق هذه الموضوعات بكل الفن المتاح له ليتفوق على سابقيه ومنافسيه في الجمال والقوة التعبيرية وإحكام العبارة وصدق الوصف وفهم الواقع، (وهو ما فعله 'الحريري' الذي تفوق على بديع 'الزمان الهمذاني')، وهو ما يعني أن هذا الشعر (أو المقامات) لا يمكن أن يترجم بصورة مقنعة أبدا إلى أي لغة أخرى، والسبب ببساطة أن المادة المطروحة لا تتنوع إلا قليلا، ويكمن الفن برمته في الطريقة العصية على الترجمة التي قيل بها.

> « where the poet is held almost wholly to specific themes, and his aim is to embellish those themes with all the art at his command, to surpass his predecessors and rivals in beauty, expressiveness, terseness of phrase, in fidelity of description and grasp of reality, then such poetry can never be satisfactorily translated into any other language, just because

[1] عبد الفتاح كيليطو. المرجع السابق. ص: 38.

the thing said varies so little and the whole art lies in the untranslatable manner of saying it. »[1]

وفي هذا السياق أيضا: يذكر مترجم المقامات 'سالومون مونك'، أن اللغة العربية ونظرا لثرائها بالمفردات فإنها تيسر على أبنائها أكثر من أي لغة أخرى، كتابة النثر المقفى والمسجوع، أعانهم في ذلك أيضا سهولة أشكالها النحوية، كما أنه لا توجد لغة أخرى عداها يمكن من خلالها الإتيان بخطاب طويل دون قول أي شيء، وذلك عبر إعادة الفكرة نفسها دائما باستعمال عبارات مغايرة، كما أن معظم هذه المؤلفات ذات الطابع الإيقاعي ليس لها من قيمة إلا من حيث الشكل، أما المحتوى فهو في غالب الأحيان مبتذل بل وسخيف أيضا.

«…et il n'en est aucune ou il soit aussi aisé de faire un long discours sans rien dire, en répétant toujours la même idée par d'autres paroles. Aussi la plupart de ces compositions rythmiques n'ont de mérite que dans la forme ; le contenu est souvent frivole et même absurde.» [2]

إن مذهب التصنع وعقده، والذي كتبت من خلاله مقامات الحريري، وما يمتاز به من تصعيب في الأداء، كاستحداث طرق جديدة في الكتابة، قد وجد في فترة لاحقة من يسخط عليه من بين العرب أنفسهم، الذين رأوا في هذا المذهب سببا في تجفيف ينابيع الأدب، فـ" كانت النتيجة أن ضاع من الأدب كل إحساس أو فكر أو فن صحيح، وغلبت اللفظية والتكلف حتى أماتت الأدب. وظلت تلك الكارثة مستمرة إلى أن ظهرت نهضتنا الحديثة فاستطعنا بفضل تأثرنا بالأدب الغربي أن نرفع من وقرها، وإن كنا لا نزال إلى اليوم ندرس البلاغة، و لربما كنا في ذلك الشعب الوحيد في بلاد العالم المتحضر كله. "[3]

الغايـة التعليمية للمقامة:

إن الأدب العربي الحديث وإن كان إمتدادا لتراث أدبي سابق فهو يختلف عنه اختلافاُكليًّا، ولذلك يحظى الأدب القديم بالتقدير لأنه وكما يقول اللغويون " مكتوب بالشكل الأعلى من اللغة والذي يمثل لمتحدثي

---

[1] **Gibb, H. A. R. Arabic Literature. Oxford, Clarendon Press, 1963. P. 22.**
[2] **M. Salomon Munk. Op. Cit. P. 550.**
[3] **د. محمد مندور. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة: (مترجم عن الأستاذين لانسون ومايه). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.، أكتوبر 2004. ص: 323.**

هذه اللغة اتصالا بماض زاهر مجيد(...) ومثال آخر على هذا النوع من التقدير هو أننا مازلنا حتى الآن نستطيع الرجوع إلى ما كتبه الجاحظ والأصفهاني وغيرهم، كما أننا مازلنا نحتفظ بالمقامات كمقامات الحريري..."[1] ولأن النص القديم كان قد كُتب بأسلوب جزل رفيع فهو يطرح مشكلة للقارئ العربي المعاصر قبل الأجنبي، ولهذا السبب يُخصص هذا النوع من النصوص كالمقامات أو القصائد مثلا للتدريس في القسم.

أما الباحث المغربي 'عبد الفتاح كيليطو' فيقول:

> "..إن النص الكلاسيكي غالبا ما يكون عسير الفهم وبالتالي يتطلب الشرح والتفسير. ذلك أنه موجه أساسا للتعليم، وقد يتطوع المؤلفون أنفسهم للقيام بهذه المهمة. وعلى الرغم من ارتباطه العضوي بالتفسير، فإنه لا ينسجم كثيرا مع الترجمة ولا يستسيغها؛ نقله إلى لغة أجنبية عملية، بمعنى ما، خارج أفقه (...) لا تتماهى القصيدة مع نفسها إلا في لغتها الأصلية، لهذا لا يمكن ترجمتها، بل لا تجوز ترجمتها، مبدئيا على الأقل (...) ويمكن أن نذهب أبعد ونقول إن العديد من النصوص النثرية (رسالة الغفران، مقامات الحريري...) تفتقر وتضعف عندما تترجم."[2]

2- الإيديولوجيا والترجمة:

تتمثل العقبة الكأداء الثانية التي واجهها المترجمون الذين أرادوا نقل النصوص الأدبية العربية إلى الفضاء الأوروبي والأمريكي في الإيديولوجيا السائدة، والتي تؤثر إما بالسلب أو بالإيجاب في عملية التلقي.

تتميز الإيديولوجيا بأنها متقلبة وغير ثابتة، فما يعد غير قابل للترجمة في فترة ما، قد يصبح قابلا لأن يُترجم في فترة لاحقة، ويمكن القول أيضا أن الإيديولوجيا تتفوق في كثير من الأحيان على العقيدة الفنية السائدة (الشعرية)، و بمعنى آخر حتى وإن كانت النصوص القادمة من ثقافة بعيدة (كالعربية) لا تجد لها مكانا مناسبا داخل فضاء الاستقبال (أوروبا والأمريكيتين في هذه الحالة)، فإن الإيديولوجيا السائدة عند الأكاديميين والنقاد وأصحاب دور النشر في ثقافة الاستقبال تُعدّ العامل الأكثر حسمًا في نهاية الأمر، وكما يقول 'أندري لوفيفير': "يرتبط المكون الوظيفي لشعرية ما ارتباطا وثيقا وواضحا بالمؤثرات الأيديولوجية

---

[1] د. إبراهيم صالح الفلاي. الازدواجية اللغوية، النظرية والتطبيق. جامعة الملك سعود، الرياض، 1996، الطبعة الأولى. ص: 27.
[2] عبد الفتاح كيليطو. الأدب والارتياب. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2007. ص: 51-52.

القادمة من خارج مجال ونطاق الشعرية بمعناها الضيق، وهو متولد عن قوى إيديولوجية في بيئة النظام الأدبي."

« The functional component of a poetics is obviously closely tied to ideological influences from outside the sphere of the poetics as such, and generated by ideological forces in the environment of the literary system.» [1]

تردد الأوروبيين حيال الأدب العربي:

استكمالا لما سبق ذكره، يجب العودة أيضا لما قاله 'أندري لوفيفير' من أنَّ عدم التوافق بين الشعريتين ليس السبب الوحيد وراء فشل 'التطبيع' [2] « Naturalize »، لقد امتزج عدم التوافق بين الشعريتين مع المنزلة والمكانة المتدنية نسبيا التي تحتلها الثقافة العربية الإسلامية في كل من أوروبا والأمريكيتين.

« That incompatibility is compounded by the relatively low prestige of Islamic culture in Europe and the Americas. »[3]

لكن هذا التقلب في الرأي نجده يتجلى بصورة واضحة لدى كل من تناولوا الأدب العربي، من نقاد وأكاديميين و فيلولوجيين (فقهاء اللغة) ومستشرقين، بالبحث والدراسة.

يذكر أحد المستشرقين واصفا الأمة العربية، قائلا: هذه الأمة التي قدر لها الله أن تصعد فيما بعد لتتبوأ مكانة هامة عظيمة، وتخلف الرومان في تزعم مصائر قسم كبير من العالم...تستحق كل المديح لحالة الثقافة والحضارة والتقدم الراقية التي بلغها شعبها من خلال وسائل تطوير ذاتية للملكات الأدبية العليا التي راق الرب أن يخصها بها.

«…this nation, which was destined by God to rise to great importance later on, and to succeed the Romans in presiding over the destinies of a great part of the world, deserve all praise for the high state of

[1] **André Lefevere. Ibid. P. 27.**
[2] **Ibid. P. 75.**
[3] **Ibidem.**

culture, civilization, and advancement which its people attained by means of self-developement of those superior literary faculties with which it had pleased God to endow them. »[1]

يتسم الموقف الأوروبي تجاه الثقافة العربية بالتقلب والتردد، فها هو 'بيترارك' يهاجم العرب وحضارتهم، فهو يقف موقف المهاجم النابذ للعرب وكل ما يصدر عنهم، قائلا:

"أناشدك في كل ما يتعلق بي، ألا تقيم وزنا للعرب الذين ما تفتأ تعبر عن إعجابك بهم، وأن تتصرف تماما كما لو لم يكن لهم وجود. إنني أكن الكراهية لهذه السلالة بكاملها. أعلم أن يونان قد أنتجت رجال علم وفصاحة، من فلاسفة وشعراء وخطباء وعلماء رياضيات، كلهم نبغوا هناك، وهناك أيضا نشأ آباء الطب. أما الأطباء العرب...فأنت أكثر الناس معرفة بهم. أما أنا فأعرف شعرائهم. لا يمكننا أن نتصور شعرا أكثر هشاشة وتوترا وفحشا....بالكاد يمكن لأحد أن يقنعني أن شيئا طيبا يمكن أن يصدر عن هؤلاء. ومع ذلك فأنتم رجال العلم، لست أدري لماذا ينتابكم هذا الضعف حتى تغدقوا عليهم مدحا لا يستحقونه...يا للعجب...أبعد العرب لن يُسمح قط بالكتابة."[2]

تلعب الإيديولوجيا دورا هاما في حركة الترجمة، وقد اتسمت الآراء الإيديولوجية الأوروبية دائما بالتقلب، فبعد الإقبال الشديد على الأدب العربي الذي عرفه القرن التاسع عشر، أعقبه فتور ما فتئ يزداد في القرنين التاليين. فهي تلعب دورا حاسما في الحث على التعرف على الآخر أو العزوف عنه.

المستشرقون والترجمة:

الاستشراق كلمة اشتقت من الشرق، والمقصود بالشرق، منطقة الشرق أي 'الشرق الأوسط' « Proche-Orient » وهي المنطقة التي كانت معروفة بشكل كبير لدى الأوروبيين إلى درجة أن

---

[1] **Charles F. Horne, Ph.D., ed. The Sacred Books and Early Literature of the East, Volume V, Ancient Arabia (The Hanged Poems, The Koran). Parke, Austin, And Lipscomb, Inc., 1917, New York, London. P. 12.**

[2] **عبد الفتاح كيليطو. أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2013. ص.47.**

وصفها أحدهم وهو (René Grousset) بـ'إمبراطورية بلاد الشام' [1]« L'empire du Levant » مقارنة بمنطقة الشرق الأقصى « L'extrême Orient »، التي كانت مجهولة إلى حد ما مقارنة بمنطقة الشرق الأوسط، وهي المنطقة التي كان مبلغ علم الأوروبيين بها لا يبلغ حد العلم تماما أو حد الجهل تماما. بالإضافة إلى هاتين الرقعتين الجغرافيتين تضاف منطقة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتيها، وهي منطقة شمال إفريقيا.

إن هذا التقسيمات 'شرق أقصى' و 'شرق أدنى' و'غرب' هي تقسيمات من صنع الذهن على حد تعبير 'إدوارد سعيد'، ليس لها من وجود موضوعي، وإنما هي في الواقع ليست سوى محض أوهام، أعطي مثالا على ذلك 'الجزائر' مثلا التي تقع في الغرب مقارنة مع 'اليونان' أو 'النمسا' التي تعتبر دول غربية.

> « …mais il y a toujours une part d'arbitraire dans la manière de concevoir les distinctions entre les objets; ces objets mêmes, quoiqu'ils semblent exister objectivement, n'ont souvent qu'une réalité fictive. »[2]

الاستشراق من الناحية العلمية هو نمط من الأنماط المعرفية ظهر في الغرب المسيحي وبالضبط في أوروبا، منذ القرن الثامن عشر. في حقيقة الأمر فإن للاستشراق معنيان: معنى عام ومعنى خاص، المعنى العام الاهتمام بشؤون الشرق المختلفة، الاهتمام بالذوق الشرقي، وكل ما يحدث في الشرق أي يتعلق بكل ما يهم الشعوب الشرقية من تاريخ وحضارة وفنون ولكن المعنى الخاص هو الاستشراق العلمي الذي ظهر بشكل واضح ابتداءً من القرن الثامن عشر، والذي سأتناوله بالتفصيل.

إن اهتمام الغرب بالشرق لا يعود إلى القرن الثامن عشر وحملة 'نابليون' (Napoléon Bonaparte) على مصر عام 1798 ميلادي، وإنما إلى فترة أقدم بكثير، وهي فترة الحروب الصليبية، أي القرن االثاني عشر ميلادي، لا بل يمكن القول أن هذا الاهتمام كان دائما موجودا، لطالما تطلع الغرب للشرق منذ القدم، وفي هذا الصدد يقول 'إدوارد سعيد':" أنه ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد على الأقل، لم يغب عن ذهن كل من سافر إلى الشرق، أو اتجه بأنظاره إليه من حكام الغرب الطامحين، أن المؤرخ والرحالة والإخباري

---

[1] René Grousset. L'Empire du Levant. Histoire de la Question d'Orient. Paris, Payot. 1946.
[2] Edward Said. L'Orientalisme, L'Orient crée par L'Occident. Traduit de l'Américain par : Catherine Malamoud. Edition du Seuil. Collection « la couleur des idées », 2005. P. 70.

الشديد الفضول 'هيرودوت' و'الإسكندر الأكبر' الملك المقاتل والفاتح العلمي، كانا قد زارا الشرق من قبل. لقد كان الشرق إذن مقسما تقسيمات فرعية بين الممالك التي سبق أن عرفها وزارها وفتحها 'هيرودوت' و'الإسكندر الأكبر' وخلفاؤهما الأدنى منزلة ممن ساروا على خطاهما.

> « Dès le deuxième siècle avant Jésus-Christ au moins, aucun voyageur, aucun potentat occidental tournant ses regards vers l'Est et ambitieux ne pouvait ignorer qu'Hérodote, l'historien, le voyageur, le chroniqueur à la curiosité inépuisable, et Alexandre, le roi guerrier, le conquérant scientifique, étaient déjà passés par là. L'Orient était donc subdivisé en contrées déjà connues, parcourues, conquises par Hérodote et Alexandre et leurs épigones. »[1]

إن الشعرية أيا كانت هي متغير تاريخي لا قيمة مطلقة، وتختلف الشعرية التي تهيمن اليوم على نظام أدبي معين عن الشعرية التي هيمنت عند ظهور النظام تماما.

> « A poetics, any poetics, is a historical variable: it is not absolute- In a literary system the poetics dominant today is quite different from the poetics dominant at the inception of the system. » [2]

كانت هناك رغبة ملحة لمعرفة الشرق والكشف عن أسراره وكنوزه يُمكن أن نلمسها بشكل أكبر عند الكتاب والروائيين والفلاسفة الرومانطيقيين الذين أكدوا دوما على العواطف والخيال والحدس، وذلك بغية استعادة الغرب المُستنفذ روحيا وإعادة إحيائه من جديد، هذه الرغبة الملحة في المعرفة لم تعد محصورة حسب 'ماكسيم رودنسون' في الموروث الإغريقي-الروماني، وإنما تعدته إلى الموروث الكلاسيكي العربي، ويرى 'ماكسيم رودنسون' أن العامل العام والمهم، تمثل في الطموح إلى توسيع الإنسانية الإغريقية والرومانية، وذلك عبر إضافة حضارات كلاسيكية نمطية، التي تعد منبع الإلهام والمحاكاة والمرجعية، هذا الطموح العام كان وليد ما قبل الرومانطيقية والحقبة الرومانطيقية، بمعنى أنه كان وليد ذلك المنعطف الهام في الحساسية والعقلية الأوروبية.

---

[1] **Ibid. P. 74.**
[2] **Lefevere 35**

« Un facteur général très important a été aussi l'aspiration à l'élargissement de l'humanisme gréco-romain par addition, aux civilisations modèles classiques, d'autres civilisations, sources d'inspiration, d'imitation, de référence. Cette aspiration générale est issue du préromantisme et du romantisme, c'est-à-dire d'un tournant capital de la sensibilité et de la mentalité européenne.» [1]

وفي نفس السياق يضيف 'ماكسيم رودنسون' أنه وكما نعرف ذلك بما فيه الكفاية، فإن هذا التيار الرومانطيقي قد تحول إلى الخصوصية، أي إلى اكتشاف روحانيات جديدة، بخصوصياتها وألوانها المحلية. ويعتبر كل هذا رد فعل تجاه عالمية القرن الثامن عشر ميلادي، في قيمها العلمية، ذات النمطية الإغريقية الرومانية.

« Comme on le sait suffisamment, ce courant romantique est tourné vers le spécifique, l'exploration des « esprits nationaux » avec leur spécificité, leur couleur locale, etc. I y a là une réaction contre l'universalisme du XVIIIe siècle qui se fondait sur la valeur universelle du modèle gréco-romain. »[2]

إذا أخذنا الأوساط الأدبية الأوروبية كمثال، فإننا سنجد 'مادام دي ستايل' مثلا، في القرن التاسع عشر ميلادي، تسدي النصح إلى اللورد 'بايرون'، حاثة إياه، قائلة: "التصق بالشرق"، كانت تلك هي العقيدة الفنية الوحيدة السائدة آنذاك، أي النزوع لكل ما هو شرقي غرائبي.

«In the literary circles of the early nineteenth century the Orient was all the rage and Madame de Stael advised Byron to "stick to the East" as "it was the only poetical policy. »[3]

---

[1] Maxime Rodinson. La Fascination de l'Islam, suivi de Le seigneur bourguignon et l'esclave sarrasin. Edition La Découverte/ Poche, Paris, 2003. P. 105.
[2] Ibidem.
[3] Brian James Baer. Contexts, Subtexts and Pretexts: Literary Translation in Eastern Europe and Russia. John Benjamins Publishing, 2011. P. 223.

ثم سرعان ما تغيرت الأوضاع في القرن التاسع عشر ميلادي، إذ أصبح الاستشراق، كفرع بحثي، مجسدا في مؤسسات ومسارات مهنية جديدة، وكذلك في ترجمات كثيرة ومنشورات بحثية، بعد أن كان ينحصر في جماعة من المعجبين والمسحورين بالشرق.

«In the nineteenth century Orientalism as a scholarly discipline came to be embodied in new institutions and career paths as well as in numerous translations and scholarly publications. »[1]

كان القرن التاسع عشر الميلادي، هو الفترة التي شهدت دخول مصطلح الاستشراق فعليا إلى اللغات الأوروبية كالفرنسية والإنجليزية وغيرها.

يقول الأمير 'شكيب أرسلان':

" ومدنية الإسلام قضية لا تقبل المماحكة، إذ ليس من أمة في أوروبة سواء الألمان أو الفرنسيس أو الإنكليز أو الطليان إلخ. إلا وعندهم تآليف لا تحصى في (مدنية الإسلام) فلو لم تكن للإسلام مدنية حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه، مبنية على كتابه وسنته، ما كان علماء أوروبة حتى الذين عرفوا منهم بالتحامل على الإسلام يكثرون من ذكر المدنية الإسلامية، ومن سرد تواريخها، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات، ومن تبيين الخصائص التي انفردت بها. "[2]

إنَّ العرب قد قرروا إلى حد بعيد شكل الثقافة الأوروبية و ذلك حسب الدكتور ' يانوش دانيتسكي' وهو رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة ' فرسوفيا' الذي يعتقد:

"بأن حركة الدراسات الاستشراقية اعتمدت على استلهامات التنويرية والرومانسية ودوافعهما ولدرجة أكبر من اعتمادها على السياسة الكولونيالية المقصودة. وأكيد أن الدول

---

[1] **Zachary Lockman. Contending Visions of the Middle East: The History and Politics of Orientalism. Cambridge University Press, 2010. P. 68.**

[2] **الأمير شكيب أرسلان. لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم. مراجعة: الشيخ حسن تميم. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية. ص: 119 – 120.**

الكولونيالية قد دعمت الأبحاث الاستشراقية من أجل مصالحها إلا أنه كانت للمستشرقين دوافع أخرى غير تلك الأغراض النفعية."[1]

إن كل لغةٍ من اللغات تعكس رؤية مُحددة للعالم، وهي رؤية خاصة بها، ومن أجل فهم عقلية شعب من الشعوب علينا أن ندرس لغته، وهو ما عبر عنه الدكتور'حسين خمري' بشكل جيد وبليغ رابطا بين ما توصلنا إليه آنفا وحركة الاستشراق، قائلا:

"وتركيز الاستشراق على اللغة يعني احتواء الشرق لغويا وسياسيا وعقديا، لأن اللغة هي التي ستمكنه من التعرف على البنية الذهبية للإنسان العربي المسلم ونظرته للعالم."[2]

كان للغرب إذن أطماع توسعية، كما كان الغرب أيضا إذن بحاجة إلى الشرق، ليخرج من حالة الانسداد بعد الانفراج الذي عرفه في عصر النهضة وعصر الأنوار، وكما يقول الدكتور 'نور الدين أفاية':

" فالغرب لكي يخرج من أزمته يتعين عليه أن يدخل حقائق ورموز الشرق فيه. والفلسفة إذا أرادت أن تتحرر من انسدادها عليها أن تعترف بالمتخيل فيها. والوعي إذا رغب في التخلص من صراعه يجب عليه أن يُنصت إلى اللاوعي فيه. واللغة إذا أرادت أن تستقيم عليها أن تُنشّط المجازات والاستعارات فيها."[3]

حسب الباحث 'محمد نور الدين أفاية' فإنَّ الغرب كان يعيش في حالة من الجمود الفكري و الانسداد الثقافي، أو إذا جاز التعبير فإن الغرب كان يعيش على اجترار ثقافته وإعادة نفسه، وليخرج من هذه الأزمة الفكرية كان لزاما عليه أن يُجيل بصره في الموجود الثقافي للآخر، وبالأخص بعد انحسار اللغة اللاتينية، حيث كان على اللغات الأوروبية الناشئة – التي كانت في بادئ الأمر عبارة عن لهجات - أن تبني نفسها وأن ترتقي بآدابها ولم يَكن ليتأتى لها ذلك إلا عن طريق الترجمة ونقل كل ماهو غرائبي*، وكانت "المعلقات" من بين أولى الأعمال الأدبية العربية التي استرعت انتباه المستشرقين الأوروبيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر:

---

[1] د. يانوش دانيتسكي. الثقافة العربية وأوروبا، ترجمة: عدنان المبارك. في: الاستشراق 5، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1991. ص: 174.

[2] ارنست ميرسييه: الترجمة في الجزائر. ترجمة: الأستاذ الدكتور حسين خمري. دار أقطاب الفكر، جانفي 2006. ص: 6.

[3] محمد نور الدين أفاية: المتخيل والتواصل، مفارقات العرب والغرب. دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 1993. ص: 43.

« The Mu'allaqat were among the first Arabic literary works to attract the attention of European orientalists in the 18th and 19th c. »[1]

لم تَكن المُعلقات هي الوحيدة التي تُرجمَت، بل على العكس من ذلك؛ فقد تُرجمت مُعظم الأعمال الأدبية الاتباعية (الكلاسيكية) العربية، كالمقامات و كليلة ودمنة وقصص ألف ليلة وليلة وأعمال عبد القاهر الجرجاني وابن حزم الأندلسي وابن خلدون وغيرهم كثير، لا إلى اللغة الفرنسية فحسب وإنما إلى العديد من اللغات الأوروبية: كالإنجليزية والألمانية والإسبانية واللاتينية والهولندية، وذلك "لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الشعوب المُستَعمَرة."[2] ومن أجل نجاح هذه المهمة فقد تم تيسير كل السبل وتوفير كل الإمكانيات من أجل الحصول على المادة المعرفية من الشرق وذلك في إطار مشروع ضخم لمعرفة الشرق، وقد تم فتح العديد من المعاهد والمراكز بهدف دراسة العادات والثقافات واللغات الشرقية وهي الحركة التي تمت تسميتها لاحقا بحركة الاستشراق « l'Orientalisme »، و لم يكتفوا في ظل هذه الحركة بالنقل والتحقيق و الترجمة لمعرفة الشرق " بل قاموا بكتابة الأبحاث العديدة في كل ما يتصل بالشرق، وبذلوا في هذه الأبحاث الجهد والمال والوقت."[3]

إن الميل نحو التواصل مع الآخر لمعرفة ما لديه، والاطلاع على نمط تفكيره وما حققه من تقدم معرفي وذلك بغية تطعيم الفكر، هو بالفعل ما قام به الأوروبيون خلال القرون القليلة الماضية.

يجب أن نعلم كما يقول 'أندري لوفيفير' أن إعادة الكتابة و الترجمات منها أساسا، تؤثر بعمق في اختراق الأنظمة الأدبية الحدود، ليس فقط بنجاحها في تقديم كاتب أو عمل في أدب آخر أو إخفاقها في ذلك.....ولكن بإدخال محسنات جديدة إلى المكون المخزوني لشعرية ما أيضا، وتمهيد الطريق أمام حدوث تغييرات في المكون الوظيفي لها.

« Rewritings, mainly translations, deeply affect the interpénétration of literary systems, not just by projecting the image of one writer or work in another literature or by failing to do so…. but also by introducing

---

[1] Peter France. The Oxford Guide to Literature in English Translation. Oxford University Press, 2001. P.146.

[2] د. حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب. الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991. ص: 29.

[3] د. عفاف صبرة. المستشرقون ومشكلات الحضارة. دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1958. ص: 16.

new devices into the inventory component of a poetics and paving the way to changes in its functional component. » [1]

لقد تمثل مفتاح الفهم البحثي للشرق (مثله مثل الحضارات الأخرى) بالنسبة لـلمستشرقين ك سيلفستر دي ساسي' مثلا، وبالنسبة لكثير من السلالة الجديدة من الباحثين المستشرقين المحدثين الذين أتوا بعده، في فقه اللغة التاريخي والمقارن، والتحليل التاريخي واللغات المقارنة، والتي تمارس إلى حد كبير من خلال دراسة النصوص المكتوبة، التي كان يعتقد أنها تتيح إلقاء نظرة نافذة بشكل فريد على الجوهر اللازمني لحضارة ما.

« For “Sacy” as for many of the new breed of modern Orientalist scholars who came after him, the key to scholarly understanding of the Orient (as of other civilizations) was philology, the historical analysis and comparison of languages, pursued largely through the study of written texts which, it was believed, could yield unique insights into the timeless essence of a civilization. »[2]

تلقي الأدب العربي في عصر العولمـة:

يعني كل ما سبق أن كلاسيكيات الأدب العربي، التي تُعتبر أشد النصوص تعقيدا واستعصاءً على الترجمة بل وحتى على القارئ العربي المُعاصر - لإيغالها الشديد في الخصوصيات الثقافية العربية القديمة - لم تَكُن لِتُتَرجمَ لولا حركة الاستشراق والسياق التاريخي والإيديولوجي الذي فرض على الغرب الاستعماري دراسة الشرق. ولكن هل يعني ذلك أن الظروف الخارج نصية «Conditions Extratextuelles» هي التي تتحكم في قابلية عمل من الأعمال الأدبية للترجمة؟ ماذا عن ترجمة الأدب العربي الحديث، هل يلقى نفس الفضول والاهتمام والحظوة التي لقيها الأدب العربي القديم عند الغرب في القرنين الثامن والتاسع عشر؟

[1] **André Lefevere. Op. Cit. P. 89.**
[2] **Zachary Lockman. Op. Cit. P. 68.**

يبدو أن الأمر كذلك، فقد انكب الغرب على ترجمة كل ما هو شرقي بشكل لا نظير له وبالأخص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر – وإن كان ظهور حركة الاستشراق أقدم من ذلك بكثير- غير أن التركيز على الأدب العربي قد بدأ بالتضاؤل تدريجيا في فترة لاحقة، وعن السبب وراء ذلك يقول عاصم حمدان في مقال عنوانه " لماذا ومتى يهتم الأوربيون بتراثنا" الصادر بتاريخ 1989/11/22 بصحيفة المدينة المنورة:

"إن نقطة الضعف التي يجدها الغرب في أدبنا، هي ترديدنا لبعض نظرياته في الأدب بعد لفظه لها بعشرات السنين ثم هو ترديد لا استيعاب ولا تمثل فيه [...] قدم المستشرقون النصيحة للأدباء العرب بأن يكون شعرهم عربيا خالصا، لأنه إنما يأخذ مكانته بين الآداب العالمية بتفرده."[1]

لفهم وضعية الأدب العربي الحديث في أوروبا والأمريكيتين في عصر العولمة، يكفي العودة إلى ما ورد في مقال له بعنوان 'الأدب المحاصر' « Embargoed Literature » للباحث والكاتب الفلسطيني 'إدوارد سعيد'، في هذا المقال يُشير 'إدوارد سعيد' إلى أن ناشرا أمريكيا اتصل به ثماني سنوات قبل أن يحوز الكاتب المصري 'نجيب محفوظ' على جائزة نوبل للأدب، وطلب من 'إدوارد سعيد' لائحة بأسماء كتاب العالم الثالث، لأن الناشر كان ينوي أن يبدأ بنشر سلسلة جديدة، ويشير 'إدوارد سعيد' أنه وضع ثلاثة أو أربعة كتب لـ'نجيب محفوظ' على رأس القائمة، ويضيف 'إدوارد سعيد' أنه التقى بالناشر بعد بضعة أسابيع وحين سأله من اختار، ردّ عليه الناشر بأن 'نجيب محفوظ' لم يكن من بين الذين اختارهم، وحين سأله 'إدوارد سعيد' عن السبب ردَّ الناشر قائلا:" المشكلة تكمن في أنَّ اللغة العربية لغة مثيرة للجدل."

« Eight years before Naguib Mahfouz won the 1988 Nobel Prize for literature, I was asked by a major New York commercial publisher (…) to suggest a list of Third World novels for translation and inclusion in new series he was planning. The list I gave him was headed by two or three of Mahfouz's works (…) A few weeks after I submitted my list, I inquired which novels had been chosen, only to be informed that Mahfouz translations would not be undertaken. When I

[1] **ابراهيم مناد: نبذة عن مسيرة الاستشراق. في: مجلة حوليات التراث: مجلة علمية مُحكمة تعنى بمجالات التراث. العدد. 03-2005، جامعة مستغانم (الجزائر). ص: 62-63.**

asked why, I was given an answer that haunted me ever since. ‘ The problem, ‘ I was told , ‘ is that Arabic is a controversial language.’ »[1]

إن عدم موافقة دور النشر الأمريكية على ترجمة الأعمال الأدبية العربية، وتحججها بالقول أن اللغة العربية هي لغة مثيرة للجدل أمر جعل 'إدوارد سعيد' يعيش في نوع من الحيرة ويبحث عن معنى لهذه العبارة، ويمكن أن تتوضح الصورة أكثر إذا ما قرأنا السؤال الذي تقدم به الصحفي 'دايفيد بارساميان' حين سأل إدوارد سعيد في حوار أجراه مع هذا الأخير قائلا: "إن كل ما يعرفه معظم الأمريكيين عن اللغة العربية مختزل في الأسطورة القائلة بأن هناك ألف مرادف لكلمة (سكين)." وهو السؤال الذي رد عليه 'إدوارد سعيد' قائلا:" نعم وهو أمر سخيف. إن اللغة العربية يُساء تقديمها على نحو مريع، ويتم النظر إليها بوصفها أولا وقبل كل شيء لغة مولعة بالجدل، وعلى أنها لغة عنيفة باعتبارها لغة الإسلام."[2]

3 – إستراتيجيات الترجمة لدى المستشرقين:

على الرغم من كثرة الدراسات العربية حول موضوع الاستشراق، والذي قدح زناد البحث فيه الباحث الفلسطيني الراحل 'إدوارد سعيد' في القرن الماضي، إلا أنها تركزت في معظمها حول دراسة الاستشراق وعلاقته بالاستعمار، أو إيديولوجيا المستشرقين، أو علاقة الاستشراق بالدين، ولكنها لم تشمل أبعاده الأخرى، خاصة ماتعلق منها بالنص والترجمة. وحول نفس الموضوع تقول الباحثة العربية بأمريكا 'فدوى ماطي دوجلاس':

"لا شك في أن موضوع الاستشراق والمستشرقين قد أصبح في الوقت الراهن موضوعا ذا أهمية كبيرة في العالم العربي. غير أن نقاش هذا الموضوع اتخذ طابع الانفعال أكثر من محاولة استيعاب أبعاده. وأعتقد أن أحد أسباب ذلك يعود إلى تجاهل جوهر التجربة الاستشراقية التي تتركز في ارتباط الاستشراق بالنص."[3]

---

[1] **Edward Said. The Politics of Dispossession. The Struggle for Palestinian Self-Determination, 1964-1994. Vintage Books, A Division of Random House, Inc., New York. First edition, June 1995. P. 372.**

[2] **إدوارد سعيد. الثقافة والمقاومة. حاوره: دايفيد بارساميان. ترجمة: علاء الدين أبو زينة. دار الآداب. ص: 146- 147.**

[3] **فدوى مالطي دوجلاس. المستشرق ونصه. عالم الكتب : مجلة متخصصة ... - مج5 ، ع1 (رجب 1404 ، ابريل 1984) .- ص 64.**

إن معظم من درسوا موضوع الاستشراق، ربطوا بينه وبين السياسة، وركزوا جهودهم لإثبات أن المستشرقين كانوا يدرسون الشرق لخدمة أغراض استعمارية بحتة، أو يدرسون ديننا لضرب معتقداتنا. لكن يجب أن نعترف أن العديد من المستشرقين كانوا قد خدموا اللغة العربية والدين الإسلامي أكثر من العرب أنفسهم، بل منهم من دافع عن المسلمين وقضاياهم، فالمستشرقون لا يمتلكون رأيا سياسيا واحدا:

" إذن هذا الاختلاف السياسي يذكرنا بأن الاستشراق ليس مدرسة سياسية بل مدرسة علمية. ولكي نفهمه كما ينبغي أن يُفهم، علينا أن نتفحصه أولا بدقة كظاهرة علمية."[1]

ونضيف إلى ما سبق القول بأن تلك الدراسات التي تناولت موضوع الاستشراق والترجمة تعدّ قليلة جدا، خاصة ما تعلق منها بالتقنيات والاستراتيجيات التي يتبعها المستشرقون حينما يتناولون المؤلفات العربية الكلاسيكية بالترجمة، وحول هذا الموضوع يقول الباحث الفرنسي 'ريشار جاكمون' (Richard Jacquemond):

" لم يقم أحد – بعد – بدراسة شاملة حول تقنيات واستراتيجيات التقاليد الاستشراقية للترجمة من العربية." [2]

لكن في البداية تجب الإشارة أيضا إلى أن مجموع ما أنتجه المستشرقون في مجال ترجمة الأعمال الكلاسيكية العربية، لم يكن تخضع لقوانين سوق النشر التي نعرفها اليوم، وحول هذا الموضوع أيضا يضيف نفس الباحث:

"ومنذ القرن التاسع عشر، فإن الاستشراق، شأنه في ذلك شأن أي مجال من مجالات الدراسات الأكاديمية، في فرنسا وفي البلدان الغربية الأخرى، كانت له سوق النشر الخاصة به، كما كانت له مجلاته ودور النشر المتخصصة التي تواصل، إلى جانب نشر الدراسات المؤلفة، نشر ترجمات إستشراقية عن العربية."[3]

---

[1] **المصدر السابق. نفس الصفحة.**
[2] **ريشار جاكمون. الترجمة والهيمنة الثقافية (حالة الترجمة الفرنسية العربية). مجلة فصول، العدد 2، 1 يونيو 1992. ص: 50.**
[3] **نفس المصدر السابق. ص: 51.**

مما سبق، يمكن أن نفهم أن الاستشراق، بوصفها مجالا من مجالات الدراسات الأكاديمية، فهو يخضع إلى مجموعة من القوانين الخاصة التي تضبطه، والتي يتقيد المستشرقون بالسير وفقها، ولا يحيدون عنها قيد أنملة، ويضيف 'جاكمون' في نفس السياق قائلا:

> "فلا غرابة في أن معيار الترجمة الجيدة، في النموذج الاستشراقي، هو معيار "الدقة العلمية". إن قوانينها اللغوية والأسلوبية هي قوانين الترجمة الجامعية التي تعطي الأولوية للنقل الأقرب والأدق للأصل، تحت إشراف الأستاذ المصحح، وهو قارئه الوحيد في الغالب."[1]

مما سبق، نستنتج أن قراء الترجمات هم من أهل الاختصاص، أي أساتذة و مدرسون جامعيون، أو طلبة مازالوا في طور التكوين، وبحاجة إلى التعرف على الأدب العربي (أو الآداب الشرقية بشكل عام)، ويسعون إلى تعلم اللغة العربية (أو اللغات الشرقية الأخرى) والإحاطة بها.

إن الطالب الأوروبي عادة ما يكون بحاجة إلى من يساعده على فهم النص الأصلي المعقد، ولا تكفي الترجمة وحدها لكي تساعده على الإحاطة بكل كنوز اللغة العربية ودقائق مفرداتها وكل ما يتعلق بها. وهنا يتدخل المستشرق الذي لا يكتفي بترجمة النص الأصلي فقط، وإنما:

> " يُضاف إلى الترجمة نفسها ملحقات مختلفة (حواش أو شروح أو تعليقات أو كل ذلك) تخضع لقواعد تحقيق المخطوطات ونشر الرسائل الجامعية أيضا."[2]

يتعامل المستشرق مع النص العربي بشكل خاص، إذ لا يكتفي بمجرد الترجمة والوقوف موقف المحايد أمام النص الأصلي، بل يتدخل في النص الأصلي عبر تحقيقه وشرحه، يجب أن لا ننسى أن المستشرقين الأوائل، أمثال 'سيلفستر دي ساسي'، لم يكونوا مجرد مترجمين عاديين، وإنما كانوا أيضا بمثابة منقبين عن الآثار، إذ يرجع لهم الفضل في إخراج الذخائر الأدبية العربية الكلاسيكية إلى الوجود بعد أن لفها غبار النسيان، وقاموا بتحقيق هذه النصوص التي كانت في الغالب غير معروفة ومدونة في مخطوطات قديمة، تكاد لا تكون مفهومة حتى للقارئ العربي نفسه. إن 'دي ساسي' مثلا كان قد حقق 'مقامات

---

[1] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**
[2] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**

الحريري' وشرحها باللغة العربية وقدمها للأوروبيين والعرب على السواء، وتضيف 'فدوى مالطي دوجلاس' قائلة:

"يضاف إلى هذا الموقف المعين من تحقيق النص وتقديمه ما نستطيع أن نعتبره جزءا أساسيا لهذا الموقف الاستشراقي يتكون من استخدام هوامش أو تفسيرات وتعليقات إلى درجة زائدة في النص. وبجانب هذا كله نلاحظ خاصية أخرى تبدو بوضوح في نظام الترجمة الاستشراقية، وهي استعمال قوسين معقوفين أو قوسين عاديين في ترجمة النص من العربية إلى الإنجليزية – أو بالفعل إلى أي لغة غربية." [1]

إذا كانت النصوص التي يقوم المستشرقون بتحقيقها توجه في معظمها إلى جمهور متخصص، ينتمي في معظمه إلى الحقل الأكاديمي، فإن هذا لا يعني أن الجمهور العادي مُقصى من المعادلة، ويضيف 'جاكمون'، قائلا:

" والواقع أن هذه الصفات المميزة للترجمة "الاستشراقية" هذه لا توجد فقط في المنشورات المتخصصة فقط، بل تتسرب أيضا إلى الترجمات الموجهة للجمهور العادي."[2]

غير أن القراء العاديين قلما يهتمون بما يترجمه المستشرقون، لأن ترجمات المستشرقين ترهق القارئ العادي أكثر مما ترفه عنه ولا تغريه بالقراءة، ذلك أنّ:

" القارئ غير المتخصص الذي يشرع بقراءة مثل هذه الترجمة سرعان ما تصدمه خشونتها وغرابتها الجذرية وافتقارها إلى الجاذبية، ويتعلم الاكتفاء بالمعرفة غير المباشرة التي تقدم إليه من خلال كتابات المستشرقين."[3]

وعن نفس الفكرة دائما، تضيف الباحثة 'فدوى ماطي دوجلاس'، قائلة عن التعليقات والحواشي الزائدة التي يضيفها المستشرق لنصه:

---

[1] فدوى مالطي دوجلاس. نفس المصدر. ص: 66.
[2] ريشار جاكمون. نفس المصدر. نفس الصفحة.
[3] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.

" وهذه الخصائص بجملتها تعالج النص ليس كأثر تاريخي فحسب بل تحوله إلى معوق لا يستطيع أن يتحرك دون سنّاد ألا وهي التعليقات. ونستطيع ملاحظة ذلك بوضوح في استخدام القوسين المعقوفين. لأن إحدى خصائص الترجمة الاستشراقية تتألف من تضمين كلمات في قوسين، وليست هذه الكلمات بالضرورة موجودة حرفيا في النص، لكن المترجم يظنها موجودة على مستوى ضمني في النص العربي."[1]

يجد المستشرق نفسه أثناء تعامله مع النصوص الكلاسيكية العربية، مجبرا على سلوك طريقة معينة في الترجمة، فهو إما أن يترجم النص العربي حرفيا، أو يترجمه ترجمة أكثر مجازا، وفي كلتا الحالتين لا يوفي النص الأصلي حقه، وذلك بسبب لصعوبة النصوص الكلاسيكية العربية، ولهذا السبب يضيف حواشي وتعليقات قد تزيد عن الحد المعقول:

" وبينما هذه العملية قد تكون ضرورية أحيانا إلا أن المترجم قد يستخدمها لكي يتجنب مسؤولية الاختيار ما بين ترجمة حرفية وترجمة أكثر مجازا، وبالرغم من ذلك فإن نتيجة هذه العملية تقود أحيانا إلى الإحساس – كما عبر عنه عالم عربي أمريكي مشهور – بعدم قدرة المؤلف العربي على الكتابة. ومن الواجب أن نفهم أثر التعليقات والتفسيرات الزائدة في هذا السياق. وهذه المعالجة – بالتالي- تدل ضمنا على أن النص يبقى غير مقروء دون هذه التعليقات المختلفة. نقدر أن نضيف – نتيجة لذلك – أن المستشرق ينظم أو يبني النص من جديد."[2]

يتفق 'ريتشارد جاكمون' هو ألآخر مع الباحثة 'فدوى مالطي دوجلاس'، حيث يقول في نفس السياق:

"ولا غرابة في أن مثل هذا التصور للترجمة يعزز نفس التمثيلات التي خلقها الاستشراق: فهو ينقش في بنية اللغة المستهدفة صورة "شرق معقد" كما قال ديجول، غريب ومختلف

---

[1] **فدوى مالطي دوجلاس. نفس المصدر. نفس الصفحة.**
[2] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.**

بشكل لا يمكن علاجه. وهو في الوقت نفسه، يسمح للاستشراق بأن يعيد تأكيد وضعيته بوصفه وسيطا ضروريا ومرجعيا بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية."[1]

إضافة إلى ما ذكره 'إدوارد سعيد'، فإن المستشرق يبحث وينقب عن كنوز الشرق الأدبية التي طمرتها رمال النسيان، ويسعى إلى تحقيقها عبر مقارنة المخطوطات بعضها ببعض، فهو يصحح الأخطاء ويقارن بين الشروحات باحثا عن الأفضل، ويترجم وينشر، ويشرح كل ما غمض في النص الأصلي، إنه وسيط بامتياز، فالنص الأصلي بحاجة إليه ليبعثه من جديد، والقارئ لا يستغني عن ملاحظاته القيمة، إنه كاتب موهوب.

" والشيء الذي يستحق التساؤل ليس هو موهبة المترجم الواضحة بوصفه كاتبا، بل افتراضه لقارئ جاهل تماما وهو غير قادر على استيعابه ما لم يجر توجيهه خطوة خطوة باليد الموثوق بها للمستشرق – المترجم العليم بكل شيء، والمدرب على فك ألغاز الشرق التي لولاه لاستحال سبر أغوارها."[2]

---

[1] **ريشار جاكمون. نفس المصدر. نفس الصفحة.**
[2] **ريشار جاكمون. نفس المصدر. نفس الصفحة.**

خاتمة الفصل الرابع:

يلجأ المترجم المستشرق إلى الحواشي والتعليقات في ترجمته للنصوص، وهو في ذلك له كامل الأعذار، فإذا كان القارئ العربي بحاجة إلى الشروحات المستفيضة لكي يفهم نصوصا كتبت بلغة لم يعد يفهمها، فكيف لا والقارئ الأوروبي يجهل كل شيء عن العالم والبيئة العربية الإسلامية.

يدافع المستشرقون دائما عن أنفسهم بتبني نفس الحجة، فهاهو 'شيربونو' مثلا، أحد مترجمي المقامات، يقول أن الأشخاص الذين يعرفون كتاب المقامات، خارج ما يعرف بكتب 'الشذرات والمختارات الأدبية العربية'، يعلمون جيدا أنه حتى أكثر العرب والمسلمين إحاطة بالأدب يحتاجون هم أيضا إلى التعاليق، التي تسهل عليهم عملية قراءة مقامات الحريري بسلاسة.

> « Il nous reste à parler de la traduction. Les personnes qui connaissent le livre des Mékamat autrement que par des fragments choisis, n'ignorent pas que les Orientaux les plus instruits ont besoin d'un commentaire pour n'être pas fréquemment arrêtés dans la lecture de Hariri. »[1]

بالإضافة إلى الاستراتيجيات المبررة، التي يتبعها المستشرقونن في ترجمتهم لعيون الأدب العربي، وبالأخص الأدب الكلاسيكي، فقد كان الفصل الرابع فرصة لنا لكي نبين كيف تتحكم العوامل الخارج نصية في عملية وحركة الترجمة، وهو ما تمت الإشارة له في كل من الفصلين الأول والثاني من هذا البحث. إن حركة الترجمة، تخضع لحاجات الادب المتلقي، الذي قد يلتفت إلى أدب ويترك سواه، أو قد يلتفت على ادب معين في فترة تاريخية معينة من فترات تاريخه، ثم يتركه في فترة لاحقة، والعكس صحيح. إن المثال العربي – الاوروبي، يعد أحسن مثال عن كيفية تاثير العقيدة الفنية السائدة، أو الشعرية، بالإضافة إلى الإيديولوجيا، في حركة الترجمة التي تمت خلال القرون الاخيرة.

---

[1] **Extrait des mékamat de Hariri: XXXe séance: La noce des mendiants, traduite en français, annotée et commentée par A. Cherbonneau. (Extrait no 12 de l'année 1845 du journal asiatique) Impr. roy, 1845. P. ix.**

الفصل الخامس:

دراسة تحليلية و نقدية لترجمة بعض مقامات الحريري.

التعريف بالمدونة:

إن الترجمة عملية شائكة، لطالما شكلت تحديا كبيرا للمترجمين، لا سيما إذا تعلق الأمر بنصوص إتباعية، مثل مقامات الحريري، ولكن وعلى الرغم من صعوبة ترجمة هذا النص الأدبي، إلا أن الترجمات موجودة فعلا، وهو دليل كاف على إمكانية الترجمة.

سأحاول من خلال هذه المدونة، أن أثبت أن العوامل الخارج نصية (conditions extratextuelles)، قد لعبت الدور الحاسم في قابلية المقامات للترجمة أو عدم قابليتها. إن مقامات 'الحريري' لم يكتب لها أن تترجم كاملة، فالمترجم الوحيد الي كان يريد ترجمتها بشكل كامل، حال موته دون إتمام هذه المهمة النبيلة. هناك مترجمون آخرون اكتفوا بترجمة مقامة أو اثنتين، لا لأنهم وجدوا هذا العمل الأدبي صعبا على الترجمة، وإنما لأن الذوق الأوروبي يأبى تقبل مثل هذا النوع من الأعمال، أما القلة القليلة التي أخذت على عاتقها ترجمة هذا المؤلف الضخم، فقد قاموا بذلك من موقعهم كمستشرقين.

سأبين أيضا أن أسلوب المستشرقين يختلف تماما عن أسلوب المترجمين العاديين. إن معظم تدريب المستشرق يحتوي على دراسة اللغات الكلاسيكية، وخصوصا اللغة العربية، ويتحول هذا التدريب اللغوي مبكرا إلى قراءة النصوص وترجمتها. ويبلغ المستشرق نضجه العلمي عند تمكنه من ترجمة النصوص، ومن ثم تحقيقها والتعليق عليها وتفسيرها، ويمتاز الاستشراق، إذن بالتركيز على النصوص وعلى التراث الأدبي الأعلى وبذلك يختلف عن المجالات العلمية الأخرى، كالتاريخ والفلسفة – على سبيل المثال، ومهما اختلفت المجالات التي يتعامل معها المستشرق، فإن تقليده اللغوي والنص يظل عماد تدريبه.وإذا أردنا أن نتكلم عن رؤية استشراقية خاصة، فينبغي علينا أن نفهم هذا اللب ومعانيه الضمنية. لأن الاستشراق يملك رؤية خاصة في النص تقوده إلى بناء النص والتعامل معه. ومن ثم تظهر فلسفة تساعدنا على فهم الاستشراق في حد ذاته.

تشتمل هذه المدونة على رصد لأهم العوامل الخارج نصية التي تحكمت في ترجمة المقامات، باعتبار هذا الموضوع يشكل اساس هذا البحث. كما تشتمل المدونة ايضا على أهم آراء المستشرقين الذي ترجموا مقامات الحريرين تتبعه مباشرة دراسة تحليلية مختصرة، لتبيين كيف قام المترجمان البريطانيان (توماس تشينري)، و(ثيودور بريستون)، بالإضافة إلى ثلاثة مترجمين فرنسيين آخرين، ويتعلق الأمر بكل من المستشرق (سيلفستر دي ساسي)، المستشرق (سالومون مونك) والمستشرق (غارسان دي تاسي)، بترجمة المقامات (الصنعانية، الإسكندرانية، الدينارية، السنجارية والكوفية)، ثم تليها في نهاية هذا البحث خاتمة، تعد بمثابة نتيجة عامة لهذا البحث.

1- العوامل الخارج نصية فى الترجمة.

العوامل الخارج نصية في الترجمة:

إن ضرورة توفر أو وجود النص الأصلي، هو أمر أساسي، بل يمكن القول أنه تحصيل حاصل، حتى تكون هناك ترجمة أو ترجمات لهذا النص، فلا يمكن للمترجم أن يترجم نصا غير موجود. في بعض الحالات يكتفي المترجم بترجمة الترجمة، أي الاعتماد على ترجمة سابقة في لغة أخرى للنص الأصلي، وهو ما أشرت إليه في الفصل الأول من هذا البحث، وهو ماقام به أيضا المترجم والمستشرق البريطاني (Chapellow)، الذي اعتمد على الترجمة اللاتينية لكي يترجم إلى الإنجليزية.

إذا ما عقدنا مقارنة بين مقامات 'الهمذاني'، ومقامات 'الحريري'، سيتبين لنا من الوهلة الأولى، أن مقامات الحريري، قد نالت اهتماما واسعا من قبل المترجمين المستشرقين، عكس مقامات الهمذاني، التي لم يترجمها جزئيا إلى الفرنسية سوى مستشرقين اثنين فقط، هما (Grangeret de laGrange) 'غرانجريه دي لاغرانج' و (Silvestre de Sacy) 'سيلفستر دي ساسي'، ومستشرق إنجليزي واحد، هو 'برندرغاست' (Prendegast) وذلك بغية نيل رسالة علمية.

لعل السبب الرئيسي وراء ذلك، هو توفر الكثير من المخطوطات الكاملة والواضحة لمقامات 'الحريري'، أما مخطوطات مقامات 'الهمذاني'، فقد عانت من كونها إما غير كاملة، ناقصة أو مختلفة عن بعضها البعض. وفي هذا الصدد يقول الباحث المغربي 'عبد الفتاح كيليطو' أن:

> " ينبغي التأكيد على المؤلف بخاصية أخرى: النص الكلاسيكي مشدود إلى الكتابة، حتى وإن لم يعرف في البدء إلا رواية شفوية، يتعين عليه أن يرد في صورة راسخة قارة، وإن لم يدرك دائما هذا الهدف. مخطوطات مقامات الهمذاني تختلف عن بعضها البعض في عدد من التفاصيل، على الأرجح لأن مؤلفها، الذي توفي في سن مبكرة، لم يسعفه الوقت لوضع اللمسات الأخيرة على كتابه وإنجاز نص نهائي، كما حصل لمقامات الحريري."[1]

إن الفرق بين الهمذاني والحريري، هو أن هذا الأخير كان قد أجاز نصه بنفسه وسهر على مراقبة عملية تدوينه وإعطائه شكلا راسخا، أما الهمذاني فلم يسعف الحظ مقاماته، لأنه وكما ذكر 'كيليطو'، كان قد توفي في سن مبكرة. ويضيف 'كيليطو' قائلا عن أهمية 'الإجازة' و'التدوين':

---

[1] **عبد الفتاح كيليطو. الأدب والارتياب. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2007. ص: 51.**

"ما أن تم الاعتراف بنصية كتاب الحريري حتى اكتسب مظهرا صلبا وغير قابل للتبديل، مظهر صخرة سيلتف حولها على مر القرون لبلاب دائم الخضرة، يكون نباتا ملتفا كثيفا. في حين أن النص المتداول شفهيا يتعرض أثناء انتقاله إلى تحولات قليلة أو كثيرة الأهمية، فإن النص المكتوب يُفلت عموما من تقلبات الذاكرة والخيال. من المعلوم أنه لم تكن لدى النساخ فكرة رفيعة جدا عن قدسية النص، ومن تحصيل الحاصل التذكير بالاستخفاف الذي أحاط نوعا ما بتدوين الشعر الجاهلي . غير أن المقامات تُقدم تصورا مغايرا عن عملية التدوين. فقد أشرف الحرير بنفسه على تطابق تدوينات كتابه ودقتها. بل أكثر من ذلك (...) وجد نفسه عاجزا أمام نصه وأنه لا يستطيع، حتى ولو رغب في ذلك، أن يُدخل عليه أي تعديل."[1]

ويضيف 'عبد الفتاح كيليطو' قائلا عن الفرق بين عمل 'الحريري' وعمل 'الهمذاني':

" نود أن نقترح، دون أن نكون قادرين على البرهنة على ذلك، أنه من الهمذاني حتى الحريري، تضاعفت أهمية الكتاب. لا يعني هذا أن الهمذاني يخرج عن إطار المكتوب، بل العكس تماما: لم يكن فحسب يملي مقاماته (...) غير أنه مع الحريري، نلاحظ أن التدوين ليس إلا مرحلة تمهيدية، ليس لها قيمة في ذاتها ما لم يوثقها المؤلف. يراقب هذا الأخير دقة النص، ثم يمهره بتوقيعه، مانحا بذلك الإجازة بتبليغه، وبتعليم النص، ومتوقيا بهذا كل محاول تزوير هذا التوقيع، مع إلزامه للناسخ، يرفعه إلى مرتبة المبلِّغ المرخَّص له."[2]

ويضيف 'كيليطو' قائلا:

" تشكل 'الإجازة' قيدا سواء للمتلقين أو للمؤلِّف. فلم يهد بوسع هذا الأخير التبديل في النص، ولو أحس بضرورة ذلك، إلا إذا استسلم لخيانة توقيعه وأن يرى رواج عدة نسخ مختلفة من كتابه."[3]

كذلك يمكن أن نضيف سببا آخر دعا المترجمين المستشرقين إلى الاهتمام بعمل 'الحريري'، وهو التأكيد على أن 'الحريري' كان قد نال شهرة قد فاقت شهرة 'الهمذاني' لدى العرب قبل الأوروبيين، إذ يرى المستشرق والمترجم 'تشينري' (الذي لم يشأ الحكم على المؤلِّفين)، أنه بغض النظر عن مميزات كلا

---

[1] عبد الفتاح كيليطو. المقامات: السرد والأنساق الثقافية. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. الطبعة الثانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. 2001. ص: 159.

[2] نفس المصدر السابق. ص: 160.

[3] نفس المصدر السابق. نفس الصفحة.

الكاتبين، ومهما كانت حسناتهم، فإن ذوق متكلمي لغة الضاد قد مال من دون أدنى شك إلى 'الحريري'، الذي بقي المتأدبون يتدارسون عمله، الذي لم يتوقف عن إمتاعهم وإذهالهم طيلة سبعة قرون، عكس عمل 'الهمذاني' الذي يقبلون عليه بدرجة أقل.

« Whatever may have been the real merits of the two writers, the taste of their countrymen has definitely decided in favour of Hariri, whose work has been for seven hundred years the delight of learned men, while that of Al Hamadani is now but little known. »[1]

تجدر الإشارة أيضا، أن ' عبد الفتاح كيليطو' كان قد أشار أيضا إلى أن عدد النسخ التي وقعها الحريري، وذلك في فترة تمتد على مدى اثنتي عشرة سنة، قد بلغت سبعمائة نسخة.

إن المستشرقين الأوائل، أمثال 'فونتور دو بارادي' أو 'ثيودور بيرستون'، أو 'سيلفستر دي ساسي'، واجهوا صعوبة في بادئ الأمر في الحصول على المقامات كاملة، لقد سعوا إلى الحصول على المخطوطات، التي كان يمتلكها هواة جمع المخطوطات النادرة أو أرستقراطيون أو ملوك أو كانت موجودة في المكتبات الأوروبية. وقد حاولوا أيضا إلى جانب سعيهم نحو الحصول على المخطوطات الأصلية، تحقيق ونشر النص العربي، فالمشكلة كانت تكمن في أن المخطوطات الأصلية كانت عسيرة على الفهم، ولا بد من أن يقوم أحدهم بشرحها، وطباعتها في مؤلف واضح حديث، وذلك حسب ما تعود عليه الأوروبيون.

لقد ذكر المستشرق (Rzewuski) 'رزيفوسكي' أن العديد من العلماء الأوروبيين كانوا قد حاولوا شرح ونشر وتحقيق بعض المقامات في لغتها الأصلية وإرفاقها بترجمة، في حين اكتفى البعض الآخر بنشر الترجمة فقط. إن عدد المقامات التي تم تحقيقها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، كانت قليلة جدا مقارنة مع العدد الإجمالي للمقامات، والذي يبلغ خمسين مقامة. كما أن عدم إصدار المستشرقين لنسخة محققة كاملة باللغة العربية بالإضافة إلى الترجمة، يرجع بالأساس - وذلك بحسب المستشرق 'رزيفوسكي' - إلى الصعوبة البالغة التي واجهتهم أثناء محاولتهم فهم واستيعاب معنى النص الأصلي الذي بين أيديهم.

[1] **Thomas Chenery. Op. CIt. P.**

« Ces assemblées ou conversations savantes, dont cet ouvrage est composé, sont au nombre de cinquante; elles ont différents surnoms relatifs à leur contenu. Plusieurs savants se sont occupés à en publier quelques-unes, en partie avec le texte, en partie en traduction seulement. L'extrême difficulté d'en saisir parfaitement le sens, est sans, doute la cause principale qui a empêché jusqu' ici la publication de l'ouvrage entier. »[1]

لقد أخذ المستشرقون الأوائل على عاتقهم ترجمة بعض مقامات الحريري، وإيراد النص العربي وشرحه إلى جانب الترجمة. كانت العملية في البداية أشبه بسباق نحو توفير مادة أدبية علمية غير متوفرة. يذكر المستشرق الفرنسي 'سيلفستر دي ساسي' في مقدمة كتابه الموجه لتعليم الطلبة: 'كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور' (Chrestomathie Arabe)، أنه ولكي يجعل عمله هادفا يحظى بالتقدير والعرفان، ولكي يجعله في مستوى تطلعات قرائه المتأدبين، سواء من أبناء بلده (أي الفرنسيين) أم الذين ينتمون إلى أقطار أخرى (عرب أو أوروبيين)، فقد حصر عمله في تحقيق وشرح وترجمة نصوص المقامات التي لم تُنشر أو لم يتم تحقيقها وشرحها أو ترجمتها من قبل.

« Pour rendre cette collection digne des savants tant nationaux qu'étrangers, et m'assurer quelque droit à leurs suffrages, je me suis fait une loi de ne donner aucun texte qui eût déjà été publié à l'époque où elle a paru. »[2]

كان ذلك دستور 'سيلفستر دي ساسي' في العمل والترجمة، لكنه سرعان ما يضع استثناءا، فبعد أن قام بترجمة المقامة السابعة ونشرها في كتابه التعليمي عام 1806 ميلادي، تبين له أن هذه المقامة قد تُرجمت إلى اللغة الألمانية ونُشرت في 'فيينا' عام 1802 ميلادي، من قبل المستشرق 'يان'. وقد أشار إلى أن اختيارهما لنفس المقامة قد وقع بمحض الصدفة، وأنه لم يكن بإمكانه التراجع عن نشر عمله، لأنه علم بذلك في وقت متأخر (أي بعد النشر).

---

[1] Joseph ¬von Hammer-Purgstall. Fundgruben des Orients, Volume 1. Schmid, 1809. P. 30.

[2] Antoine Isaac Silvestre de Sacy. Chrestomathie arabe, ou, Extraits de divers écrivains arabes, tant en prose qu'en vers, à l'usage des élèves de l'École spéciale des langues orientales vivantes, Volume 1. Imprimerie impériale, 1826. P. vii.

« On y trouve cependant, il est vrai, la septième Màkàma ou Séance de Hariri, qui avait déjà été imprimée dans la Chrestomathie arabe publiée à Vienne en 1802 par feu M. le professeur Jahn; mais c'est par un pur hasard que nous nous sommes rencontrés dans le choix de ce morceau, et il n'était plus temps de remédier à ce double emploi lorsque j'en ai eu connaissance. »[1]

لم تظهر النسخة الكاملة المطبوعة لكتاب المقامات إلا في عام 1809 – 1812 و 1814 ميلادي، وهي النسخ التي تعرف باسم 'طبعة كلكتا' (Calcutta)، نسبة إلى مكان طباعتها في الهند، وقد احتوى المجلدان الأول والثاني على النص العربي، بينما احتوى المجلد الثالث على معجم عربي- فارسي و قطعة من 'صحاح الجوهري' و'القاموس'. [2]

وقد قرر المستشرق الفرنسي الشهير (Caussin de Perceval) 'كوسان دو برصفال' نشر النص العربي الكامل عام 1818 ميلاي، ولم يتأخر بدوره المستشرق 'سيلفستر دي ساسي' عن نشر النص العربي الذي قام بتحقيقه وشرحه بالاعتماد على الشروح العربية (التي لم تكن مطبوعة هي الاخرى)، وأصدر كتاب المقامات في مجلدين في عامي 1821 و 1822 ميلادي.[3] وفي نفس السياق يعلق الباحث 'عبد الفتاح كيليطو':

"والشرح الأجدر بالملاحظة، أو الأكثر طرافة هو شرح 'سيلفستر دي ساسي' الذي نشر، في 1822، المقامات، ووضع لها شرحا مستفيضا، لا بالفرنسية، وإنما بالعربية....عبر هذا الشرح قرأ ' رينان' الحريري"[4]

لم يكن المستشرق 'رينان' فقط من قرأ "مقامات" 'دي ساسي'، بل كل تلامذة 'دي ساسي' نفسه والمستشرقين الذين جاؤوا من بعده. هاهو مترجم المقامات، المستشرق 'لويس ديلاتر'، يعبر عن سعادته بصدور هذا العمل الذي قام به 'سيلفستر دي ساسي'، معتبرا أن الطبعة الجديدة لمقامات الحريري باللغة

---

[1] **Ibid. P. vii – viii.**

[2] **Antoine Isaac Silvestre de Sacy, Joseph Toussaint Reinaud, Joseph Derenbourg. Séances de Hariri (Publiées en Arabe avec un Commentaire Choisi). Op. Cit. P. 65.**

[3] **Ibidem.**

[4] **عبد الفتاح كيليطو. من شرفة ابن رشد. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الأولى، 2009. ص: 40.**

العربية، والتي تعد بمثابة تحية رائعة استحقها فعلا الفقيه اللغوي 'الحريري'، ستترك دون أدنى شك أثرها النافع في حقل دراسة اللغة العربية.

> « La nouvelle édition de Hariri, éclatant hommage rendu au mérite de ce grand philologue, ne peut manquer d'exercer une salutaire influence sur l'étude de la langue arabe. »[1]

ويذكر الدكتور ' عبد الرحمن بدوي' أن المستشرق 'سيلفستر دي ساسي' كان قد: " طبع على - نفقته الخاصة- 1812 'مقامات الحريري'. وصدرها بمقدمة باللغة العربية المسجوعة. وانتشرت طبعته هذه في أوروبا وفي البلاد العربية على السواء. ولا تزال حتى اليوم أفضل طبعة."[2]

يُذكر أيضا أن كتاب 'المقامات'، لم يتم طبعه لأول مرة في البلاد العربية إلا عام 1850 ميلادي (1266 هجري) في القاهرة، وقد جاء هذا الكتاب مرفقا بشرح مختصر ولكنه أساسي، وقد تم هذا العمل بفضل 'الشيخ محمد التونسي'.

> « Enfin, il a paru au Caire, dans le cours de l’année 1266 (1850 de l’ère chrétienne) une édition des Macamas, accompagnée d’un commentaire court et substantiel. Cette édition a été dirigée par les soins du Sheikh Mohammed Tounessi. »[3]

لقد اعتمد 'دي ساسي' في تحقيق النص العربي وشرحه، على المخطوطات الموجودة بالمكتبة الفرنسية الوطنية، بالإضافة إلى اعتماده على مؤلفات شارحي مقامات الحريري، وكان هدفه الأساسي من نشر هذا الكتاب، هو جعله في متناول العرب والمسلمين والأوروبيين على حد سواء، وهو السبب الذي جعله يعزف عن كتابة أية ملاحظة باللغة الفرنسية، وقد اعتمد في ذلك على أهم الشروحات التي وجدها في المكتبات الوطنية الفرنسية في شكل مخطوطات. وقد ذهب 'دي ساسي' في بعض الأحيان إلى غاية إضافة

---

[1] Société Orientale. Revue de l’Orient de l’Algérie et des Colonies (Bulletin de la Société Orientale de France). Nouvelle série, Tome Sixième, Paris, 1857. P. 24.

[2] د. عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ص: 336.

[3] Ibidem.

شروحات بالعربية لاعتقاده بأن الشروح التي كتبها العلماء العرب غير كافية، وهي حالات نادرة كما أشار إلى ذلك في التنبيه الذي جاء في كتابه.

> « Son but *(De Sacy)* était de faire servir son édition à la fois aux Orientaux et aux Européens : voila pourquoi il s'abstint de toute remarque en français ; il se borna à extraire ce qu'il avait trouvé de meilleur dans les ouvrages nationaux. Quelquefois seulement, les scoliastes arabes ne répondant pas tout a fait à sa pensée, il rédigea lui-même des notes en arabe ; mais, ainsi qu'il le dit dans son avertissement, ces cas sont fort rares.»[1]

بلغ عدد مقامات الحريري، خمسين مقامة، من بين الخمسين، قام 'توماس تشينري' بترجمة ستة وعشرين (26) مقامة، مضيفا إليها عددا كبيرا من الحواشي والملاحظات القيمة، وقد صدرت ترجمته عام 1867 ميلادي.

يبدو أن العوامل والظروف الخارج نصية، (Conditions extratextuelles)، قد لعبت دورا هام في تقرير مصير ترجمة المقامات، والدليل على ذلك أن المترجم 'تشينري'، كان ينوي إكمال ترجمة المقامات الأربعة والعشرون المتبقية، وتحضير فهرس يشمل مجمل الأعمال التي وردت في الجزئين، ولكن استدعاؤه للعمل كمحرر في جريدة التايمز البريطانية، عام 1877 ميلادي، حال دون تحقيق هذه الآمال والتوقعات، ثم سرعان ما خطفه الموت سنوات قليلة بعد ذلك، عام 1884 ميلادي، لتبق المقامات الأخرى في انتظار من يترجمها.

> « The Great work of Hariri consists of fifty Makàmàt, or the Assemblies. Of these the late Mr. Thomas Chenery translated and published the first twenty-six, with copious and valuable notes, in 1867. He had fully intended to complete the translation of the remaining twenty-four, and also to prepare an Index to the two volumes. But called away to the editorship of the Times in 1877, his

[1] **Ibid. P. 57.**

hopes and expectations were never fulfilled, and he died in 1884, leaving his task un-finished. »[1]

إنّ للمؤسسات ذات الطابع الثقافي والأدبي دورها أيضا في اختيار النصوص والكتب القابلة للترجمة، ورفض سواها، فقد كُتب للمقامات الأربع والعشرين المتبقية، أن تُترجم سنوات بعد ذلك، ففي عام 1891 ميلادي، تم إعادة إحياء 'صندوق الترجمة الشرقية'، الذي كان موجودا من قبل في الفترة الممتد ما بين 1828 – 1878 ميلادي، وذلك مع الإبقاء على نفس التسمية، ولكن تحت سلسلة جديدة.

«In 1891 the Oriental Translation Fund, which had existed from 1828 to 1878, was revived under the same name, but as a new series. »[2]

إنّ ترجمة مقامات الحريري الأربع والعشرون المتبقية، وإضافة التعليقات والحواشي عليها، كانت من بين المهام التي تم إدراجها في سلم أولويات اللجنة، التي كلّفها مجلس الجمعية الملكية الآسيوية بتسيير مشاريع ترجمة المؤلفات الشرقية. وهكذا فقد تكللت مساعي المترجم الدكتور 'شتاينغس' بالنجاح، إذ تم قبول اقتراحه المتعلق بترجمة مقامات الحريري المتبقية.

« Among the works that came under the consideration of the committee appointed by the Council of the Royal Asiatic Society, the translation and annotation of the remaining twenty-four Assemblies of Hariri, proposed by Dr. F. Steingass, held an important place, and was accepted. »[3]

في بعض الأحيان، لا تكفي جهود المؤسسات الداعمة، لترجمة نص أو كتاب ما، بل يجب تدخل بعض الأفراد المتميزين. لعل من بين هؤلاء، نجد الدكتور 'شتاينغاس'، هذا المترجم الشغوف، سعى في أول الأمر بكل عزم ومقدرة، إلى الحصول على وشراء مائتين وخمسين نسخة غير مجلدة، من العمل الذي قام به المترجم المتوفى 'تشينري'ـ والتي كانت في حوزة منفذي وصيته (الأوصياء المعينين لحماية حقوق المؤلف بعد موته، والذين تمكن بفضلهم أيضا من الحصول على حقوق المؤلف. ليقوم في مرحلة ثانية،

---

[1] The Assemblies of Al Hariri. Translated from the Arabic with notes, historical & grammatical, by DR. F. Steingass. Op. Cit. P. vii.
[2] Ibidem.
[3] Ibidem.

وذلك خلال نفس فترة المفاوضات، بترجمة ما تبقى من مقامات الحريري، مضيفا إلى ترجمته بعض الشروحات والحواشي القيمة.

«By the courtesy of the executors of the late Mr. Chenery, two hundred and fifty unbound copies of his work were obtained and purchased, and during these negotiations, with zeal and ability Dr. F. Steingass translated the remaining twenty-four Assemblies, and explained them with important and valuable notes. »[1]

وليتخذ العمل الترجمي شكلا رسميا، فقد تمت عملية فهرست الجزئين، وتجليدهما. بالإضافة إلى ذلك فقد تم إضافة اسم الراعي لهذه العملية، في الغلاف الخارجي للمجلدين، ويتعلق الأمر بالممول: 'صندوق الترجمة الشرقية، السلسلة الجديدة'. تم كل ذلك عام 1898 ميلادي، ليشكل بذلك استمرارية قيمة وبناءة لأعمال هذه المؤسسة، التي رأت النور مجددا عام 1891 ميلادي.

«To the above a complete descriptive index has been added, and these two volumes, bound with the covers of the Oriental Translation Fund New Series, form the issue for 1898 in continuation of the works which have been annually published by the Fund since 1891. »[2]

تجب الإشارة إلى أن الدكتور المترجم 'شتاينغس' قد أكمل مهمته، المتمثلة في ترجمة المقامات المتبقية، تحت ظروف صحية متدهورة جدا، فقد وقع له أن أصيب بالعمى، خلال إحدى الفترات التي كان يزاول فيها مهمته، مما اضطره إلى تطليق العمل بشكل مؤقت، ثم سرعان ما عاد إلى ترجمة باقي المقامات وذلك بعد شفائه، متخذا كافة الاحتياطات بعد إجهاد عينيه في العمل.

« Dr. Steingass has completed his portion of the work under great physical difficulties. For some part of the time he was actually blind,

[1] **Ibid. P. vii – viii.**
[2] **Ibid. P. viii.**

and even after his recovery was obliged to be extremely cautious so as not to over-strain his eyesight. »[1]

مما سبق يمكن القول أن الموت أو المرض، قد يقفان حائلا دون إتمام الترجمة، والنص قد يصبح غير قابل للترجمة، بمجرد ما إن يقع المترجم تحت رحمة الظروف الصحية الخارجة عن إرادته.

إذا كان المترجمون البريطانيون قد ترجموا كل مقامات الحريري، رغم الظروف القاهرة التي واجهتهم وحالت في كثير من الأحيان دون إتمام ترجماتهم، فإن الحال لم يكن كذلك فيما يتعلق باللغة الفرنسية. إن المترجم الفرنسي 'مونك' (Munk) مثلا تخلى عن مشروعه الذي تمثل في ترجمة المقامات ونشرها بشكل كامل، ذلك أن محاولته لم تلق قبولا في فرنسا، فقد فكر هذا الأخير في ترجمة مقامات الحريري على نحو ما فعل الشاعر والمستشرق الألماني 'روكرت'، أي مع تقليد التركيب الأسلوبي والسجع الواردين في الأصل العربي، حيث بدأ بأن قدم ترجمة للمقامتين الأولى والثالثة، محاولا تقليد شكل النص العربي، لكن تأبي اللغة الفرنسية (كما يعتقد الفرنسيون) – بخلاف اللغة الألمانية – على هذا القالب المصطنع، حال دون المواصلة.

« Munk donne la traduction de la 1re et de la 3e Makama. A l'imitation de F. Rûckert, il essaya dans sa traduction d'imiter la forme de l'original arabe. Cette forme consiste en une prose rimée, entremêlée de vers . Si la langue allemande peut se prêter à rendre le parallélisme des phrases de l'auteur arabe, en français on ne peut pas se donner la même liberté. Aussi, malgré toutes les peines que Munk prit pour rendre ce texte, idées et phraséologie, ce qui était un véritable tour de force, son essai ne plut pas beaucoup, et il abandonna son projet de publier un choix des Séances de Hariri. »[2]

[1] **Ibid. P. ix.**
[2] **Gustave Dugat. Histoire des orientalistes de l'Europe du XIIe au XIXe siècle: précédée d'une esquisse historique des études orientales. Op. Cit. P. 200.**

2- بعض تعليقات المترجمين.

أسباب إحجام الأوروبيين عن معرفة الشرق

سأحاول فيما يلي أن أورد مجموع ما ذكره المترجمون المستشرقون في مقدماتهم، وأهم آرائهم التي عبروا عنا حينما تناولوا 'مقامات الحريري' بالشرح والترجمة.

تجدر الإشارة إلى أن ما سيرد في صفحات هذا البحث، هو غيض من فيض، ولا يمكن ذكر كل ما ورد من آراء هامة ومفيدة وقيمة، إن المستشرق والمترجم 'تشينري' مثلا، قد كتب قرابة الأربعمائة (400) صفحة من التعليقات والحواشي والتفاسير، ضمنها آراءه الخاصة، لذلك فمن غير الممكن ذكر جل ما ورد من آراء لأن ذلك سيخل حتما بهذا البحث. نتيجة لذلك فقد ارتأيت أن أذكر بعض التعليقات، التي رأيت أنها قد تخدم موضوع البحث.

في مقدمته، لمقامات الحريري، يذكر 'تشينري' منوها قراءه، أن بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية، شرخا حضاريا كبيرا، هذا التصدع، لا يمكن لأي عبقرية إنسانية، أو تسلسل للأحداث رأبه. ثم يضيف معلقا، أن أكثر الشرقيين شهرة على الإطلاق، سواء في ميادين الحرب أو السياسة، في الأدب أو العلم، ليسوا سوى مجرد أسماء صغيرة عند الأوروبيين.

> « Between the civilizations of Christendom, and Islam there is a gulf which no human genius, no concourse of events, can entirely bridge over. The most celebrated Orientals, whether in war or policy, in literature or learning, are little more than names for Europeans. »[1]

قلة هم الطلاب الأوروبيون، حسب 'تشينري'، الذين قرروا، بعد أن أنهكتهم وأتعبتهم الطرق الرومانية والإغريقية التي ألفوا سلوكها فأصبحت "مضجرة ومملة"، أن يسلكوا دروبا جديدة تأخذهم في جولة إلى كنوز المعرفة الشرقية. إنّ هذه الدروب الشرقية، لطالما بدت للمتعلمين والمثقفين الأوروبيين، كغابة مرهقة، ليس من السهل دخولها.

> « A student here and there, weary of the beaten track of Greek and Roman antiquity, may wander into the paths of Eastern knowledge,

[1] **Thomas Chenery. The Assemblies of al Harîri, translated from the Arabic with an introduction, and notes (Historical & Grammatical). Vol I, Containing the first Twenty-six Assemblies. Williams & Norgate, London. 1867.. P. 1.**

but to the great number of educated men they appear but an impassable jungle, into which it is wearisome and useless to penetrate.»[1]

نلمس من هذه المقدمة البسيطة، أن 'تشينري'، يحاول أن يقدم نفسه، على أنه من القلة التي آثرت ولوج هذه الغابة، ورأب الصدع بين الحضارتين، بصفته مترجما. في فقرة أخرى، يذهب معللا، إلى أن السبب الذي يقف وراء ذلك، كان دائما يكمن في الصعوبة الكبيرة التي تميز لغة المحمديين (أي العرب المسلمين)، والاعتقاد بأن حضارة المسلمين، هي رمز لحضارة راكدة متخلفة، أصبحت كذلك بسبب دينها المتخلف. كل هذه الأسباب، تعتبر كافية لرد الكفاءات الأوروبية الغربية، وتوجيههم صوب ميادين أكثر نفعا وأكثر انفتاحا.

« The transcendant difficulty of the chief language of the Mohammedan world, and the belief that it represents only an arrested civilization and a decaying religion, are sufficient to turn the intelligence of the West to what appear to be more open and more profitable fields. » [2]

لهذه الأسباب، يرى المترجم، أنه كان من الضروري، بل ولزاما أن يتم تقديم، هؤلاء الكتاب العرب المشاهير، الذين يلقون احتراما وإجلالا في بلادهم، أن يتم تقديمهم من طرف مترجم إنجليزي، إلى أبناء بلده الذين لا يعرفون عنهم شيئا. من بين هؤلاء الكتاب الغير معروفين، رجل البصرة: 'الحريري'.

« For these reasons it is necessary that even the most esteemed and famous of Arabic writers should be introduced by an English translator as if they were almost unknown to his countrymen. I may assume without danger that this is the case with Al Hariri, of Basra. »[3]

[1] **Ibidem.**
[2] **Ibidem.**
[3] **Ibidem.**

اختلاف الأذواق الأدبية:

يقول المترجم 'تشينري' بكل ثقة، وهو متأكد تمام التأكد، أنه لا يمكن للأوروبيين أن يعجبوا بالحريري، السبب بسيط، فالأوروبيون المعاصرون، يتسمون بسمة مغايرة، إنهم يتابعون الموضة وكل ما هو جديد، لا يقرؤون نفس الكتاب، ولا يتبعون نفس أساليب اللهو والتسلية، هؤلاء الأوروبيون لا يصبرون على قراءة هذا النوع من المؤلفات الرتيبة، تلك الرتابة التي لم تكن موجودة حتى عند الأجيال الأوروبية في العهود السابقة.

> «We modern followers of fashion, who cannot read the same authors, follow the same amusements, or wear the same shaped clothes two years together, have an impatience of monotony unknown even to our own European race in former ages. »[1]

وسرعان ما يعقب المترجم 'تشينري' قائلا، أن العرب يفضلون هذا النوع من الأعمال، بل إنهم دوما يتشبثون بالتقاليد الأدبية القائمة، وهي خاصية جديرة بالملاحظة عند الشعوب السامية خاصة. ويضيف قائلا، إن المرء يلاحظ أن أجيال تلو الأخرى من الكتاب يفضلون، بل ويستمتعون في إخراج تنويعات عديدة لموضوع واحد. إن ذلك إشارة واضحة لمقلدي الحريري، الذين لم يضيفوا شيئا طيلة قرون عديدة، واكتفوا بالتقليد، والإنشاء على حسب النموذج الأصلي، الذي يتخذ مكانة أشبه بالمقدسة، وكأنه قانون أسمى لا يجب الحياد عنه. في أذهان هؤلاء المقلدين الذين لا يخافون من أن يلومهم أحد على تقليدهم، إن أمرا كهذا لا يمكن له أن يحدث.

> «This clinging to established forms is especially remarkable among the people of the Semitic race. Successive generations of writers are content to produce variations upon a single theme. To fear the reproach of imitation never enters the mind of those to whom the prevalent usage has almost the sanctity of a law. »[2]

---

[1] **Ibid. 59.**
[2] **Ibidem.**

يعطي فيما بعد المترجم، نماذج عديدة لهذا التقليد الأعمى القاتل للأدب، ولكنه سرعان ما يذكر معاصرا له، وهو 'ناصيف اليازجي'، الذي يصف عمله بأنه بسيط حد الجمود، ولا يختلف في بنيته عن الانتاجات الأدبية التي جاءت قبله منذ تسعة قرون.

«The Assemblies of Nasif al Yazaji, composed within the last few years, are as rigidly simple in their structure as the productions of eight hundred years ago. »[1]

الترغيب في قراءة الأدب العربي:

في مكان آخر، يحث المترجم على قراءة هذا النوع من الأدب، و لاسيما مقامات الحريري، لأن من يقرأ هذه الكتب وشروحاتها، ستكون لديه نظرة عامة، على كل فروع وأقسام الثقافة العربية الإسلامية: سواء أكان ذلك في النحو، علم المعجم، البلاغة، الشعر، التاريخ، آثار الأقدمين، التراجم والسير، العادات والأقوال الشعبية، الفقه، التقاليد الدينية، القوانين المدنية والشرعية، كل ذلك يدخل في هذا العمل الأدبي، الذي يمكن اعتباره، 'خلاصة وافية' لما يسميه المترجم بـ'القضايا البارزة'، وذلك في شتى ميادين المعرفة.

«It is not too much to say that whoever has read the Assemblies and their commentators, will have formed a notion of every department of purely Arabic and Moslem culture. Grammar, lexicography, rhetoric, poetry, history, antiquities, biography, popular customs and sayings, theology, religious traditions, civil and ecclesiastical law, — all enter into the work ; which is, as it were, a compendium of " leading cases," in all sorts of studies. »[2]

يحاول المترجم في مكان آخر، أن يأخذ بيدي القارئ، ويعرفه على أهم أسباب إنشاء مقامات الحريري، مشيرا، إلى أن هذا العمل جاء نتيجة لبداية تدهور اللغة العربية، لقد حاول الحريري، حماية هذه اللغة الجميلة، وذلك عبر مقاماته، يذكر لنا المترجم، مثالا على ذلك، وهو المتعلق بالخليفة (الوليد ابن عبد

[1] **Ibid 62.**
[2] **Ibid 63.**

الملك)، الذي على الرغم من أنه عاش خلال القرن الأول الهجري، إلا أنه كان يتحدث لغة محرفة، جعلت منه بالكاد يكون مفهوما من طرف قبائل الصحراء العربية، الذين كانوا مازالوا محافظين على نقاوة لغتهم.

> «Even so early as the close of the first century of the Hijra, the great Khalif, Welid ibn 'Abd el Melik, spoke so corrupt a dialect that he could not make himself understood by the Arabs of the desert. »[1]

إن المترجم المستشرق، يعمل كوصي على القارئ الأوروبي، ويحاول أن يكون بالنسبة إليه كمعلم، فيضيف معلقا على أسباب تدهور اللغة العربية، التي لم تعد نقية كما كانت، إن ذلك يرجع بوضوح إلى كون الإمبراطورية الإسلامية، كانت في أوج اتساعها، لقد كانت تمتد من 'كشغر' (في الصين) و 'ملتان' (في باكستان) شرقا، إلى أن تصل إلى المغرب الأقصى وجبال 'البيريني' (في فرنسا) غربا، إن الرجل العربي الأديب، كان هو الآخر معرضا لتحريف لغته النقية، لكونه يعيش مجاورا لأناس من أجناس عديدة.

> «Within a century of Mohammed's flight from Mecca, the Moslem empire stretched from Kashgar and Moultan to Morocco and the Pyrenees, and the Arab man of letters was exposed to the corrupting propinquity of men of many different races. »[2]

صعوبات ترجمة مقامات الحريري:

من بين الصعوبات التي واجهها المترجم، هو استعمال الحريري التعبيرات والصيغ النادرة، إن القارئ الأجنبي لن يلاحظ الفرق حين يقرا الترجمة الإنجليزية، فقط القارئ العربي هو من سيلاحظ ذلك، هذا من جهة، من جهة أخرى فإن استعمال التعبيرات والصيغ النادرة ترهق المترجم، إنها إحدى الصعوبات الرئيسية في هذا العمل. قد يظن أحدهم أن 'الحريري' أرهق نفسه بالبحث عن هذه الدرر الثمينة، (كما رأينا ذلك آنفا مع إرنست رينان)، لكن 'تشينري' سرعان ما يرد مؤكدا، أن الحريري كان يتصرف بعفوية حينما كان يضيف هذه التعبيرات في عمله.

---

[1] **Ibid 65.**
[2] **Ibid 66.**

«In the same way the use of rare expressions, which forms one of the chief difficulties of the work, may be conceived to be more spontaneous than it at first sight appears. »[1]

ليست الصيغ القديمة هي الصعوبة الوحيدة التي يواجهها المترجم، فعمل الحريري لم ينحصر في هذا المجال فحسبن بل بالعكس، يرى المترجم 'تشينري'، أن الكاتب كان يستمتع بإدخاله بعض الجمل المحلية التي كانت تعبر عن حال العراقيين. إن أصالة هذا الكاتب تتجلى في كونه استطاع أن يمزج بين القديم والجديد، كلمات غريبة بجانب كلمات لم تعد مستعملة، كل ذلك جنبا إلى جنب مع كلمات أخرى مقترضة من الفارسة والإغريقية.

«The Assemblies, indeed, are far from restricted to antique words and phrases; on the contrary, they are in some respects extremely unclassical, inasmuch as the author delights to introduce the provincial expressions, and to refer to the manners of Irak. There is a singular mixture of old and new in the work ; strange and obsolete words ... stand side by side with others that have been borrowed from the Persians and the Greeks. »[2]

ويضيف 'تشينري' قائلا: "من الصعب على الرجل الإنجليزي، أن يفهم الذوق الأدبي، الذي أعطى لهذه المحاولات أهميتها الخاصة.

«….it is difficult for Englishmen to understand the literary taste which attached such importance to them. » [3]

إن ما يجعل من عمل الحريري صعبا على الترجمة، هو احتواء كل صفحة من كتابه، على كلمات قديمة، وقد وصفها بأنها بمثابة أحجار رومانية تزين جدران فيلا إيطالية حديثة. ليس ذلك فحسب، بل غن مقاطع كاملة جاءت مرصعة بعبارات منسية، هذه العبارات وقفت جنبا إلى جنب مع جمل أخذت من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأقوال عبارات لشعراء معروفين.

[1] **Ibid 89.**
[2] **Ibid 77.**
[3] **Ibidem.**

«Every page of Hariri's work contains some of these relics of a past time, and they are imbedded in the Assemblies like the stones of a Roman ruin in the walls of a modern Italian villa. Whole passages are but a cento of primeval phrases, mingled with sentences of the Koran or the Traditions, and remarkable idioms from poets of repute. »[1]

يتبنى المترجم المستشرق "تشينري' بطريقته نظرية النسبية اللغوية، إذ يرى أن الطالب الذي يتعلم العربية، سيلاحظ حتما، أن اللغة مطواعة في التأليف، إنها تمنح نفسها للكاتب، وتساعده على تحقيق الإيقاع الصوتي في مقاماته .

«The Arabic student cannot but perceive that the language lends itself with singular readiness to responsiveness and parallelism of sound, and that assonance and paronomasia offer themselves almost unbidden. The triliterity of the root, and the ramification from it of a vast number of forms, each of which has an accordance of sound with the same form of other roots, give a natural and inevitable similitude to Arabic words, which forces itself on the attention of the orator and his audience. »[2]

تعليق المترجمين على الترجمات الأخرى:

يشير 'تشينري' أيضا غلى بعض المحاولات الجزئية الأخرى، التي قام بها مترجمون سابقون لترجمة المقامات، من أمثال 'تشولتنز' الذي قام بترجمة المقامات إلى اللغة اللاتينية أو اللغات الأوروبية الحديثة، قائلا بأن النتائج كانت متراوحة بين النجاح والإخفاق. دون أن ينسى ذكر 'دي ساسي' الذي قدم ترجمتين دقيقتين كعادته طبعا.

“From the time of Schultens, versions of parts of Hariri's work have been made into Latin or modern European tongues with more or less

[1] **Ibid. 90.**
[2] **Ibid. 91**

success. Schultens translated six Assemblies ; De Sacy in his Chrestomathie has given two with his usual accuracy. »[1]

ترجمة أخرى لم ترق 'تشينري' وقد تمت باللاتينية، من عمل المترجم 'بايبر' (Piper)، صدرت هذه الترجمة عام 1832 ميلادي. يعلق 'تشينري' عن المترجم، قائلا: إما إن هذا المترجم لم يكن متمكنا تماما من مهمته، أو أنه لم يكلف نفسه عناء، الحصول و تمحيص أحسن النسخ للأصل العربي، ذلك أن ترجمته مليئة بالأخطاء، ليس ذلك فحسب، إن هذه الترجمة قد كتبت بلاتينية أكاديمية فجة، مثل تلك التي يستعملها الأساتذة في حلقات الدرس، هذه الترجمة، لا تنقل لا من حيث الشكل أو المحتوى، أي فكرة عن النص الأصلي.

« Other partial attempts have been made by different scholars, but the renderings are said to be extremely defective. A Latin version of the greater part of the work was published by C. E. S. Peiper, in 1832, but the translator was either not fully competent for his task, or else did not take the pains to obtain and study the best edition of the original, for his book abounds with errors. It is, moreover, written in the worst style of professorial Latin, and conveys in its form and spirit no idea of the original. »[2]

يعلق 'تشينري' على ترجمة، من يسميه بأستاذ اللغة العربية المبجل في جامعة 'كامبردج'، أن ترجمة هذا الأخير تستحق الثناء، ثيودور بريستون الذي قام بترجمة 'عشرين مقامة' من مقامات الحريري. ثم يضيف معلقا، أن هذه الترجمات حتى وإن كانت ترجمات دقيقة وذات أسلوب أكاديمي دقيق، فإن خطأ مترجمها الوحيد، هو استغراقه في الإسهاب، وهو الأمر الذي أدى إلى تبديد الإيقاع والأسلوب اللذان يميزان مقامات الحريري عموما.

«A more worthy rendering is that of Mr. Preston, Laudian Professor of Arabic at Cambridge, who has published an English version of twenty of the Assemblies. Mr. Preston's translation is throughout accurate and

[1] **Ibid. 94.**
[2] **Ibid. 100.**

scholarly, and its only fault is excessive amplification, in which the rhythm and diction of Hariri are almost dissipated. »[1]

عن ترجمته، يحاول 'تشينري' أن يُفهم القارئ بأن مابين يديه، هو أول محاولة لترجمة كاملة لمقامات الحريري، أول عمل أيضا يحتوي هذا الكم من الحواشي والتعليقات، عمل كفيل حسبه بتعليم القارئ العادي، ومساعد الطالب في تلقي المعرفة المحتواة بين دفتي النص الأصلي. إلى أي مدى كان عملي موفقا؟ يتساءل المترجم المستشرق، لترك في النهاية الإجابة لقرائه، لأنهم وحدهم من سيقرر، إن كان العمل موفقا أم لا.

«The book which is now offered to the public is, I believe, the first attempt at a complete translation of Hariri's work with such annotations as shall both instruct the general reader and aid the student to acquire a knowledge of the original. How far the object has been achieved, it is for others than myself to determine. »[2]

أما المستشرق 'مونك' فقد قال عن أسلوبه في الترجمة: " لقد أردت إعطاء القارئ الفرنسي لمحة عن أسلوب الحريري، باتباع منهج يهوذا الحريزي في ترجمته العبرانية، ونموذج 'فريديرش ريكرت' في ترجمته الألمانية، التي عنونها بـ'تحولات أبو زيد'

« J'ai voulu essayer de donner au lecteur, français un échantillon du style de Hariri, en suivant l'exemple donné par le rabbin Harizi, dans sa traduction hébraïque, et - par M- Frédéric Ruckert dans ses. Métamorphoses d'Ahou-Zeid. »[3]

---

[1] Ibidem.
[2] Ibid. 104.
[3] Nouveau journal asiatique: ou recueil de mémoires, d'extraits et de notices relatifs aux études orientales, Volume 14. Société Asiatique, Paris, Imprimerie Royale, 1834. P. 554.

3- تحليل ترجمات بعض مقامات الحريري.

دال- تحليل ترجمة بعض مقامات الحريري:

أ- المقامة الصنعانية (الأولى):

المقامة الأولى، وتعرف بالصنعانية، تتضمن ظهور أبي زيد، في مظهر الواعظ ثم كشف حاله بعد ذلك.

النص بالعربية:

" "لمّا اقتَعدْتُ غاربَ الاغتِرابِ. وأنْأتْني المَترَبَةُ عن الأتْرابِ. طوّحَتْ بي طَوائِحُ الزّمَن. الى صنْعاء اليَمَن. فدَخَلْتُها خاويَ الوفاض. باديَ الإنْفاض. لا أمْلِكُ بُلْغَةً. ولا أجِدُ في جِرابي مُضْغَةً. فطَفِقْتُ أجوبُ طُرُقاتِها مِثْلَ الهائِم. وأجولُ في حَوْماتِها جَوَلانَ الحائِمِ. " [1]

ترجمة تشينري:

« When I mounted the hump of exile, and misery removed me from my fellows, the shocks of the time east me to **San'a of Yemen**. — And I entered it with **wallets** empty, manifest in my need ; I had not a meal ; I found not in my sack a mouthful. — Then began I to traverse its ways like one crazed, and to roam in its depths as roams the thirsty bird.»[2]

ترجمة بريستون:

« When I was journeying on a camel’s bump in foreign lands.
Depressing want having exiled me from my country,
The vicissitudes of the times drove me to **Sanaa in yemen**,
Where I arrived, with my **scrip** empty, my destitution apparent,

[1] **الشريشي. شرح مقامات الحريري. الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت، 1992. ص: 48 – 53.**

[2] **Thomas Chenery. The Assemblies of al Ḥarîri, tr. with an intr., and notes, by T. Chenery. Oxford University. 1867. P. 108.**

With no means of sustenance in my possession.
And not a mouthful to be found in my wallet:
So I began to traverse its streets like one distracted,
And to roam about its quarters, as a bird soars over water.»[1]

ترجمة صامويل مونك:

« Forcé par la misère — de visiter une terre étrangère, — je préparai le bâton du voyage et je me séparai des compagnons de mon âge ; — et voilà que le sort me mène — à Sanaa, dans le Yémen. — En y entrant, je vis dépouillée ma valise, — pas de souliers ni de chemise, — pas un sou à cacher dans ma poche, — rien à mâcher dans ma sacoche. — Je parcourus, les rues comme un homme qui flâne, — je volai par les allées comme un oiseau qui plane. »[2]

شرح الألفاظ:

" اقتعدت: أي ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قَعودا، وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه.

الغارب: مقدم سنام البعير. والاغتراب والغربة: التحول في البلدان والبعد عن الأوطان. وأراد لما اتخذت ظهر الغربة قَعودا.

أنأتني: أبعدتني. المتربة: الفقر. الأتراب: الأصحاب على سنن واحد. طوّحت: رمت.

طوائح: نوائب؛ تقول: طوحت بالرجل، إذا رميت به إلى الهلاك، وقياس الطوائح المطاوح لأنك تقول: طوحت فهي مطوحة والجمع مطوحات ومطاوح.

---

[1] **Theodore Preston. Makamat: Or, Rhetorical Anecdotes. Oriental translation fund, 1850 . P. 72.**
[2] **Samuel Munk. Essai d'une traduction précédé de quelques observations sur la poésie arabe. *Journal Asiatique*, décembre 1834. P. 556.**

صنعاء: بلد باليمن، وأضافها غلى اليمن، لأن ثمّ صنعاء أخرى، وهي قرية بمشق. وكان اسم صنعاء في القديم 'أزال'

خاوي الوفاض: فارغ المزاود، ويقال: خوى الرجل، إذا سجد فترك بين جسده، وبين الأرض خواء، وخوّى البعير،: برك على هذه الحال. الوفاض: جمع وفضة وهي شبه الجراب، وهي ايضا كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت مكن خشب مجلد أو غير مجلد فهي كنانة أو عجبة.

بادي الإنفاض: ظاهر الفقر، وقد أنفض، إذا فنى زاده. وأنفض الجراب إذا انتفض، وسقط ما فيه من بقية الزاد.

الجراب: وعاء من جلد يصنع للزاد – مضغة: لقمة.

طفقت: أخذت وجعلت. ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه. أجوب: أقطع وأخرق. وجوْب الأرض: قطعها بالمشي. الهائم: الحيران. أجول: أتصرف. حوماتها: جهاتها. الحائم: الطائر العاطش يحوم حول الماء، أي يدور به." [1]

تتميز ترجمة 'تشينري' بكونها بسيطة، فهي تؤدي المعنى العام، وإن كانت لا تتوافق مع الأصل من ناحية دقة الألفاظ، فقد ترجم 'الوفاض' بـ (Wallets)، والتي تعني (جيوبي). وإن كانت هذه الترجمة بعيدة عن الأصل، إلا أن المترجم لم برى بُدًّا من الإشارة إلى المعنى الدقيق في الحواشي.

ننتقل الآن إلى 'صنعاء اليمن'، لقد قام المترجم أيضا بترجمة شرح 'الشريشي' حرفيا عن صنعاء اليمن، حيث قال:

> « San'a of Yemen. — San’a is thus specified by the author to distinguish it from another place of the same name, near Damascus.» [2]

[1] **نفس المصدر السابق. نفس الصفحات.**

[2] **Ibid. P. 279.**

لكن 'تشينري' لا يكتفي بالشرح فقط، إذ سرعان ما يسرد تاريخ 'صنعاء'، في أكثر من صفحة، وذلك على غرار 'الشريشي'، ويمكن القول أنه لم يترجم الحريري فقط، وإنما ترجم 'شرح الشريشي' أيضا.

قام 'بريستون' هو الآخر بشرح 'صنعاء اليمن' في الحواشي، مكتفيا بترجمة 'شرح الشريشي'، ليتجاوزه إلى سرد كل الأحداث التاريخية التي عرفتها هذه المدينة في أكثر من صفحة.

> « Shareeshi informs us that Hariri speaks of 'Sanaa in Yemeny in order to distinguish it from another Sana'a, a village of Damascus. » [1]

أما ما يلاحظ على ترجمة 'بيرستون' فهو استعماله لبعض المفردات الملائمة جدا للنص العربي القديم. لقد استطاع توظيف كلمة (Scrip) التي تعني بالإنجليزية:

> «A small bag, wallet, or satchel, *esp.* one carried by a pilgrim, shepherd, or beggar.» [2]

ماعدا ذلك فمفرداته الأخرى كانت موفقة، مثل كلمة Mouthful، التي تعني لقمة بالإنجليزية.

يبدو للوهلة الأولى، أن 'تشينري' كان محقا حينما وصف ترجمة 'بريستون' بالمسهبة. أما 'تشينري'، فقد جاءت ترجمتخه سلسة وعذبة في نفس الوقت، مركزة ودقيقة للغاية، ويبدو أن كلتا الترجمتان قد حافظتا على المعنى. إنّ ما أورده 'تشينري' في جملة قصيرة، لم يستطع 'بريستون' أن يؤديه إلا في جملتين، وإن كانت ترجمته في واقع الأمر رائعة، هي الأخرى.

أما فيما يتعلق بترجمة المستشرق 'صامويل مونك'، الفرنسي الجنسية، فقد فضل ها الأخير التقيد بالمبنى، ولا يعني ذلك أنه أهمل المعنى، بل بالعكس فقد وفق في الحفاظ عليه أيضا، وهو ما يمنحه ترجمته تميزا خاصا، في الأخير تجدر الإشارة إلى أن الكلمات التي وضعت تحتها سطرا، هي المواقع التي تحقق فيها السجع.

---

[1] **Ibidem.**
[2] **Shorter Oxford English Dictionary. (Electronic edition).**

ب- المقامة الإسكندرانية:

المقامة التاسعة، وتعرف بالإسكندرانية، تتضمن مخاصمة أبي زيد لامرأته، وقيامه ببع أثاثها.

"طَحا بي مَرَحُ الشّبابِ. وهوَى الاكتِسابِ. الى أن جُبْتُ ما بينَ فرْغانَة. وغانَة. أخوضُ الغِمارَ. لأجْني الثّمارَ. وأقْتَحِمُ الأخْطارَ. لكَيْ أُدرِكَ الأوْطارَ."

ترجمة تشينري:

« The liveliness of youth and the desire of gain sped me on until I had traversed all that is between ***Farghanah*** and **Ghanah**. — And I dived into depths to gather fruits, and plunged into perils to reach my needs.» [1]

ترجمة بريستون:

«The **alacrity**, of youth and desire of gain led me on,
Till I had traversed all between **the remotest East and West**
While I plunged into each difficulty, to gather my fruits,
And braved every danger in order to attain my objects. » [2]

ترجمة البارون سيلفستر دي ساسي:

« Emporté par le feu de la jeunesse et le désir de faire fortune, je parcourus tout l'espace qui est entre **Fergana et Gana**. je me plongeais dans les gouffres les plus profonds pour cueillir quelques

[1] **Thomas Chenery. Op. Cit. P. 152.**
[2] **Theodore Preston. P. 93 – 95.**

fruits, et j'affrontais tous les dangers pour atteindre l'objet de mes vœux. »[1]

شرح الألفاظ:

" طحا بك قلبك ووهمك طحوا وطحياً: ذهب بك، وطحا الله الأرض. ودحاها: بسطها.

مرح الشباب: نشاط الفتوة. جبت: قطعت ومشيت.

فرغانة: بلاد من بلاد السودان، وإليها ينتهي التجار، والمدخل إليها من سجلماسة، ومن سجلماسة إليها، مسافة ثلاثة أشهر، ومن غانة إلى سجلماسة شهر ونصف...قوله: "جبت مابين فرغانة وغانة"، ما هاهنا بمعنى الذي، كأنه قال: جبت الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق، وغانة التي هي اقصى المغرب من البلاد والقفار، والبحار لكسب المال، فماهي التي أوجبت لما بين البلدتين ما ذكر أن يعم بالشيء، ولو سقطت لم يلزم العموم.

أخوض الغمار: أي أدخل المياه الغزيرة فأجوزها، أقتحم الاخطار: أي أترامى في المخاوف. والخطر: الغرر.

الأوطار: الحاجات."[2]

يبدو أن 'فرغانة' في ترجمة 'تشينري' قد بقيت على حالها، ولذلك يجب أن نعود إلى الحواشي، ونرى ما يقترحه المترجم من معلومات ضافية وقيمة.

«Between Farghdnah and Ghanah. — Between the two extremities of the Moslem world. Farghanah is the name of a region and city of Mawarannahr or Transoxiana, and is now contained in the Khanate of Kokan. It lies close to the borders of the Chinese Empire, between Kokan and Kashgar. It was in former times a place of much

[1] **Antoine Isaac Silvestre "de" Sacy. Chrestomathie arabe, ou extraits de divers écrivains arabes, tant en prose qu'en vers, Volume 3.** ***Chrestomathie arabe, ou extraits de divers ecrivains arabes, tant en prose qu'en vers*****, Antoine Isaac Silvestre "de" Sacy. Imprimerie imperiale, 1806. P. 393.**

[2] **الشريشي. نفس المصدر. ص: 333- 338.**

importance, having a الهيكل or temple of the Sun, built by the Persians, which the Khalif Mo'tasim destroyed. It is described as being distant fifty-three parasangs from Samarcand, on which it was dependent. The building of it is ascribed to the Persian monarch Nushirvan, who transported to it people from other cities. Farghanah was conquered by the celebrated general Kotaybet ibn Muslim in the year 95 (a.d . 713towards the end of the reign of Welid ibn Abd al Melik ,and here too he was slain after he had thrown off his allegiance to Sulayman.» [1]

إذن يبدو جليا أن 'فرغانة' تقع في منطقة بلاد ماوراء النهرين، التي عبر عنها المترجم بـ (Mawarannahr)، ليترجمها لاحقا، وذلك حتى يفهمه قراؤه بـ (Transoxiana)، وذلك للإشارة إلى منطقة وسط آسيا، هي منطقة تاريخية وجزء من آسيا الوسطى ، تشمل أراضيها جمهورية أوزبكستان والجزء الجنوب الغربي من كازاخستان.

ويلاحظ أيضا أن المترجم، باعتباره مراسلا دبلوماسيا سابق، فهو لم يتوانى في توظيف معلوماته التاريخية والجغرافية القيمة.

أما عن 'غانة' فيذكر في الحواشي، أنها مدينة تقع في السودان، ولكنه في هذه المرة يعول على شرح الشريشي الطويل جدا، الذي تفادينا نقله كاملا، حتى لا يضر ذلك بمقصد البحث، وهذا جزء مما ترجمه 'تشينري' من أقوال الشارح، 'الشريشي':

« Ghanah, according to the Arab geographers, is a city of Sudan and the utmost point to which merchants travel. According to Sherishi the starting point is at Sejelmaseh, on the south of Mount Atlas, and to reach it requires three months' travel, although to return from Ghanah to Sejelmaseh requires only a month and a half, or less ; the reason of this being that the merchants trade to Ghanah with goods and heavy bales and return with gold ; and he who journeys thither with thirty

[1] **Ibid. P. 344.**

camels comes back with only three or even two, one to ride on, the other to carry water. The city has both Moslem and Pagan negro inhabitants, and its merchants are a prosperous body. Sherishi praises the beauty and good disposition of the women in high terms, and quotes many poetical encomiums on negresses. One enthusiast, Ibn Muslimeh, exclaims, *" If a mole be set in an ugly cheek it endows it with beauty and grace ; how then should the heart-stricken be blamed for looking upon his mistress as a mole all over ?* » [1]

إذا فالمترجم 'توماس تشينري'، لم يكتف فقط بترجمة المقامات، وإنما تجاوز ذلك إلى ترجمة معظم شروح 'الشريشي'، وإذا كان 'الشريشي' قد أسهب بشكل كبير في وصف 'غانة' والتطرق إليها عبر أبيات شعرية، فإن المترجم 'تشينري'، وكما يبدو أعلاه، قد آثر، تلخيص فحوى هاته الأشعار، مشيرا إلى أنها أشعار تتغزل بالنساء ذوات البشرة السوداء، اللواتي يعشن في منطقة السودان 'غانة'.

إلا أن هناك استثناءا واحدا، فقد قام 'تشينري' بترجمة لبيتين عن النساء السود. كانا قد وردا في شروح 'الشريشي' 'لابن مسيلمه'، وذلك على سبيل المثال، والبيتان هما:

يكون الخال في خد قبيح --- فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يُلام مشغوف على من --- يراها كلها في العين خالا.[2]

أما المترجم 'بريستون' فقد فضّل استعمال بعض الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة الإنجليزية، فقد استعمل كلمة (Alacrity)، ولكنه سرعان ما يضيف في الحواشي، مرادف هذه الكلمة بالإنجليزية وهي عبارة (Joyous energy)، والملاحظ أيضا أن هذه الترجمة تتفادى الإسهاب، عكس ترجمته التي رأيناها آنفا، وكأنه بذلك يود إثبات ثراء اللغة الإنجليزية.

---

[1] **Ibid. P. 345.**

[2] **الشريشي. نفس المصدر. ص: 336.**

من جهة أخرى، قام 'بريستون' ولمراعاة الذوق الأوروبي، بترجمة 'من غانة إلى فرغانة' بـ (the remotest East & West)، هي إذن ترجمة شارحة ومختصرة في ذات الوقت. لكنه يعوض ذلك في الحواشي، والتي لا تختلف كثيرا عن ما جاء به 'تشينري'، وإن كانت أطول منها بكثير.

ما يميز ترجمة شيخ المستشرقين، البارون 'سيلفستر دي ساسي' (Sylvestre de Sacy)، هو إصراره على المحافظة على أسماء الأماكن كما جاءت في النص الأصلي، ذلك لأنه يهدف إلى تلقين طلبته المستشرقين، في كتابه التعليمي، كل ما يخص العالم الإسلامي والعربي. لقد قام بنفس الخطوة التي قام بها 'تشينري'، وهي إضافة تعليق في الحاشية، يفسر فيه معنى هذين الإسمين، والتعليق جاء كالتالي:

> « C'est, dit l'auteur des gloses du manuscrit de la bibliothèque de Saint-Germain-des-Prés, n° 207, comme si Hariri eût dit : *Depuis l'extrémité orientale jusqu'à l'extrémité occidentale la plus reculée des pays où la religion des Musulmans a pénétré* : *car Fergana est la contrée la plus éloignée à l'orient, et Gana le pays le plus reculé à l'occident*. » [1]

لقد حاول بشرحه هذا، إعطاء الطالب الذي يتعلم العربية، معلومات حول جغرافيا العالم الشرقي الذي يتطلع إليه هذا الطالب. إن مقامات الحريري، وعلى الرغم من البساطة المفرطة لـ حبكتها، إلا أنّ كاتبها، يحاول جذب الانتباه بتوظيف أسماء أماكن وأعلام، قد يجعلها القارئ، فيسعى هذا الأخير إلى محاولة فهم مقصد الكاتب، وهو ما يجعله معجبا به أكثر من قبل.

[1] **Ibid. P. 221.**

جـ - المقامة الدينارية:

المقامة الثالثة، وتعرف بالدينارية، وتتضمن أشعارا في مدح الدينار وذمه.

النص بالعربية:

"أنْجَزَ حُرٌّ ما وعَدَ. وسَحّ خالٌ إذ رَعَدَ. فنبَذْتُ الدّينارَ إليْهِ. وقلتُ: خُذْهُ غيرَ مأسوفٍ علَيْهِ. فوضَعهُ في فيهِ. وقال: بارك اللهُمّ فيهِ!"

ترجمة تشينري:

« Then he stretched forth his hand after his recitation ,and said, " **The honourable man performs what he promises, and the rain-cloud pours if it has thundered ".-** So I threw him the denar, and said, " Take it; no grudging goes with it." — **And he put it in his mouth and said**, " God bless it[1]". »

ترجمة بريستون:

« After inditing these words, he stretched out his hand and said,
A man of honour fulfils what he has promised,
As a rain-cloud gives a shower, if it has thundered.
So I threw him the denar, and said, '**take it, and welcome**!'
And he put it into his mouth, saying, "may God bless it" [2]

ترجمة صامويل مونك:

« Et il me tendit la main — et me dit à la fin : — L'homme d'honneur dégage sa promesse, — car le tonnerre présage l'averse.— Je lui donnai le ***ducat***, —qu'il invoqua — en lui disant: « Mon cher, — c'est

[1] **Thomas Chenery. Op. Cit. P. 119.**
[2] **Theodore Preston. Op. Cit. P.124.**

de bon cœur. — Il mit dans sa bouche ses épices — et dit : « Que Dieu vous soit propice ! » [1]

الترجمة المقترحة:

« …And whenever we hear it thunder, we deduce there is such a dispositions in the sky. »

لم يواجه 'تشينري' كما يبدو صعوبة في ترجمة المثل: "أنجز حر ما وعد"، ولكنه لم يغفل الشرح الذي أوردته آنفا للشريشي، وقام بترجمته كاملا في الجزء المخصص للحواشي.

« The honourable performs what he promises. — This saying was first uttered by Al Harith ibn *Amr al Kindi to Sakhr ibn Kahshal. Harith had said to Sakhr, " Shall I show thee booty, on the condition that I receive the fifth part of it "?Yes," answered Sakhr. Harith had then directed him to a caravan from Yemen, which Sakhr plundered. Harith then uttered these words, which passed into a proverb. The legend goes on to relate that Sakhr's tribe desired to evade payment of the fifth, until he seized a hill by which they must pass, and .after a fight, compelled them to fulfil his agreement with Harith.» [2]

استعمل 'تشينري' عبارة (rain cloud)، لترجمة الكلمة العربية (خال)، لكن الترجمة لا تعتبر دقيقة، بل يمكن اعتبارها خاطئة، لأن (rain cloud)، تعني (سحابة ممطرة)، أو ما يسمى بالفرنسية (Nuage de pluie)، ولهذا السبب قام 'تشينري' بتعويض ذلك الخلل في الترجمة، في القسم المخصص للحواشي والتعليقات، والتي جاءت كالتالي:

---

[1] **Journal asiatique . *Séance de* Hariri, *traduite de l'arabe par* M. GARCIN DE TASSY. Société asiatique, 1834. Bibliothèque municipale de Lyon. 1823. P. 564.**

[2] **Ibid. P. 299.**

« خال are clouds which make you think there is rain in them. Thus the word cannot be applied to a cloud after the rain has come out of it[1] .»

مايلاحظ في شرح المستشرق 'تشينري'، هو كتابته للفظة 'خال' بالحروف العربية، وهو ما يثبت أن هذه الترجمة تهدف بالأساس إلى تعليم اللغة العربية للبريطانيين.

لا يكتفي المترجم 'تشينري' بترجمة المقامات ومعظم شروحات 'الشريشي' فقط، وإنما يحاول دوما إضافة بعض المعلومات التي يرى أنها تفيد قارئه، فعلى سبيل المثال، نجده يعلق على جملة "وضعه في فيه"، قائلا: أن هذا التقليد الخرافي، موجود في مناطق عديدة من العالم.

«He cast it into his mouth.— This superstitious usage seems to be common in many parts of the world. » [2]

يُلاحظ من ترجمة 'بريستون' أنه يحاول دوما أن يبتعد عن الحرفية، لهذا السبب فهو يحاول استعمال عبارات شائعة في اللغة الإنجليزية، (take it, and welcome)، تؤدي المعنى بشكل جيد، ولكنها غير دقيقة، لذلك فهو يستفيد من الحواشي دوما لإعطاء الترجمة الحرفية الصحيحة، وهي كالتالي:

« Literally, « take it not begrudged; i.e. ‘which I do not grudge thee’.[3]

بمعنى: 'خذها فأنا لا أحقد عليك.

ما يثير الانتباه هو الكيفية التي شرح بها، مثل تشينري'، جملة "فوضعه في فيه." إذ يقول: إنها علامة على احترام المتبرع، أو المانح وهي شائعة عند العرب.

« A token of respect to a donor, customary with Arabs. » [4]

يلُاحظ في الأخير، أن بريستون حاول المحافظة على إيقاع النص الأصلي، وقد حقق ذلك بكل جدارة.

---

[1] **Ibidem.**
[2] **Ibidem.**
[3] **Ibidem.**
[4] **Ibidem.**

ما يثير الإعجاب في ترجمة مونك (Munk)، هو أنه يسعى دوما للحفاظ على إيقاع النص الأصلي، وذلك وفقا لما تتيحه له اللغة الفرنسية. الملاحظ أيضا أنه يتفادى الكلمات الغير مفهومة للقارئ الفرنسي، ويُعطي مقابلا لها يستمده من بيئته، 'الدوكا' (Ducat)، هي عملة كانت تسك في 'البندقية – إيطاليا مابين 1284 – 1797 ميلادي، وكان يستعملها دوقات البندقية حصرا.

شرح الألفاظ:

" أنجز حر ما وعد: هذا مثل، قاله الحارث آكل المرار – وهو جد امرئ القيس- لصخر بن نهشل بن دارم؛ وذلك أن الحارث قال: يا صخر، هل أدلك على غنيمة، على أن لي خمسها؟ قال نعم، فدله على قوم من العرب، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس، فأبوا؛ وكان طريقهم شجعات – وهي ثنية متضايقة – فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى قعد على رأسها، ومنعهم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس، فقال حمزة اليربوعي: والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئا؛ ومضى في الثنية، فحمل عليه الصخر فقتله. فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس (.....) فمعنى 'أنجز حر ما وعد' أحضر وهيأ. وقد نجز الشيء إذا حضر، ولفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرٌ ما وعد.

سحَّ: صب وأمطر. خالٌ: سحاب يُخيل لك أن المطر فيه. رعد: صوَّت، يقول لابن همام: إن السحاب إذا سمع الرعد سح بالمطر، وأنت قد أسمعتني ذكر الدينار، ووعدتني به، فأنجز لي وعدي.

نبذت: رميتُ. مأسوف: محزون. بارك: أي ضع البركة فيه. وقولهم تبارك الله، أي تقدس وتطهر".[1]

[1] **الشريشي. الجزء الثاني. نفس المصدر.ص: 143 – 144.**

د ـ المقامة السنجارية:

المقامة الثامنة عشرة، وتعرف بالسنجارية تتضمن قصة أبي زيد مع جاره النمام.

النص بالعربية:

"وكانتْ عندي جاريةٌ. لا يوجَدُ لها في الجَمال مُجاريَةٌ. إنْ سفرَتْ خجِلَ النّيِّران. وصَلِيَتِ القُلوبُ بالنّيران. وإنْ بسَمَتْ أزْرَتْ بالجُمان. وبيعَ المرْجانُ. بالمجّان. وإنْ رنَتْ هيّجَتِ البلابِلَ. وحقّقَتْ سحْرَ بابِلَ. وإنْ نطقَتْ عقّلتْ لُبّ العاقِل. واستنْزَلتِ العُصْمَ من المعاقِل. وإنْ قرأتْ شفَتِ المفْؤودَ. وأحيَتِ الموؤودَ."

ترجمة تشينري:

« Now in my house was a maiden to whom no rival could be found in perfection. — If she unveiled, the **two lights of heaven** were shamed, and each heart was burned with the fires of love. — If she smiled, she made the beads of silver to be despised, and pearls would be sold for what is worthless. — If she gazed, she roused **love-fancies;** she realized the witchcraft of Babylon. — If she spoke, she enchained the **heart of the wise**, and called down the wild goats from the crags. — **If she read the Koran**, she would heal the heart-sick, she would give life to one buried alive. » [1]

ترجمة بريستون:

« Now I had a maiden, who has unrivalled in perfection
If she unveiled, the **two lamps of heaven** were put to shame,
And all hearts were inflamed with the fires of desire,
If she smiled, she [displayed teeth that] made pearls despicable,

[1] **Thomas Chenery. Op. cit. P. 209.**

And [in comparison wereof] choice pearls would be sold for pulse,
When she gazed earnestly, she excited **deep emotions**,
And made the fascination of Babylon to be realized,
When she spoke, **she captivated the mind** even of the wise
And lured down the wildest fawns from their crags
When **she recited the Koran**, she cheered the sick at heart.
And might have revived those already immured in the tomb. » [1]

ترجمة غارسين دي تارسي:

« Je possédais une esclave qui n'avait pas sa pareille tant sa beauté était parfaite; sa vue enflammait les cœurs, son sourire laissait voir à découvert des dents plus blanches que les perles, qui faisaient un agréable contraste avec l'incarnat purpurin de ses lèvres dont l'éclat l'emportait sur le corail. Un seul de ses regards excitait dans le cœur un trouble voluptueux. Parlait-elle, le **philosophe** le plus froid ne pouvait rester sans émotion; **lisait-elle**, elle guérissait le cœur affligé et rendait la vie au mourant. »[2]

شرح الألفاظ:

" قوله: 'مجارية'، مبارية معارضة، وفلان يباري الربح جودا، كأنه يعارضها بفعله، فإذا هبت في زمن الشتاء والجهد، فضرت المحتاجين تتبع آثار فسادها بمالها وهباته فأصلحها.

سفرت: كشفت وجهها. خجل: استحيا. النيران: الشمس والقمر. صَليت: أُحرقت. يقول: إذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع حسنها، واخترقت القلوب بنيران حبها.

---

[1] **Theodore Preston. Op. Cit. P. 134 – 135 – 136.**
[2] **Garcin de Tassy. Extrait d'une traduction inédite des Mékâmat de Hariri. Gide et J. Baudry. Revue orientale et Algérienne: recueil de documents sur l'histoire, la géographie, les religions, les moeurs, les coutumes, la littérature, les arts, les sciences, l'agriculture, l'industrie, le commerce des diverses contrées de l'orient, Volume 2. University of Minnesota, 1852. P. 96.**

قوله: "أزرت بالجمان"، أي قصرت بحب الفضة. المرجان: اللؤلؤ الصغار. والمجان: شيء لا ثمن له، وخذ هذا مجانا أي باطلا؛ أراد أنها إذا ضحكت فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف.

رنت: نظرت. البلابل: وساوس الهموم. والسحر، ينسب إلى بابل.

قوله: "عقلت لب العاقل"، اللب: العقل، وعقلته: شددته بعقال، وهو قيد البعير. والعصم: الوعول، والأعصم: التيس الجبلي الذي في يديه بياض. والمعصم: موضع الخلخال.

الخليل: الأعصم الوعل، وعصمته: بياض في رجليه. والمعاقل: قرون الجبال، وأراد أن كلامها لعذوبته، يغلب أهل العقول حتى تعداهم إلى الوحش، أو يريد بالعصم من له عزمة وهمة من الرجال، فإذا سمعها تذلل لها. والمفؤود: الذي يشتكي فؤاده، والموؤود: المدفون حيا."[1]

إن الكلمات والعبارات التي يستعملها، الحريري، هي كلمات وعبارات مكثفة، بمعنى أنها تحمل أكثر من معنى، فكيف سيتعامل مع ذلك المترجمان البريطانيان؟

آثر كل من 'تشينري' و'بريستون'، ترجمة كلمة 'النيران'، بـ 'ضوئي السماء'، بالنسبة للأول، 'ومصابيح السماء'، بدلا من 'الشمس والقمر'، ويبدو من خلال ترجمتها، أنهما أرادا منح المقامة أكثر شاعرية، ودقة في التوصيف، حتى تكون أقرب لذهن القارئ الأوروبي ووقعا في مخيلته.

في نفس السياق، نلاحظ أن 'بريستون' قد حاول ترجمة 'بلابل' والتي تعني 'وساوس الهموم' بـ (love fancies)، أي ما يقارب 'خيالات الهوى' أو 'وساوس الهوى'، أما 'بريستون'، فقد ترجمها بـ 'الأحاسيس العميقة' (deep emotions)، وإن كانت ترجمة 'تشينري' هي الأقرب والأعمق من حيث الدلالة، فإن كلتيهما أحدثت الأثر المرجو.

يبدو أن تشينري بترجمته لـ عبارة 'لب عاقل'، بـ 'قلب الحكيم'، (heart of the wise)، قد أراد مجددا التأكيد على حضور البعد العاطفي والرومانسي في مقامات الحريري، وكيفية تَغني العرب بجمال المرأة، وذلك بدل ترجمتها حرفيا، وهو المسار الذي انتهجه 'بريستون'، الذي آثر الإبقاء على المعنى الأصلي، وهو: 'عقل أو لب الحكيم'، (mind of the wise).

---

[1] **الشريشي. نفس المصدر السابق. ص: 283 – 292.**

بالرغم من أن الحريري، قد ترك المبادرة للقراء الفطنين، لكي يفهموا المعنى الضمني للفعل 'قرأ'، في عبارة: 'وإن قرأت شفت المفؤود'، إلا أن كلا المترجمين، قد آثرا التصريح بذلك في ترجمتهما، وذلك دليل كاف على اجتهادهما، فالمترجم الأول ترجمها بـ: (If she read the Koran)، أما المترجم الثاني، فقد ترجمه بـ (When she recited the Koran).

يبدو أن 'غارسين دي تاسي'، اخذ حريته في الترجمة، لقد جاءت هذه الأخيرة متحررة تماما، فقد ترجم 'العاقل' بـ 'الفيلسوف' الأكثر برودة، ولم يشر إلى أي شيء تقرأه الجارية، فاكتفى بذكر الفعل 'تقرأ'.

هـ ـ المقامة الكوفية:

المقامة الخامسة، وتعرف بالكوفية تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه، يطلب منه القِرى ومجاوبته له.

النص بالعربية:

"سمَرْتُ بالكوفَةِ في ليلَةٍ أديمُها ذو لوْنَين. وقمرُها كتَعْويذٍ من لُجَين. معَ رُفقَةٍ غُذوا بلِبان البَيان. وسحَبوا على سَحْبانَ ذيْلَ النّسْيان. ما فيهمْ إلا مَنْ يُحْفَظُ عنْهُ ولا يُتَحفَّظُ منْهُ. ويَميلُ الرّفيقُ إليهِ ولا يَميلُ عنهُ. فاستَهْوانا السّمَرُ. إلى أنْ غرَبَ القمَرُ. وغلَبَ السّهَرُ. فلمّا روّقَ اللّيْلُ البَهيمُ. ولمْ يبْقَ إلا التّهويمُ." [1]

ترجمة تشينري:

" I was conversing at Kufa, in a night whose **complexion** was of a two -fold hue, whose moon was as an **amulet of silver** — "With companions who had been nourished on the milk of eloquence, who **might draw the train of oblivion over Sahban.** — Each was a man to remember from, and not to guard against; each was one whom his friend would incline to, and not avoid. — And the night talk fascinated us until the moon had set, and the watching overcame us. — Now when night's unmingled dark had spread its awning, and there was nought but nodding among us. » [2]

ترجمة بريستون:

« On a night whose **aspect** displayed both **light and shade**,
And whose moon was like a **magic-circlet of silver**,

[1] **عبد الفتاح كيليطو. الغائب، دراسة في مقامة للحريري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثالثة، 2007. ص: 16.**

[2] **Thomas chenery. Op. Cit. P. 127.**

I was engaged in evening conversation at Koufa.
With companions who had been nourished on the milk of eloquence,
An drew the train of oblivion over the **most gifted orator**;
All, men to be learned from, and not to be guarded against,
And not one whose company was to be avoided.
So the charms of conversation fascinated us,
While wakefulness still prevailed among us ,
Until the moon had at length disappeared in the west.
But when the gloom of night had thus drawn its curtain,
And nothing but slumber remained abroad. » [1]

شرح الألفاظ:

" السمر الذي تفتح المقامة بذكره، تم (في ليلة أيمها ذو لونين، وقمرها كتعويذ من لجين)، هذا يعني أن في لون الليل، سوادا وبياضا، لنقص في القمر الذي لا يرسل إلا ضوءا ضعيفا فاترا. وقد يكون المعنى أن أول الليل كان ذا نور بفضل القمر. ثم ساد الظلام بعد غياب الكوكب، وهذا فعلا ما حدث إذ اختفى الهلال، وروّق الليل البهيم، أي الخالص السواد.

سواءً أأخذنا بالتفسير الأول (أديم الليلة، أي جلدها، مزيج من البياض والسواد) أم بالتفسير الثاني (السواد يتلو البياض)، فإنه لا بد من الانتباه إلى أنَّ الليلة الموصوفة، تفتقر إلى الوضوح والصراحة، وأن شبهة ما تكتنفها.

فامتزاج لونين على صفحتها عبارة عن شوب، عن غلط، والشوب ضد الصفاء، وهذا ما يجعل أمرها مشكوكا فيه. ألا يُقال للمخلط في القول والعمل: هو يشوب ويروب؟ كذلك انتقالها من لون إلى لون دليل على تلونها، بمعنى أنها لا تستقر على خلق واحد.

المتلون يبعث على الشك والارتياب، كما هو حال من يمزج في كلامه الصدق والكذب، أو يقول الصدق تارة، والكذب تارة أخرى. ذو اللونين لا يختلف عن ذي اللسانين، ولعلة ما فإن الحية التي أغوت آدم وحواء مشقوقة اللسان، بحيث تبدو وكأن لها لسانين.

[1] **Theodore Preston. Op. Cit. P. 207.**

التعويذ: خرز فضة يستعمل مستديرا استدارة القمر، وبعض الدائرة فارغ فيربط في الدائرة، خيط فيعلق في أعناق الصبيان.

الملاحظ في المقامة أن القمر هو المشبه بالتعويذ، وليس العكس، القمر هو الذي يحاكي بصورته ولونه، التعويذ الفضي. إن القمر الذي قوامه المحاكاة يتخذ هنا هيئة تعويذ ويتظاهر بأنه القوة تقي الجماعة الساهرة، وتحفظها من الأذى.

وسحَبوا على سَحْبانَ ذيْلَ النّسْيان: ليس للساهرين اسم أو نسب، ومع ذلك ففي النص إشارة إلى تربية ونشأة تحت رعاية أب رمزي، وهو سحبان: الذي يضرب به المثل في الفصاحة.

الانتساب إلى هذا الأصل، إلى هذا العَلم، الذي يعتبر أصل الفصاحة. يجمع شمل أفراد الجماعة، ويؤاخي فيما بينهم. خصوصا، وأنهم رضعوا اللبن نفسه، (غذوا بلبان البيان).

ذاكرتهم مشحونة بالنصوص التي ورثوها عن 'سحبان' يذيعونها ويفيدون بها غيرهم، فهم رواة علم يؤدون الرواية بأمانة. فلا يحترس منهم طلاب العلم، بل يميلون إليهم ويحفظون عنهم ما فيهمْ إلا مَنْ يُحْفَظُ عنْهُ ولا يُتَحفَّظُ منْهُ. ويَميلُ الرّفيقُ إليهِ ولا يَميلُ عنهُ.

إن عدالتهم تتنافى مع المحاكاة الخادعة التي تهدف، فيما تهدف إليه، إلى نسبة النصوص إلى غير أهلها، إلى اختلاق أقوال وإسنادها، إلى من لم يتلفظ بها قط. فعلى عكس الليل المحيط بهم الموصوف بالازدواجية والريبة، فإنهم يتسمون بالأحادية، بالشفافية والصفاء.

سمرت: أي ذهب نومي، أصل السمر هو ظل القمر، والدليل أن القمر هو الباعث على السمر، وعلى الحديث الليلي أنّ غروبه يتزامن مع انتهاء السمر.

بعد انتهاء السمر وانحجاب القمر (لم يبق إلا التهويم): أي النوم بالليل الذي كان ذا لونين صار بهيما، حالك السواد. بانقشاع الهلال، انجابت فتنة السمر، وما قد ينجم عنها من أفكار، ولم يبق إلا الخلود إلى الراحة."[1]

[1] عبد الفتاح كيليطو. الغائب، دراسة في مقامة للحريري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثالثة، 2007. ص: 31 – 33.

حافظ المترجم 'تشينري' على المراد من النص العربي، بالحفاظ على كلمة 'أديم'، والتي قابلها باللفظ الإنجليزي، (complexion)، والتي تعني 'بشرة'، وهي المفردة التي تؤدي نفس المعنى الوارد في النص الأصلي. في نفس الوقت، ابتعد 'بريستون' عن تشبيه السماء بوجه الإنسان، حيث عبر عن ذلك بترجمة 'أديم' بـ 'مظهر' (aspect).

اكتفى 'تشينري' بـ' ترك سحبان' كما هو دون تغيير في اللغة الإنجليزية، ليعوض ذلك النقص فيما بعد عند الحواشي، أما 'بريستون' فقد حاول الإتيان بمكافئ دينامي، مترجما إياه، بـــ 'الخطيب الموهوب'، ليقوم هو الآخر بإضافة شروحات مطولة في الحواشي.

كما حافظ 'تشينري' أيضا على تعبير النص الأصلي، 'تعويذ من لجين'، مترجما إياه بـ'تعويذة من فضة'، أما 'بريستون'، فقد ترجمها بواسط عبارة تفسيرية: " دائرة سحرية صغيرة".

خاتمة البحث:

حاولت من خلال هذا البحث، أن أرصد بالأخص العوامل والظروف الخارج نصية التي تتحكم في قابلية النصوص أو عدم قابليتها للترجمة، وقد توصلت إلى نتيجة مفادها، أن هذه العوامل الخارجية المحيطة بالمترجم، سواء تعلق الأمر بظروفه الصحية، أو الناشر الذي يدعمه، أو ما يعرف بـأدوات الترجمة، كالقواميس، والمعاجم والموسوعات، هي التي تلعب الدور الأهم والمحوري في عملية ترجمة وتخريج النصوص.

وإذا كنت لم أغفل أيضا في هذا البحث، عن تناول أهم النظريات التي تناولت موضوع قابلية الترجمة، وعدم قابلية الترجمة، سواء أكانت هذه النظريات ذات طابع فلسفي، أو لغوي، أو ثقافي، وحاولت من خلال بحثي هذا، أن أشرح أهم هذه النظريات، وأبين أهم مواطن القوة والضعف في البراهين التي يسوقها أصحاب هذه النظرية أو تلك، فإنني قد حاولت بالمقابل معالجة موضوع تأثير العوامل الخارج نصية، في الترجمة عبر مختلف العصور، مبينا أن المترجمين كانوا دوما يخضعون إلى عوامل خارجية تتحكم في أدائهم لمهمتهم.

لا يُصبح نص ما قابلا للترجمة، إلا إذا كانت هناك رغبة عميقة في الثقافة الهدف لترجمته. كثيرة هي النصوص التي طواها النسيان في ثقافتها الأم، لكنها عادت وبرزت من جديد بعد أن طواها النسيان بفضل فعل الترجمة.

وفقا لكل ما سبق، فإن الأسئلة التي يجب أن تُطرح هي كالآتي: ما الذي يجعل نصا ما قابلا لأن يُترجم؟ لماذا يميل المترجمون إلى ترجمة نصوص بعينها دون سواها؟ هل للإيديولوجيا دور في عملية اختيار النصوص والترجمة بصفة عامة؟ إلى أي مدى تتحكم العقيدة الفنية السائدة في عملية الترجمة؟

لقد حاولت أن أُبين خلال ها البحث مدى اهتمام الأوروبيين وإقبالهم على مقامات الحريري، بالرغم من أنها ليست قصصا بالمعنى المفهوم و بالرغم من عنايتها الشديدة بالمحسنات البديعية والبلاغية اللفظية، التي تلتصق اشد الالتصاق باللغة العربية ذاتها. الأمر الذي يجعل من الصعب القيام بترجمتها إلى لغة أخرى، أو تذوقها في غير لغتها. إن من يتناول موضوع ترجمة مقامات 'الحريري'، سيلاحظ منذ الوهلة الأولى، أن هذا النص الأدبي لم يكن ليحظ باهتمام الأوروبيين لولا جهود المستشرقين، الذين بالرغم من تعدد جنسياتهم، إلا أنهم اشتركوا جميعا في شيء واحد، وهو حبهم للغة العربية.

بالنسبة للترجمة، فقد سعيت جاهدا لتوضيح أن أساليب المستشرقين تختلف عن أساليب المترجمين الآخرين، لأن القارئ الذي يقرأ ترجماتهم ليس قارئا عاديا، وإنما هو شخص يطلب العلم ويسعى لتعلم العربية، لذا فالمستشرق، يحاول دوما في عمله أن يقف موقف المعلم أو الأستاذ، موجها تلامذته، (أي قرائه)، إلى مصادر المعرفة الأخرى، فهو بمثابة الموجه و الملقن، إذ لا يكتفي بترجمة العمل الذي بين يديه، وإنما يرفقه بالحواشي و الملاحظات.

إن فن المقامة ليس له ما يقابله في الأدب الأوروبي، إنه فن أدبي عربي ليس له مثيل في أي أدب آخر، لكنه مع ذلك قد تُرجم إلى اللغات الأوروبية. وللقيام بهذه المهمة، كان عمل المستشرقين بدون استثناء مضاعفا، إذ لم يكتفي معظمهم بمجرد نقل النص العربي إلى لغاتهم فحسب، ولكنهم قاموا في بادئ الأمر بتحقيق المخطوطات العربية. إن نص المقامات لم يكن متوفرا في نهاية القرن الثامن عشر في المكتبات كما هو عليه اليوم، لقد تعين على المترجمين المستشرقين الأوائل السعي للحصول على ها النص، ثم تحقيقه ونشره.

يعتمد المستشرقون على الترجمة الحرفية وعلى الحواشي، كيف لا والنصوص العربية القديمة تتطلب ذلك، إنها نصوص عصية على الفهم، حتى أبناء البلاد العربية من المتأدبين والمتمكنين من اللغة العربية يجدون أنفسهم بحاجة إلى شروحات تفسيرية وتوضيحية لفهم النص الكلاسيكي. فالمستشرق إذا يحاول دوما ترجمة النص الأصلي، وتزويده بشروح توضيحية، لأن هذه الترجمة موجهة أصلا لتعليم اللغة العربية، أو لتنشر في مجلات علمية خاصة. إذا فمهمة المستشرق مضاعفة، فبالإضافة إلى ترجمة النص الأصلي، يقوم المستشرق بتحقيق وشرح ونشر النص الأصلي.

إن لجوء المترجم المستشرق إلى الحواشي والتعليقات في ترجمته للنصوص، هو فعل له ما يبرره تماما. إن المعادلة سهلة، إذا كان القارئ العربي بحاجة إلى الشروحات المستفيضة لكي يفهم نصوصا كتبت بلغة لم يعد يفهمها، فكيف لا يحتاج القارئ الأوروبي للشروحات وهو ذلك الجاهل، الذي لا يعلم شيئا عن العالم والبيئة العربية الإسلامية.

غير أن هناك استثناءات قليلة، فالمستشرقون الفرنسيون مثلا كانوا أكثر تحررا في ترجماتهم، ولا يعني ذلك أن مستشرقا مثل 'سالومون مونك' مثلا قد سعى من خلال ترجمته إلى طمس النص العربي الأصلي، وإنما كان دافعه وراء ذلك سلوك طريق آخر لم يسلكه المستشرقون الآخرون، وهو محاولة نقل روح النص الأصلي، وإعطاء القارئ الأوروبي ولو نظرة خاطفة على ما هو عليه النص الأصلي.

يعلم المستشرق جيدا أنه حتى أكثر العرب والمسلمين إحاطة بالأدب يحتاجون هم أيضا إلى التعاليق، التي تسهل عليهم عملية قراءة مقامات الحريري بسلاسة. وكما بينت آنفا، فقد ألف المستشرق 'سيلفستر دي ساسي' كتابا في مجلدين، تضمن في جزءه الأول مقامات الحريري كاملة، وفي جزءه الثاني شرحا باللغة العربية وافيا ومستفيضا. إن عمل 'ي ساسي' كان موجها بالأساس للأوروبيين، لكن صاحبه لم يخفي أيضا رغبته في أن يستفيد منه العرب أيضا، في فترة كان هؤلاء يجدون فيها صعوبة في الحصول على النص الأصلي.

لماذا اهتم المستشرقون بالأدب العربي القديم، هل كان ذلك من أجل خدم أغراض استعمارية؟ من السهل قول ذلك، ولكنني حاولت أن أبين أيضا أن أمة ما، هي دوما بحاجة للتطلع إلى آداب الأمم الأخرى، للرقي بأدبها والنهوض به من جديد. إن الغرب كان مُستنفذا روحيا، لذا كان عليه أن يعود ويتطلع مرة أخرى للشرق، مصدر كل الأنوار.

إن الأدب العربي القديم، قد كان في فترة ما محل إقبال من قبل المستشرقين، الذي انكبوا بشكل لم يسبق له مثيل، على دراسة الأدب العربي واللغة العربية، لكن ذلك الإقبال لم يعد موجودا في عصرنا هذا، فما الذي حدث يا ترى؟

إن العقيدة الفنية السائدة ليست ثابتة وإنما متغيرة، وكذلك الأمر بالنسبة للإيديولوجيا. إن الغرب لا يهتم بما ينتجه الشرق حاليا من كتب، وإن كان قد اهتم في السابق بما ينتجه الشرق عموما والعرب خصوصا، فذلك كان بفضل جهود المستشرقين، الذين سعوا عبر كتاباتهم، إلى التنويه بما يحمله الشرق من كنوز. وبتغير الأزمنة تتغير المعتقدات، بكل بساطة، فإن دور النشر حاليا لا تهتم بما يصدره العرب.

في الأخير أتمنى أن يكون هذا البحث نبراسا، لمن يريد أن يسير في طريق البحث العلمي، ومساعدا لمن يحاول أن يجد موضوعا يثريه بمزيد من المعارف.

ملخص البحث:

الترجمة هي عملية تواصل تسمح لمُرسل ما يتكلم لغة معينة من إيصال رسالته إلى متلقٍ لا يتكلم ذات اللغة، غير أن بعض المصطلحات أو الكلمات تفرض نوعا معينا من التحويل أثناء عملية الترجمة، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى كثافتها المعجمية.

حينما يحاول المترجم ترجمة نصوص أجنبية غريبة بعض الشيء عن ثقافته الأصلية، نصوص بعيدة من حيث الزمان والمكان، أو نصوص تحتل مكانة عليا ومرموقة في الثقافة الأصل، فهو لا يعد بذلك مجرد مكتشف للنصوص الأجنبية، ولكنه يساهم أيضا عبر فعل الترجمة في تغيير مجتمعه.

سأحاول من خلال هذه البحث، تحليل الاستراتيجيات التي تبناها المستشرقون في ترجمتهم ونشرهم لمقامات الحريري. سأقوم في هذا البحث المتواضع أيضا بتحليل أهم المقاربات في ميدان دراسات الترجمة، والتي تناولت موضوع قابلية الترجمة وعدم قابلية الترجمة، حيث سيتم تحليل آراء الباحثين الذي تبنوا مقاربة عالمية، مثل 'جورج مونان'، والذين تبنوا مقاربة نسبية مثل 'همبولدت' و'كواين'.

سأحاول عبرهذا البحث المتواضع أن أتفحص دور العوامل الخارج نصية، كالإيديولوجيا مثلا، في مجال الترجمة، وما هو الدور الذي تلعبه هذه العوامل في الرفع أو الإنقاص من قابلية بعض النصوص للترجمة.

إن الترجمة الأدبية عادة ما تنبهنا إلى نوع آخر من المشكلات، التي تتجاوز بكثير مشكلات الترجمة على المستوى النظري. نحن لا ننفي وجود مشكلات نظرية في الترجمة، غير أننا نرى أن المشكلات العملية لا تقل عنها من حيث الأهمية.

في حقيقة الأمر، بمجرد استحضارنا للمشكلات النظرية في الترجمة، غير أننا نرى أن المشكلات العملية لا تقل عنها من حيث الأهمية. في حقيقة الأمر، فإننا ما إن نستحضر المشكلات النظرية في الترجمة، فإننا سرعان ما نجد أنفسنا في قلب الميدان العملي المثير للجدل.

Résumé :

La traduction est un acte de communication qui permet à un émetteur de communiquer un message à un récepteur ne parlant pas la même langue. Or, certains termes imposent néanmoins un transcodage du fait de leur forte charge sémantique.

Aux prises avec des discours plus ou moins canoniques issus d'une société différente de la sienne et plus ou moins éloignée dans le temps et l'espace, le traducteur n'est pas uniquement un prospecteur des différences. Il est aussi celui qui change les perspectives de sa propre communauté.

Ce modeste travail se propose d'examiner les stratégies de traduction et de la publication, par les orientalistes, des Séances de Hariri. Ce travail analysera aussi les différentes approches, dans le domaine de la traductologie, de la traduisibilité et de l'intraduisiblilité des textes, il analysera les points de vue des chercheurs qui ont adopté une approche universaliste, comme George Mounin, et ceux qui ont adopté une approche relativiste tels que Humboldt et Quine.

Ce modeste travail examinera aussi le rôle des facteurs ou conditions extratextuels, comme l'idéologie, dans le domaine de la traduction et comment ces facteurs extratextuels augmentent ou diminuent la traduisibilité de certains textes.

La traduction littéraire fait cas de problèmes qui dépassent de loin les problèmes théoriques de la traduction. Nous ne nions pas l'existence des

problèmes théoriques de la traduction, mais nous considérons que les problèmes pratiques ne sont pas non plus des moindres. En effet, dès qu'on évoque les problèmes théoriques de la traduction, on s'installe dans le domaine controversé de la pratique.

Abstract:

Translation is a text-switch between languages, with a purpose of accurately carrying the message content from the speaker's source language to recipient's target language. Since speakers from different racial groups use different ways to communicate, it is critical to consider how message content can be translated accordingly and appropriately for a successful intercultural communication.

Translators cope with foreign discourse, more or less canonical and distant in time and space. But they are not only explorers, they also change their own society.

This work intends to examine the translation strategies of the translation and publication, by the Orientalists, of Hariri's Assemblies. This modest work X-rays the different approaches to the translatability and untranslatability of texts in translation studies. It analyses the views of scholars who adopted a universalist approach, such as George Mounin, and the relativist stance such as Humboldt & Quine.

This modest work will examine also the role of non-textual factors like Ideology in the translation field, and how the non-textual factors will increase or decrease the translatability of some texts .

Literary translation evokes problems that are by far beyond theoretical ones in translation. Although we do not deny the existence of theoretical problems in translation, we consider that practical problems are non the least either. In, effect, when one raises up theoretical problems in translation, he immediately finds himself in the much debated domain of practice.

قائمة المراجع

المدونة الأصلية:

1. الشريشي، أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي. شرح مقامات الحريري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الجزء الأول، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1992.
2. الشريشي، أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي. شرح مقامات الحريري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الجزء الثاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1992.

3. Chenery, Thomas. The Assemblies of al Harîri, translated from the Arabic with an introduction, and notes (Historical & Grammatical). Vol I, Containing the first Twenty-six Assemblies. Williams & Norgate, London. 1867.
4. De Sacy, Antoine Isaac Silvestre, Joseph Toussaint Reinaud, Joseph Derenbourg. Séances de Hariri (Publiées en Arabe avec un Commentaire Choisi). Tome II, Deuxième Edition. Paris, Imprimerie Royale, 1853.
5. De Sacy, Antoine Isaac Silvestre . Chrestomathie arabe, ou extraits de divers écrivains arabes, tant en prose qu'en vers, Volume 3. *Chrestomathie arabe, ou extraits de divers écrivains arabes, tant en prose qu'en vers*. Imprimerie impériale, 1806.
6. Preston, Theodore. Makamat: Or, Rhetorical Anecdotes. Oriental translation fund, 1850.

1 - قائمة المراجع العربية:

1- ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون. بيروت، دار الفكر، ج، 2. 1979.
2- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل. قصص الأنبياء. مراجعة وتحقيق: عبد القادر يعرب. دار الكتاب الحديث، درارية (الجزائر).

3- أحمد، إبراهيم: أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر. منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2008.

4- أرسلان، شكيب. لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم. مراجعة: الشيخ حسن تميم. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية. 2012.

5- أفاية، محمد نور الدين: المتخيل والتواصل، مفارقات العرب والغرب. دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 1993.

6- الأوراغي، محمد: الوسائط اللغوية، 2- اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية. دار الأمان، الرباط. الطبعة الأولى: 2001.

7- الباهي، حسان. اللغة والمنطق، بحث في المفارقات. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2000.

8- البهنساوي، حسام: نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية (دراسات تطبيقية).مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،2004.

9- البيومي، محمد رجب. الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير. جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. 1980.

10- التوحيدي، أبو حيان. الإمتاع والمؤانسة (وهو مجموع مسامرات في فنون شتى حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة). صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين و أحمد الزين. الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت.

11- التوحيدي، أبو حيان: المقابسات. محقق ومشروح بقلم: حسن السندوبي. دار سعاد الصباح، الطبعة الثانية، 1992.

12- الذبيان، أحمد بن محمد عبد الله. حنين ابن اسحاق (دراسة تاريخية ولغوية)، المجلد الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1993.

13- الجاحظ، أبى عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1965.

14- الجديع، خالد بن محمد. الدراسات السردية الجديدة، قراءة المقامة أنموذجا. مركز بحوث كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية. (دراسة علمية محكمة) 1428 هـ-2007م.

15- السامرائي، إبراهيم. فقه اللغة المقارن. دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983 .

16- السيد أحمد، عزمي طه. أفلاطون. محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة). منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1995.

17- الشرقاوي، السيد: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة. الطبعة الأولى، 2002.

18- الشيدي، فاطمة: المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب. دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق، 2011.

19- الصالحي، عباس مصطفى. فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي. الموسوعة الصغيرة (147). دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، 1984.

20- العاني، سامي مكي: الإسلام والشعر. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1996.

21- العيسوي، بشير: الترجمة إلى العربية، قضايا وآراء. دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1996.

22- الغذامي، عبد الله محمد: الكتابة ضد الكتابة. دار الآداب، بيروت. الطبعة الأولى، 1991.

23- الفلاي، إبراهيم صالح. الازدواجية اللغوية، النظرية والتطبيق. جامعة الملك سعود، الرياض، 1996، الطبعة الأولى.

24- المناع، هاشم الياسين مأمون. النثر في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1999.

25- الميلي، مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي. ج2. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

26- أنيس، إبراهيم. اللغة بين القومية والعالمية. دار المعارف بمصر، 1970.

27- إيكو، أمبرتو. أن نقول الشيء نفسه تقريبا. ترجمة: أحمد الصمعي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، نوفمبر 2012.

28- إيكو، أمبرتو: القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية. ترجمة: أنطوان أبوزيد. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1996.

29- بارتشت، بريجيته: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي. ترجمة: د. سعيد حسن بحيري. الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر2004.

30- باقر، مرتضى جواد: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية. دار الشروق، عمان الأردن. الطبعة الأولى، 2002.

31- باورا، س. م. الأدب اليوناني القديم, ترجمة: محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد، راجعه: د. محمد صقر خفاجه دار القومية العربية.

32- برمان، أنطوان. الترجمة والحرف أو مقام البعد. ترجمة: عز الدين الخطابي. المنظمة العربية للترجمة، ط: 1، بيروت، 2010.

33- بن جعفر، قدامة: نقد الشعر. تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 1963.

34- بنعبد العالي، عبد السلام: ضد الراهن. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2005.

35- بنعبد العالي، عبد السلام. في الترجمة. ترجمة: كمال التومي، قدم له وراجع الترجمة: عبد الفتاح كيليطو. دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، 2006.

36- بيوض، إنعام: الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول. دار الفارابي، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 2003.

37- جان كالفي، لويس. حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: د. حسن حمزة. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2008.

38- جرجي، زيدان: اللغة العربية كائن حي. دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1988.

39- جروس، جون: جيمس جويس. ترجمة: مجاهد عبد المنعم.المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، 1975.

40- جعفر، عبد الوهاب. الفلسفة واللغة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الطبعة الثانية. 2004.

41- جيرو، بيير: الأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. مركز النماء الحضاري، الطبعة الثانية، 1994.

42- حاطوم، أحمد: اللغة ليست عقلا (من خلال اللسان العربي). دار الفكر اللبناني. 2005.

43- حجاج، كلود. إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية: ترجمة د. رضوان ظاظا. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2003.

44- حسن، محمد عبد الغني: فن الترجمة في الأدب العربي. دار ومطابع المستقبل، القاهرة ,1986.

45- حنفي، حسن. مقدمة في علم الاستغراب. الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

46- حماسة، محمد عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى، 1990.

47- حنفي، حسن: من النقل إلى الإبداع، المجلد الأول: النقل، (1): التدوين (التاريخ-القراءة-الانتحال). دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2000.

48- خفاجة، عبد المنعم. أبو الفتح الإسكندري، بطل مقامات بديع الزمان وشخصيته المجهولة. الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية. 1996.

49- خوجة ، حمدان بن عثمان: المرآة. تقديم وتعريب وتحقيق: د. محمد العربي الزبيري. تصدير: عبد العزيز بوتفليقة. منشورات ANEP، سلسلة التراث، 2005.

50- دراج، أحمد عبد العزيز. الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية. مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2003.

51- دريدا، جاك: صيدلية أفلاطون. ترجمة: كاظم جهاد. دار الجنوب للنشر، تونس، 1998.

52- دريدا جاك. في علم الكتابة. ترجمة وتقديم: أنور مغيث، منى طلبة. المركز القومي للترجمة، القاهرة. الطبعة الثانية، 2008.

53- رضوان، جوئيل .موسوعة الترجمة، ترجمة :محمد يحياتن .منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو. 2010.

54- ريكور، بول. عن الترجمة، ترجمة: الأستاذ الدكتور حسين خمري. منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2008.

55- ريكور، بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى. ترجمة: سعيد الغانمي. المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2006.

56- زيدان، محمود فهمي. في فلسفة اللغة. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985.

57- سعيد، إدوارد. الثقافة والمقاومة. حاوره: دايفيد بارساميان. ترجمة: علاء الدين أبو زينة. دار الآداب. 2005.

58- شاف، آدم: اللغة والواقع. في: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث. ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيني. أفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

59- شاهين، النادري، محمد أسعد: فقه اللغة، مناهله ومسائله. المكتبة العصرية، صيدا- بيروت- لبنان، 2009.

60- شاهين، عبد الصبور: في التطور اللغوي. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثانية، 1985.

61- شنوقة، السعيد: مدخل إلى المدارس اللسانية. المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى، 2008.

62- شولز، روبرت: السيمياء والتأويل. ترجمة: سعيد الغانمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

63- صبرة، عفاف. المستشرقون ومشكلات الحضارة. دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1958.

64- ظاظا، حسن: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة. دار القلم دمشق. الطبعة الثانية، 1990.

65- عباس، حسن. نشأة المقامة في الأدب العربي. دار المعارف. مصر.

66- عبد الرحمن، طه. فقه الفلسفة: 1- الفلسفة والترجمة. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1995.

67- عبود، عبده. هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. 1995.

68- علي، محمد يونس: مدخل إلى اللسانيات. دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.

69- عمر، أحمد مختار: أنا واللغة والمجتمع. عالم الكتب، القاهرة. الطبعة الأولى، 2002.

70- عوني، عبد الرؤوف محمد. فريدريش ريكرت، عاشق الأدب العربي. مطبوعات الجمعية الأدبية المصرية، 1974.

71- عياشي، منذر. قضايا لسانية وحضارية. دار طلاس، دمشق. الطبعة الأولى، 1991.

72- فريك، تيموثي و غاندي، بيتر. متون هرمس (حكمة الفراعنة المفقودة). ترجمة: عمر الفاروق عمر. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002.

73- فوك، كاترين و قوفيك، بيارلي: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة. تعريب: د. المنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984.

74- نادر كاظم. المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 2003.

75- كراوثر، ج. قصة العلم . ترجمة : د . يمنى طريف الخولي، د. بدوي عبد الفتاح . المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة. 1998 .

76- كشك، أحمد: اللغة والكلام، أبحاث في التداخل والتقريب. مكتبة النهضة المصرية. 1995.

77- كوين، جون: اللغة العليا، النظرية الشعرية. ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش. المجلس الأعلى للثقافة، طبعة ثانية، 2000.

78- كوين، جون: بناء لغة الشعر. ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش. كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1990.

79- كيليطو، عبد الفتاح. أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2013.

80- كيليطو، عبد الفتاح. الأدب والارتياب. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2007.

81- كيليطو، عبد الفتاح. الأدب والغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي. دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثالثة 2006.

82- كيليطو، عبد الفتاح. الغائب، دراسة في مقامة للحريري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثالثة، 2007.

83- كيليطو، عبد الفتاح. المقامات: السرد والأنساق الثقافية. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. الطبعة الثانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. 2001.

84- كيليطو، عبد الفتاح. من شرفة ابن رشد. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الأولى، 2009.

85- كيليطو، عبد الفتاح. لسان آدم. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثانية، 2001.

86- لاينز، جون: اللغة والمعنى والسياق. ترجمة: د. عباس صادق الوهاب. دار الشؤون الثقافية العامة، العراق. الطبعة الأولى، 1987.

87- لوتمان، يوري. سيمياء الكون. ترجمة: عبد المجيد نوسي. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء المغرب،2001.

88- لوسيركل، جون جاك. عنف اللغة. ترجمة: د. محمد بدوي. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2005.

89- ليونز، جون. اللغة وعلم اللغة، ج 1. ترجمة وتعليق: د. مصطفى التوني. دار النهضة العربية، القاهرة. الطبعة الأولى، 1987.

90- مارتان، روبير: مدخل لفهم اللسانيات (إبستيمولوجيا أولية لفهم علمي). ترجمة: عبد القادر المهيري. المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، سبتمبر 2007.

91- مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع. الجزء الأول، الطبعة الثانية. مطبعة السعادة الكبرى بمصر، 1957.

92- محسب، محي الدين. اللغة والفكر والعالم (دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقيق). الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان. 1997.

93- محمد علي، عصام الدين. بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة (من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري). الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، 1986.

94- محمد فوزي معاذ، مها. الأنثروبولوجيا اللغوية. دار المعرفة الجامعية، 2009.

95- مرتاض، عبد الجليل. في مناهج البحث اللغوي. دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.

96- مفتاح، محمد. التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية). المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1996.

97- مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة: (مترجم عن الأستاذين لانسون ومايبه). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.، أكتوبر 2004.

98- مونان، جورج. علم اللغة والترجمة. ترجمة: أحمد زكريا إبراهيم. المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2002.

99- ميرسييه، ارنست. الترجمة في الجزائر. ترجمة: الأستاذ الدكتور حسين خمري. دار أقطاب الفكر، جانفي 2006.

100- ناظم، سلوى. الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة. كتاب إلكتروني، رقم الإيداع الدولي: 977/238/37/4.

101- نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.

102- هيغل، غورغ فيلهلم فريدريش.علم ظهور العقل. ترجمة: مصطفى صفوان. دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة. 2001.

103- وافي، عبد الواحد: اللغة والمجتمع. عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة للكتاب والأولى للناشر، 1983.

104- وافي، علي عبد الواحد: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 2003.

105- وافي، عبد الواحد: علم اللغة. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، 2004.

2 ـ قائمة المراجع الفرنسية:

1- Albir, Amparo Hurtado. La notion de fidélité en traduction: français-espagnol. Paris : Didier Erudition, 1990.

2- Auroux, Sylvain. Deschamps, Jacques & Kouloughli, Djamel. La philosophie du Language. Press Universitaire de France, 1ere Edition, Janvier 1996.

3- Ballard, Michel. De Cicéron à Benjamin: Traducteurs, traductions, réflexions. Lille: Presses Universitaires de Lille, 1992.

4- Ballard, Michel. Europe et traduction. Collection Regards sur la traduction. Artois presses université, 1998.

5- Barthes, Roland. Le degré zéro de l'écriture; suivi de Nouveaux essais critiques. Éd. du Seuil, Collection : Points : Essais, 1972.
6- Bensoussan, Albert. J'avoue que j'ai trahi: Essai libre sur la traduction. L'Harmattan, 2005.
7- Berman, Antoine. L'Epreuve de l'Etranger, culture et traduction dans l'Allemagne romantique. Paris, Gallimard, 1984.
8- Cary, Edmond. Les grands traducteurs français. l'Université du Wisconsin – Madison. Georg, 1963.
9- Coran, Le. Traduction nouvelle par: Cheikh Boubakeur Hamza. Tome I, ENAG Editions, Alger, Algérie, 1989.
10- Cronin, Michael. Translation and Globalisation. Routledge, London & New York, USA. 2003.
11- Dakhlia, Jocelyne. Lingua franca (Histoire d'une langue métisse en Méditerranée). Arles,Actes Sud, 2008.
12- De Grammont, H.-D. Histoire d'Alger sous la Domination Turque (1515-1830). Paris, Ernest Leroux, éditeur, 28 Rue Bonaparte, 1887.
13- De Haedo, Fray Diego (Abbé de Fromesta). Rois d'Alger. Traduit et annotée par: H.-D. De Grammont. Alger, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, 1881.
14- De Staël Holstein, Anne-Louise-Germaine (Madame). Œuvres complètes de Madame de Staël, Volume 9. Hauman, 1830.
15- Derrida, Jacques. L'écriture et la différence. Collection « Tel Quel», Aux Editions du Seuil, Paris.
16- Derrida, Jacques. Le monolinguisme de l'autre, ou la prothèse d'origine. Éditions Galilée, 1996. Paris.
17- Dugat, Gustave. Histoire des orientalistes de l'Europe du XIIe au XIXe siècle: précédée d'une esquisse historique des études orientales. Tome Second. Maisonneuve et cie, Paris, 1868.

18- Foucault, Michel. Les mots et les choses, une archéologie des sciences humaines. Editions Gallimard,1966.

19- Grimsley, Ronald. Sur l'origine du langage. Langue & cultures. Maupertuis, Librairie Droz, 1971.

20- Grousset, René. L'Empire du Levant. Histoire de la Question d'Orient. Paris, Payot. 1946.

21- Guidère, Mathieu. Introduction à la traductologie: Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain. Collection Traducto, Traducto (Louvain-la-Neuve). De Boeck Supérieur, 2010.

22- Huart, Clément. Littérature Arabe. Librairie Armand Colin, Paris, 5, rue de Mézières, 1902.

23- Hunke, Sigrid. Le soleil d'Allah brille sue l'Occident. Edition Albin Michel, 1997.

24- Kadhim Jihad Hassan. La Part de l'étranger : La traduction de la poésie dans la culture arabe, essai critique. Actes Sud, Sindbad, 2007.

25- Khemri, Hocine. L'Auteur De l'Ombre. Essai sur la traduction littéraire. Union des Ecrivains Algériens. 1ere Edition : 2009.

26- Larbaud, Valéry. Sous l'invocation de saint Jérôme, Paris, Gallimard, 1946.

27- Malblanc, Alfred. Pour une stylistique comparée du français et de l'allemand: essai de représentation linguistique comparée. H. Didier, l'Université du Michigan, 1944.

28- Ménard, Louis. Hermès Trismégiste : (Traduction complète, précédé d'une étude sur l'origine des livres Hermétiques). Deuxième Edition, Librairie Académique, Didier et Ce, Libraire-éditeurs, Paris, 1867.

29- Meynier, Gilbert. L'Algérie des origines, De la préhistoire à l'avènement de l'islam. Barzakh, Algérie, 2007.

30- Michaud, Joseph Fr. & Louis Gabriel Michaud. Biographie universelle (Michaud) ancienne et moderne ...Volume 7. Madame C. Desplaces, 1854. (Livre numérique Google).

31- Ollivier, Claude. Jérôme. Volumes 79 à 80 de Collection Les Pères dans la foi Eglise d'hier et d'aujourd'hui. Editions de l'Atelier, 1993.

32- Renan, Ernest. Averroès et l'Averroïsme (Essai Historique). Quatrième Edition, Revue et Augmentée. Paris, Calmann Lévy, Editeur, 1882.

33- Renan, Ernest. Essais De Morale et de Critique. Troisième Edition, Paris, Michel Lévy Frères, Libraires- Editeurs, 1881.

34- Rodinson, Maxime. La Fascination de l'Islam, suivi de Le seigneur bourguignon et l'esclave sarrasin. Edition La Découverte/ Poche, Paris, 2003.

35- Said, Edward. L'Orientalisme, L'Orient crée par L'Occident. Traduit de l'Américain par : Catherine Malamoud. Edition du Seuil. Collection « la couleur des idées », 2005.

36- Schwab, Raymond. La Renaissance orientale. Paris, Payot, 1950.

37- Sejten, Anne Elisabeth. Diderot, ou, Le défi esthétique: les écrits de jeunesse, 1746-1751. Essais d'art et de philosophie. Vrin, 1999.

38- Sizoo, Édith. Ce que les mots ne disent pas, quelques pistes pour réduire les malentendus interculturels (La singulière expérience des traductions de la plate-forme de l'Alliance pour un monde responsable et solidaire). Éditions-Diffusion Charles Léopold Mayer, 2000.

39- VAN HOOF, Henri. Histoire de la traduction en Occident : France, Grande-Bretagne, Allemagne, Russie, Pays-Bas. De Boeck Supérieur, 1991.

3 - قائمة المراجع الإنجليزية:

1- Aitchison, Jean. The seeds of speech, language origin & evolution. Cambridge University Press, 1996.
2- Baer, Brian James . Contexts, Subtexts and Pretexts: Literary Translation in Eastern Europe and Russia. John Benjamins Publishing, 2011.
3- Baker, Mona. Assisted By: Kirsten Malmkjaer. Routledge Encyclopedia of Translation Studies (First edition). Routledge, London & New York. 2001.
4- Baker, Mona & Saldanha, Gabriela. Routledge Encyclopedia of Translation Studies (Second edition). Routledge, London & New York. 2009.
5- Bassnett , Susan. Translation Studies. Third edition, Routledge, London & New York, 2002.
6- Bastin, Georges L. and Bandia, Paul F.. Charting the Future of Translation History. University of Ottawa Press, 2006.
7- Beck, Cave M.A. The Universal Character, By which all the Nations in the world may understand one anothers Conceptions, Reading out of one Common Writing their own Mother Tongues: (An Invention Of General Use). electronic book, London, 1657.
8- Beer, Gillian. Open Field : Science in Cultural Encounter. Oxford, Clarendon, 1996.
9- Bell, Harold Idriss. Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest. Printed in Great Britain, Oxford at the Clanderon Press, 1948.
10- Bell, Roger T.. Translation and Translating: Theory and Practice (Applied linguistics and language study. Longman, 1991.
11- Bellos, David. Is that a Fish in Your Ear ? (Translation & the Meaning of Everything). Faber & Faber Inc, New York. First Ebook edition, 2011.
12- Borges, Jorge Luis. Labyrinths (Selected stories & other writings). Ed by: Donald A. Yates & James E. Irby. Preface by: André Maurois. Tenth printing, New Directions Publishing Corporation, New York, 1964.

13- Branchadell, Albert & West, Lovell Margaret. Less Translated Languages. John Benjamins Publshing Company, Amsterdam- The Netherlands, 2005.

14- Budick, Sanford and Iser, Wolfgang. The Translatability of Cultures : Figurations of the Space Between. . Stanford University Press, Stanford, California, 1996.

15- Burke, Peter & Po-Chia hsia, R. Cultural Translation in Early Modern Europe. Cambridge University Press, European Science Foundation 2007.

16- Carroll, John B.. Language, Thought, and Reality, Selected Writings Of Benjamin Lee Whorf. Published jointly by The Technology Press of Massachusetts Institute of Technology and John Wiley & Sons, Inc. New York, London. December, 1959.

17- Chomsky, Noam. Cartesian Linguistics, A Chapter in the History of Rationalist Thought. Edited with a new introduction by: James Mc Gilvray. Third Edition, Cambridge University Press, 2009.

18- Chomsky, Noam. New Horizons in the Study of language and Mind. Cambridge University Press, New York, 2000.

19- Classe, O. Encyclopedia of Literary Translation Into English: A-L. Taylor & Francis, 2000.

20- Douglas, Fedwa Malti. Power, Marginality, and the Body in Medieval Islam. Ashgate, 2001.

21- Eco, Umberto. Serendipities, Language and Lunacy. Translated by: William Weaver. Italian Academy lectures, Columbia University Press, New York, Printed in the United States of America. 1998.

22- Edward T. Hall. The Silent Language. Doubleday & Company, INC., Garden City, New York , 1st ed, 1959.

23- Ellis, Roger. the Oxford history of literary translation in English, Vol 1/ To 1550.. Oxford University Press, 2008.

24- Ellis, Roger and Oakley-Brown, Liz. Translation and Nation (Towards a Cultural Politics of Englishness). Topics in Translation: 18. Multilingual Matters Ltd. Printed and bound in Great Britain, 2001.

25- Filshtinsky, I. M. Arabic Literature. Moscow, Nauta, 1966.

26- Fowler, Roger. Linguistics and the Novel. Routledge: London & New York. Reprinted 1989.

27- France, Peter. The Oxford Guide to Literature in English Translation. Oxford University Press, 2001.

28- Gibb, H. A. R. Arabic Literature. Oxford, Clarendon Press, 1963.

29- Gooden, Alexander Chisholm. Cambridge in the 1830s: The Letters of Alexander Chisholm Gooden, 1831-1841. Volume 5 de History of the University of Cambridge: Texts and studies. Edited by: Jonathan Smith, Christopher Stray. Boydell Press, 2003.

30- Guillen, Michael Phd. Five Equations that Changed the World, the Power & Poetry of Mathematics. Hyperion, New York. First paperback edition, 1995.

31- Gutas, Dimitri. Greek Thought, Arabic Culture: The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early 'Abbasaid Society (2nd-4th/5th-10th c.). Routledge, 2012.

32- Hanna, Patricia & Harrison, Bernard. Word and World: Practice and the Foundations of Language. Cambridge University Press, 2004.

33- Hatim, B & Mason, Ian . Discourse and the Translator Language In Social Life. Routledge, 2014.

34- Horne, Charles F., Ph.D., ed. The Sacred Books and Early Literature of the East, Volume V, Ancient Arabia (The Hanged Poems, The Koran). Parke, Austin, And Lipscomb, Inc., New York, London,1917.

35- Jackendoff, Ray. Foundations of Language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution. Oxford University Press, 2003.

36- Jespersen, Otto. Language: Its Nature, Origin and Development. George Allen & Unwin LTT. London, 1922.

37- Katan, David. Translating Cultures, An introduction for Translators, Interpreters and Mediators. St. Jerome Publishing, 1999.

38- Kilito, Abdelfattah. Thou Shalt Not Speak My Language, Translated from Arabic by Wail S. Hassan. Syracuse University Press, New York, first edition, 2008.

39- Lahiani, Raja. Eastern Luminaries Disclosed to Western Eyes: A Critical Evaluation of the Translations of the Mu'allaqat Into English and French (1782 - 2000). Peter Lang, 2008.

40- Lang, George. The literary settings of the Lingua Franca (1300-1830). In: Journal Neophilologus, Volume 76, Issue 1. Kluwer Academic Publishers, January 1992.

41- Lefevere, André. Translation, History, Culture (A Sourcebook). Routledge London & New York. Published in the Taylor & Francis E-Library 2003.

42- Lefevere, André. Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame. Routledge a member of the Taylor and Francis group, 1992.

43- McElduff, Siobhán. Roman Theories of Translation: Surpassing the Source, Routledge Monographs in Classical Studies. Routledge, 2013.

44- Munday, Jeremy. Introducing Translation Studies (Theories & Applications). Second Edition 2008, Routledge (London & New York).

45- Nida, Eugene A. Fascinated by Languages. John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 2003.

46- Newmark, Peter. Approaches to Translation. Shanghai Foreign Language Education Press, 2001.

47- Newmark, Peter. Paragraphs On Translation. Multilingual Matters LTD, Clevedon, Philadelphia, Adelaide, 1993.

48- Nicholson, Reynold A. Translations Of Eastern Poetry And Prose. Cambridge University Press, London, 1922.

49- Okrent, Arika. In the land of invented languages. Spiegel & Grau, EBook Edition, New York, 2009.

50- Ong, Walter J. Orality & Literacy (the Technologizing of the World), 30th Anniversary Edition with additional chapters by John Hartley. Routledge (Taylor & Francis Group), London & New York, 2002.

51- Ostler, Nicholas. Empires of the word : a language history of the world. Harper Collins Publishers, October 2010.

52- Poliakov, L. The Aryan Myth: A History of Racist and Nationalist Ideas in Europe, trans. Edmund Howard, London: Chatto & Windus. (1974).

53- Potter, Michael & Ricketts, Tom. The Cambridge Companion to Frege. Published in the United States of America by Cambridge University Press, New York, 2010.

54- Rener, Frederick M.. Interpretation: Language and Translation from Cicero to Tytler. N 8: Approaches to translation studies, Rodopi, 1989.

55- Ricoeur, Paul. On Translation. Translated by: Eileen Brennan, with an introduction by : Bryan Kearney. Routledge, Taylor & Francis Group. London & New York, first published 2006.

56- Robins, R. H. A Short History of Linguistics. Longman Group Limited, London, Third impression, 1976.

57- Roy, Harris and Talbot J. Taylor. Landmarks in Linguistic Thought I : The Western tradition from Socrates to Saussure. Routledge, London and New York. Second Edition, 1997.

58- Salaman, Clement, Dorine van Oyen, and William D. Wharton. Jean-Pierre Mahé. The way of Hermes, New Translations of the Corpus Hermeticum and the Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius.

Printed and bound in the United States, First U.S. edition published in 2000 by Inner Traditions International.

59- Said, Edward. The Politics of Dispossession. The Struggle for Palestinian Self-Determination, 1964-1994. Vintage Books, A Division of Random House, Inc., New York. First edition, June 1995.

60- Samson, Geoffrey. Schools of Linguistics, Competition & evolution. Hutchinson Publishing Group, 1980.

61- Savory, Theodore. The Art of Translation. J. Cape, 1957.

62- Schuchardt, Hugo Ernst Mario. The Ethnography of Variation : Selected Writings on Pidgins and Creoles. Volume 3 de Linguistica Extranea. Traduit par: Thomas Lloyd Markey. Cambridge University Press, 1979.

63- Scovel, Thomas. Psycholinguistics. Oxford University Press, Printed in Spain, 1998.

64- Slaughter, M. M.. Universal languages and scientific taxonomy in the seventeenth century. Printed in Great Britain at the university press, Cambridge. First published in 1982.

65- Smith, Neil. Chomsky Ideas and Ideals. Cambridge University Press, second edition, 2002.

66- Steven D. Hales. A Companion to Relativism. Blackwell Companions to Philosophy. John Wiley & Sons, 2010.

67- Steiner, George, After Babel (Aspects of Language and Translation), Third Edition, Shanghai Foreign Education Press, 2001.

68- Steiner, George. Essays on Language, Literature, and the Inhuman, Essays 1958-1966, London, 1979.

69- Tuetey, Charles, ed. and trans. Classical Arabic Poetry. London, Kegan Paul International, 1985.

70- Todorov, Tzvetan. The Fear of Barbarians, Beyond the Clash of Civilizations. Translated by : Andrew Brown. The University of Chicago Press. Printed in the United States of America, 2010.

71- Van Bladel, Kevin. The Arabic Hermes (From Pagan Sage to Prophet of Science). Oxford University Press, Printed in the United States of America, 2009.

72- Verteegh, Kees. The Arabic Language. Columbia University Press, New York, Printed and Bound in Great Britain. 1997.

73- Weissbort, Daniel and Eysteinsson, Astradur. Translation- Theory and Practice : A Historical Reader. Oxford University Press, First published 2006.

74- Yule, George. The Study of Language. Third edition, thoroughly revised & updated. Cambridge University Press, New York, Published in the United States of America, 2006.

75- Zarate, Geneviève. Lévy, Danielle. Kramsch, Claire J.. Handbook of Multilingualism and Multiculturalism. Archives contemporaines, 2011.

4 - المعاجم والقواميس والموسوعات العربية:

1. الموسوعة العربية العالمية (Global Arabic Encyclopedia). النسخة الإلكترونية.

2. الموسوعة الفلسفية المختصرة. نقلها عن الانجليزية: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق. دار القلم، بيروت لبنان. 2003.

3. صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الأول. دار الكتاب اللبناني. 1994.

4. صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الثاني. دار الكتاب اللبناني. 1994.

5 – المعاجم والقواميس الأجنبية:

1. Shorter Oxford English Dictionary. (Electronic edition).

6 – المجلات العربية:

1. مجلة الآداب والترجمة. العدد الأول. كلية الآداب بجامعة الروح القدس، الكسليك. لبنان، 1996.
2. مجلة الاستشراق، المجلد الخامس (5)، سلسة كتب الثقافة المقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1991.
3. مجلة حوليات التراث: مجلة علمية مُحكمة تعنى بمجالات التراث. العدد الثالث، جامعة مستغانم (الجزائر). 2005
4. مجلة عالم الكتب. المجلد الخامس ، العدد الأول، الرياض. رجب 1404 ، ابريل 1984.
5. مجلة فصول، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة . 1 يونيو 1992.
6. مجلة القافلة، مجلة ثقافية تصدر كل شهرين. العدد الثاني، المجلد 59. المملكة العربية السعودية، مارس-أبريل 2010.

7 – المجلات والدراسات العلمية الأجنبية:

1. Cahiers de Science & Vie, Hors Série, Les Origines Des Langues. n°118-Septembre 2010.
2. Comptes rendus, L'Homme. 2010/2 n° 194, Editions de l'E.H.E.S.S.
3. Journal Asiatique, Recueil de Mémoires d'Extraits et de Notices, volume : 14. La Société Asiatique, Paris, Imprimerie Royale, décembre 1834.
4. *Kernos (Varia)* [En ligne], 8 | 1995.
5. Meta : Journal des Traducteurs. les presses de l'université de Montreal, Volume 44, numero 4, decembre 1999.
6. Mines de l'Orient. Fundgruben des Orients, exploitées par une société d'amateurs, sous les auspices de M. le comte Wenceslas de Rzevusky. Vienne, Ant.Schmid, 1809.
7. Neohelicon, Volume 36 XXXVI, Issue 1, Springer Netherlands, 2009.

8. Nouveau journal asiatique: ou recueil de mémoires, d'extraits et de notices relatifs aux études orientales, Volume 14. Société Asiatique, Paris, Imprimerie Royale, 1834.
9. Philosophica, Volumes 18 à 22. ED. Rijksuniversiteit te Gent. Rijksuniversiteit, (University of California) ,1976.
10. Revue orientale et Algérienne: recueil de documents sur l'histoire, la géographie, les religions, les moeurs, les coutumes, la littérature, les arts, les sciences, l'agriculture, l'industrie, le commerce des diverses contrées de l'orient. Ed : Gide et J. Baudry, Volume 2. (Livre numérique Google), 1852.
11. Simon, Fabien. Sortir de Babel, Une République des Langues en Quête d'une 'Langue Universelle' à la Renaissance et à l'Age Classique? (Thèse de doctorat), Vol 1. Sous le Sceau de L'Université Européenne de Bretagne, Université Rennes 2, Soutenue le 02 décembre 2011.
12. Société Orientale. Revue de l'Orient de l'Algérie et des Colonies (Bulletin de la Société Orientale de France). Nouvelle série, Tome Sixième, Paris, 1857.
13. TTR : traduction, terminologie, rédaction. Volume 1, numéro 1, 1er semestre, Université du Québec à Trois-Rivières. 1988.

8 – المواقع الإلكترونية:

http://www.villinocecilia.com

www.skase.sk

المحتوى

المقدمة.....أ.

البــاب الأول: الدراسة النظريــة .....1.

الفصــل الأول: حدود الترجمــة .....2.

المــبحث الأول:الترجمة بين الإنكار والقبول .....4.

1. **عدم قابلية الترجمة .....9.**
2. **ترجمـة الكتاب المقدس .....12.**
3. **مسألة الأمانة في الترجمة .....19.**
4. **التنـوع اللغوي عائق أمام التواصل ..... 23.**

المبحث الثاني: البحث عن اللغة المشتركة .....26.

1. **البحث عن اللغة الكونية (the Universal language) .....27.**
2. **البحث عن اللغة الثالثة (the Third language) .....35.**
3. **البحث عن اللغة الأصلية (the Original language) .....37.**

المبحث الثالث: اللغات والترجمة في ظل العولمة .....46.

الــفصــل الثـــانـــي : في قابلية أو عدم قابلية الترجمة .....51.

المبحث الأول: مقاربات نظرية الترجمة قبل العصر الحديث.....54.

1. **مقاربات نظرية الترجمة في العصر القديم .....54.**
2. **مقاربات نظرية الترجمة في العصرالوسيط .....57.**
3. **مقاربات نظرية الترجمة في عصر النهضة .....62.**

المبحث الثاني: مقاربات نظرية الترجمة في العصر الحديث.....70.

1. **النسبية اللغوية والثقافية .....71.**
2. **العقلانيون وقابلية الترجمة.....84.**
3. **العوامل الخارج نصية وتحكمها في إمكانية الترجمة .....100.**

البــاب الثاني: الدراسة التطبيقيــة .....103.

الفصل الثالث المقامات الأدبية.....107.

1. تعريف المقامة.....109.
2. مؤلف المقامــات .....110.
3. سمات المقامة.....115.
4. مبنى المقامة.....119.
5. مقامات الحريري .....120.
6. انتقال المقامة إلى الآداب الأخرى .....123.

الفـــصل الــرابع: استراتيجيات المــستشــرقيــن في التــرجمة .....130.

1. انعدام التوافق بين نظامي الشِّعريتين الأوروبية والعربية.....132.
2. الإيديولوجيــا والترجمة .....145.
3. إستراتيجيات الترجمة لدى المستشرقين .....156.

الفـــصل الخامس: دراسة تحليلية و نقدية لترجمة بعض مقامات الحريري.....163.

1. العوامل الخارج نصية في الترجمة .....165.
2. بعض تعليقات المترجمين ..... 176.

3.تحليل ترجمات بعض مقامات الحريري.....186.

أ. المقامة الصنعانية.....187.
ب. المقامة الاسكندرانية.....191.
ج. المقامة الدينارية.....196.
د. المقامة السنجارية.....200.
ه. المقامة الكوفية.....204.

خاتمة البحث.....199.

ملخص البحث باللغة العربية.....211.
ملخص البحث باللغة الفرنسية.....212.
ملخص البحث باللغة الإنجليزية.....214.
قائمة المراجع.....215.

المحتوى.....226.

تمَّ هذا البحث والحَمدُ للّٰه.